

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190472

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين محمد بن علي التتوي

السفر الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

فهرست

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للسوبرى

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعه من الصحابة
رصى الله عنهم، والمنشهور من أمثال العرب، وأوايد العرب وأخبار الكهنة،
والزجر، والقال، والطير، والعراصة والذكاء، والكثايات،
والتعريض، والأحاجى، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحة

- فى الأمثال ١
ما تمثل به من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ٢
ومن كلام أبى بكر الصديق رصى الله عنه ٤
ومن كلام عمر بن الخطاب رصى الله عنه ٥
ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه ٦
ومن كلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٦
ومن كلام عبد الله بن عباس رصى الله عنهما ٦

صفحة

ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم ٦	٦
حرف الهمزة ٧	٧
حرف الباء ١٩	١٩
حرف التاء ٢١	٢١
حرف الثاء ٢٣	٢٣
حرف الجيم ٢٣	٢٣
حرف الحاء ٢٦	٢٦
حرف الخاء ٢٨	٢٨
حرف الدال ٣٠	٣٠
حرف الذال ٣٠	٣٠
حرف الراء ٣١	٣١
حرف الزاي ٣٣	٣٣
حرف السين ٣٤	٣٤
حرف الشين ٣٥	٣٥
حرف الصاد ٣٦	٣٦
حرف الضاد ٣٨	٣٨
حرف الطاء ٣٨	٣٨
حرف الظاء ٣٩	٣٩
حرف العين ٣٩	٣٩
حرف النين ٤٢	٤٢
حرف الفاء ٤٣	٤٣

صحيفة

- الأسود بن يعفر ... ٦٦ ...
- علقمة بن عبدة ... ٦٦ ...
- عمرو بن كلثوم ... ٦٦ ...
- الحارث بن حلزة ... ٦٦ ...
- حاتم الطائي ... ٦٧ ...
- المرقش الأصغر ... ٦٧ ...
- النمر بن تولب ... ٦٧ ...
- مهلهل بن ربيعة ... ٦٧ ...
- طفيل الغنوى ... ٦٨ ...
- عروة بن الورد ... ٦٨ ...
- الاعشى (ميمون بن قيس) .. ٦٨ ...
- لقيط بن معبد ... ٦٨ ...
- تأبط شرا ... ٦٩ ...
- المنقّب العبدى ... ٦٩ ...
- المنزق العبدى ... ٦٩ ...
- أفنون التغلبي ... ٦٩ ...
- الأضبط بن قريع ... ٦٩ ...
- سويد بن أبي كاهل ... ٦٩ ...
- ومما يتمثل به من أشعار المخضرمين ... ٧٠ ...
- ليد بن ربيعة ... ٧٠ ...
- كعب بن زهير ... ٧٠ ...

٧١	النايفة الجعدى
٧١	أمية بن أبى الصلت الثقفى
٧١	حسان بن ثابت
٧١	الحطيئة
٧٢	متم بن نويرة
٧٢	أبو ذؤيب الهذلى
٧٢	الخنساء
٧٣	عمرو بن معد يكرب
٧٣	معن بن أوس
٧٣	زياد بن زيد
٧٣	أيمن بن خزيم
٧٤	ومما يمثل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام
٧٤	القطامى
٧٤	الطرماح
٧٤	الكيت بن زيد الأسدى
٧٤	المساور بن هند
٧٥	عدى بن الرقاع
٧٥	الفرزدق
٧٦	جرير
٧٦	الأخطل
٧٧	الصلتان العبدى

صفحة

٧٧	كثير عزة
٧٨	جميل
٧٨	عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
٧٨	وما يمثل به من أشعار المحدثين
٧٨	إبراهيم بن هرمة
٧٩	بشار بن برد
٨٠	أبو العتاهية
٨١	سلم بن عمرو الخاسر
٨٢	صالح بن عبد القدوس
٨٣	ابن ميادة
٨٣	أبو نواس
٨٤	أبو عينة المهلب
٨٤	عبد الله بن أبي عتبة
٨٤	العباس بن الأحنف
٨٥	مسلم بن الوليد
٨٥	منصور النمرى
٧٦	العتابي
٨٧	أشجع السلمي
٨٧	الجرهمي
٨٨	محمود الوراق
٨٨	محمود بن حازم الباهلي

حقيقة

- السموئل بن عدياء ٨٩
- محمد بن أبي زرعة الدمشقيّ ٨٩
- أبو الشيص ٨٩
- عليّ بن جبلة ٨٩
- الجلّاج الحارثيّ ٨٩
- عبد الصمد بن المعدّل ٩٠
- الحمدونيّ ٩٠
- العتبيّ ٩٠
- أبو سعيد المخزوميّ ٩١
- دعبل بن عليّ الخزازيّ ٩١
- إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ٩٢
- المؤمل بن أميل ٩٢
- إبراهيم بن العباس ٩٢
- أبو عليّ البصير ٩٣
- سعيد بن حميد ٩٣
- عليّ بن الجهم ٩٣
- ابن أبي فنن ٩٣
- يزيد بن محمد المهلبيّ ٩٤
- عمارة بن عقيل ٩٤
- أحمد بن أبي طاهر ٩٤
- أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ ٩٤

صفحة

٩٦	أبو عبادة البحتري
٩٨	ديك الجن
٩٩	ابن الرومي
٩٩	عبد الله بن المعتر
١٠٠	عبيد بن عبد الله بن طاهر
١٠١	ابن طباطبا العلوي
١٠١	منصور الفقيه
١٠٢	ابن بسام
١٠٢	بحظة
١٠٣	الصنوبري
١٠٤	أبو الفتح كشاجم
١٠٤	ومما يمثّل به من أشعار المولدين
١٠٤	أبو فراس الحمداني
١٠٤	أبو الطيب المتنبي
١٠٧	السري بن أحمد
١٠٧	أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي
١٠٨	أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي
١٠٨	الخباز البلدي
١٠٨	أبو إسحاق الصابي
١٠٨	عبد العزيز عمر بن نباتة
١٠٩	ابن لنكك البصري

صيفة

- ١٠٩ أبو الحسن عبد الله
- ١١٠ أبو الفرج البيهقي
- ١١٠ ابن سكرة الهاشمي
- ١١٠ ابن المجاج
- ١١١ أبو الحسن الموسوي النقيب
- ١١٢ أبو طالب الماموني
- ١١٢ ابن العميد
- ١١٣ صاحب بن عباد
- ١١٣ الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي
- ١١٣ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي
- ١١٤ بديع الزمان أبو الفضل الهمداني
- ١١٤ إسماعيل الناشئ
- ١١٥ أبو الفتح علي بن محمد البستي

الباب الثاني :

- ١١٦ في أوابد العرب
- ١١٦ البحيرة
- ١١٦ الوصيلة
- ١١٧ السائبة
- ١١٧ الحامي
- ١١٧ الأزلام
- ١١٨ المهسر

صيفة

١٢٠	نكاح المقت...
١٢٠	رمى البعرة
١٢٠	ذبح العتائر
١٢٠	عقد السلع والعشر
١٢١	ذبح الظبي
١٢١	حبس البلايا
١٢١	نروج الهامة
١٢١	إغلاق الظهر
١٢١	التمعية والتفقتة
١٢٢	بكاه المقتول
١٢٢	رمى السن في الشمس
١٢٢	خضاب النحر
١٢٢	التصفيق
١٢٢	جز النواصي
١٢٣	كى السليم عن الحرب
١٢٣	ضرب الثور
١٢٣	كعب الأرنب
١٢٤	حيض السمرة
١٢٤	الطارف والمطروف
١٢٤	وطء المقاتل
١٢٤	تعليق الحل على السليم

صفحة

١٢٥	ذهاب الخدر
١٢٥	الحلا
١٢٥	التعشير
١٢٥	عقد الرتم
١٢٦	دائرة المهقوع
١٢٦	شق الرداء والبرقع
١٢٦	نوء السماك
١٢٦	النسيء
١٢٦	وأد البنات

الباب الثالث :

١٢٨	في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والقال والطيرة والفراصة والذكاء
١٢٨	أخبار الكهنة
١٣٤	الزجر
١٤٣	القال والطيرة
١٤٩	الفراصة والذكاء

الباب الرابع :

١٥٢	في الكنايات والتعريض
-----	--------	----------------------

الباب الخامس :

١٦٢	في الألفاظ والأحاجي
١٧١	وما يتصل بهذا الباب مسائل العويس

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والنخر، والمعاقرة
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صفحة	
١٧٣	في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا
٢٠٠	ذكر ما قيل في الافتخار
٢٠٤	ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام
٢٠٨	ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية وذكر شيء من أخبارهم
٢١٨	ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال
٢٢٠	ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام
٢٣٠	ذكر ما قيل في وفور العقل
٢٣٣	ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به
٢٣٧	ذكر ما قيل في الصدق
٢٣٩	ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة
٢٤٤	ذكر ما قيل في التواضع
٢٤٧	ذكر ما قيل في القناعة والزهادة
٢٤٨	ذكر ما قيل في الشكر والثناء
٢٥٤	ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز
٢٥٧	ذكر ما قيل في الشفاعة
٢٥٨	ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

الباب الثاني :

في الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا	٢٦٥
ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه	٢٦٦
ومما قيل في الهجاء من النظم	٢٧١
ذكر ما قيل في الحسد	٢٨٤
ذكر ما قيل في السعاية والبنى والغبية والنفيمة	٢٨٩
ذكر ما قيل في البخل واللؤم	٢٩٤
احتجاج البخل وتحسينهم للبخل على قبعه	٣١٤
ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة	٣٢٣
ذكر آداب الأكل والمؤاكلة	٣٣٨
ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها	٣٤٠
ذكر أخبار الأكلة	٣٤٣
ذكر ما قيل في الجبن والفرار	٣٤٦
ذكر ما قيل في الحق والجهل	٣٥٣
ذكر ما قيل في الكذب	٣٥٩
ذكر ما قيل في الغدر والخيانة	٣٦٤
ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة	٣٦٥
ذكر ما قيل في الكبر والعجب	٣٧٠
ذكر ما قيل في الحرص والطمع	٣٧٦
ذكر ما قيل في الوعد والمطل	٣٧٨
ذكر ما قيل في المي والحصر	٣٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة



عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفراسة ، والذكاء ، والكليات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألفاظ ، وفيه خمسة أبواب .

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

١٠ ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه العزيز في آي كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جَنَتي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تعزجوا " قال الصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ،

١٥ والأبواب : محارم الله ، والداعى : القرآن

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر ، شبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إنا آتتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النخاس : يجمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق ، وأقرب للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

وأول ما نبداً به من ذلك ما تمثّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو عما لم يسبق إليه :

”يَا أَيُّهَا خُضْرَاءُ الدَّمَنِ“ قيل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء في منتهى السوء !“

”كَلِّ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْقَرَا“ قاله لأبي سفيان يتأقمه على الإسلام .

”مات فلان حَتَفَ أَهْمُهُ“ .

”لا يَنْتَظِعْ فِيهِ عِزَّانُ“ .

”إِنَّ الْمُنْتَهَى لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَتَى“ المنته : المتقطع عن أصحابه في السفر؛

والظهر : الدابة ، قاله في الفخر في العبادة .

”الآن حَيَّ الْوَطِيسَ“ : ضربه في الحرب .

”يَا حَيْلَ اللَّهِ أَرَكِي“ .

”اشتدَّتْ أَرْمَةُ تَفْرِجِي“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ”الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية“ .

”الناس كعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام

إذا قهوا“ .

”الناس كإبل ، مائة لا تجد فيها راحلة“ .

”المؤمن حين لين ، كالجل الأنف إن أقيد أقاد ، وإن أُنِخ على حفرة أستاخ“

”المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضا“ .

”أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم آتديتم“ .

”مثل أصحابي كاللح لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أمتي كالطير ، لا يُدرى أوله خير أم آخره“ .

”مثل أبي بكر كالقطر أين وقع شفع“ .

”عمالكم كأعمالكم وكما تكونوا يوتى عليكم“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو : ”والعقد بيننا كشرج

العينة“ معنى إذا انحَلَّ بعضه انحَلَّ جميعه .

”المرأة كالضلع الموجاء إن قومتها كسرتها ، وإن داريتها آسنتمت بها“ .

”المتشبع بما لم يُعطه كلابس ثوبي زور“ .

”الدال على الخير كفاعله“ .

”لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو تحايا وتروح بطانا“ .



”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالنَّحْلَةِ لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا تُطْعِمُ إِلَّا طَيِّبًا“ .

”مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالسُّبُلَةِ تَمِيلُ أَحْيَانًا، وَتَعْتَدِلُ أَحْيَانًا“ .

”مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَالْعَطَّارِ، إِنْ لَمْ تَنْسِبْ مِنْ عَطْرِهِ أَصْبَتْ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ

الْجَلِيسِ السُّوءِ كَالْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبَكَ آذَاكَ بِدُخَانِهِ“ .

”عَلِمَ لَا يَنْفَعُ كَثْرَ لَا يَنْفَعُ مِنْهُ“ .

وقال : ”الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ“ .

”قَدْ جَدَعَ الْحَلَالُ أَتْفَ الْفِتْرِ“ .

”الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى“ .

”نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ“ .

”إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْيَاسَنِ لَسِحْرًا“ .

”مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ“ .

”الْأَعْمَالُ بِمَنْوَاتِهَا“ .

”سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرًّا“ .

”الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَمْرًا مَنْ يَخَالُ“ .

”الْمُسْتَشِيرُ مَعَانِ وَالْمُسْتَشَارُ مَوْثِقُنْ“ .

ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العزاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشد ما قبله .

- ثلاث من كن فيه كن عليه : البنى ، والنكث ، والمكر .
 ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .
 احرص على الموت توهب لك الحياة ؛ قاله خالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الردة .
 كثير القول ينسى بعضه بعضا ، وإنما لك ما وعى عنك .
 لا تكتم المستشار خبرا فتؤتى من قبل هلك .
 خير المتصلين لك أبغضهما إليك .
 صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

- من كنتم سره كان الخيلار في يده .
 أشقى الولاة من شقيت به رعيته .
 اتقوا من تبغضه قلوبكم .
 أعقل الناس أعدرهم للناس .
 اجعلوا الرأس رأسين .
 أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم .
 لو أن الشكر والصبر بغيران لما باليت أيهما ركب .
 من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .
 ما الخمر صرفا بأذهب للعقول من الطبع .
 إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .
 اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة .
 لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلقا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يَزَعُ اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُرِلَ، مثلها منه اذا عمل .

أتم إلى إمام فعَال، أَحوجُ منكم إلى إمام قَوَال؛ قاله يوم صعد المنبر فأُتِيَ عليه .

وقال يوم قُتِلَ : لأن أُقْتَلَ قبل الدماء، أحبُّ إلى من أن أُقْتَلَ بعد الدماء .

ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أُتِيَح له الأبعد؛

ومن بالغ في الخصومة أَيْم، ومن قصر فيها ظَلَم .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

١٠

الناس من خوف الذلِّ في الذلِّ .

إن من السكوت ما هو بالغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فابدموه بالتحية؛ ولكل طاعم حشمة فابدموه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب " الأمثال " للميداني . [والميداني^(١) : هو

أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني التمسابوري - والميداني : بفتح الميم

ومسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد، وهي محلة

بنيسابور؛ توفي سنة تسع وثلاثين وستمائة] ووضعت على حروف المعجم .

فإن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

حرف الهزة

يقول العرب : "إِنَّ الْمُوصِّينَ بَنُو مَهَوَانَ" قال الميداني : يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْهُو عَنْ طَلَبِ شَيْءٍ أَمْرُهُ ، وَبَنُو مَهَوَانَ : بَنُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ عَهْدَ إِلَيْهِ فَمَهَا وَنَسِيَ .

وقولهم : "إِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبُ" قال : الرثيئة : اللبنة الحامض يخلط بالحلوة ، والقَتُّ : التَّسْكِينُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِقَوْمٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ جَانِمًا فَسَقَوْهُ الرَّثِيئَةَ فَسَكَنَ غَضَبَهُ ، قَالُوا هَذَا الْمَثَلُ : يَضْرَبُ فِي الْمَهْدِيَةِ تَوَرُّثَ الْوَفَاقِ .

وقولهم : "إِنَّ الْحَلِيدَ بِالْحَلِيدِ يُفْلَحُ" أَيِ يَسْتَعَانُ فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ بِمَا يَشَاكِلُهُ وَيَقَاوِيهِ .

وقولهم : "إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرُكُ مَا فِيهَا" فِي الْقَطْعَةِ وَفَمَ الدُّنْيَا .^(١)

وَالنَّفْسُ تَكْتَفٍ بِالدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرُكُ مَا فِيهَا

وقولهم : "إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصْبَةِ" يُقَالُ : إِنْ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْأَنْصَى الْجُرْهُمِيُّ ، ذَلِكَ أَنَّ نَزَارًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ بَيْنَهُ مَضْرُوعًا وَإِيَادًا ، وَرَبِيعَةً ، وَأَنْتَارًا ، قَالُوا : يَا بَنِي ! هَذِهِ الْقَبَةُ الْجُرْهُمَاءُ - وَكَانَتْ مِنْ آدَمَ - لِمَضْرُوعٍ ، وَهَذِهِ الْقُرْسُ الْأُدُمُ وَالْخَبَاءُ الْأَسْوَدُ لِرَبِيعَةٍ ، وَهَذِهِ الْأَخَادِمُ - وَكَانَتْ شَمَطَاءَ - لِيِيَادٍ ، وَهَذِهِ الْبِدْرَةُ وَالْمَجْلِسُ لِأَنْتَارٍ ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ كَيْفَ تَقْسِمُونَ ، فَأَتُوا الْأَنْصَى الْجُرْهُمِيَّ وَمَتَلَهُ بِخَيْرَانِ ، فَتَشَاجَرُوا

(١) فِي الْمِيدَانِي : وَهَذَا فِي بَيْتِ أَتْلَهُ . وَالنَّفْسُ أَنْخَ .

- في ميراثه، فتوجهوا إليه، فبيناهم في سيرهم إذ رأى مضر أثر كلاب قد رعى، فقال :
 إن البعير الذي رعى هذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إزاد : إنه لأبتر،
 وقال أنمار : إنه لشرد، فساروا قليلا، فإذا هم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير،
 فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم، وقال
 إزاد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمار : أهو شرد؟ قال : نعم، هذه والله صفة
 بعيري، فدلوني عليه، فقالوا : والله ما رأيناه، فقال : هذا والله الكذب كيف
 أصتقكم وأتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجرات؛ فلما نزلوا، نادى
 صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملي وصفوا لي صفته ثم قالوا : لم نره؛ فاختصموا
 إلى الأفي، فقال لهم : كيف وصفتموه وأتم لم تروه؟ فقال مضر : رأيته قد رعى
 جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة والثانية
 فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطنه؛ وقال إزاد : عرفت أنه أبتر
 باجتماع بصره ولو كان ذبيلا لمصع به؛ وقال أنمار : عرفت أنه شرد، لأنه رعى
 في المكان الملتف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه؛ فقال الأفي : ليسوا بأصحاب
 جملك فاطلبه، ثم سألم : من أتم؟ فأخبروه بنجرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال :
 أحتاجون إلي وأتم كما أرى؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم بنجر؛ وجلس لهم الأفي
 بحيث لا يرى؛ فقال ربيعة : لم أركاليوم أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة؛
 وقال مضر : لم أركاليوم أطيب نحرًا لولا أن حُبْلته نبتت على قبر؛ فقال إزاد : لم أركاليوم
 كالسيوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له؛ فقال أنمار : لم أركاليوم
 كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بأذنه، فدعا قهرمانه، فقال : ما هذه النجرات،

وما أمرها؟ قال: هي من حُبلة غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعى: ماهذه الشاة؟ فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمتها ماتت؛ ثم أنى أمه، فقال: أصدقيني، من أبى؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فنفقت أن يموت وليس له ولد، فأمكنت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك، فرجع إليهم وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير، فسميت: مضر الحمراء. وأما صاحب الفرس الأدهم والنجباء الأسود فله كل شيء أسود، فصار لربيعة الخليل الدنعم وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخدام الشمطاء فلصاحبها الخليل البلق والمأشبة، فسميت: إباد الشمطاء، وقضى لأتمار بالدرهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأعمى: إن العصا من العصية، وإن خشيئاً من أخشن؛ فأرسلهما مثلاً.

وقولهم: "إن العوان لا تُعلم الحجرة": يضرب للرجل المجرب.

وقولهم: "إنى لا كل الرأس وأنا أعلم بما فيه": يضرب للأمر تانيه وأنت تعلم ما فيه مما تكروه.

وقولهم: "أنف في السماء، وآست في الماء": يضرب للتكبر الصغير الشأن.

وقولهم: "إن الدليل الذى ليست له عضد" أى أنصار وأعوان: يضرب لمن يخذله ناصره.

وقولهم: "إن يدم أظلك فقد نقب خفى" الأظلم: ما تحت منم البعير؛ والخلف: قائمته: يضربه المشكوك إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه.

وقولهم: "إِنْ تَسْلَمِ الْجِلَّةُ فَالتَّيْبُ هَدَرُ" الْجِلَّةُ: جمع جليل بمعنى العظام من الإبل،
والتَّيْبُ: جمع ثاب وهي الناقة المستنة، معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم: "إِنْ يَبِّغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِّغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ" يقال: إن بني ثعلبة
أبن سعد في الجاهلية تراءنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة:
تطلع الشمس والقمر يُرى، وقالت طائفة: بل يغيب قبل طلوعها، قراضوا برجل .
جعلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن قومي يبنون على، فقال العدل: إن يَبِّغْ عَلَيْكَ
قَوْمُكَ لَا يَبِّغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ؛ فنحبت مثلا: يضرب للأمر المشهور .

وقولهم: "إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا" الإعصار: ريح شديدة
تهب فيا بين السماء والأرض: يضرب للدل بنفسه إذا صُلِيَ بِن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم: "إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَقَارِيْقِ الْعَصَا" قالوا: قالته غِيَّةُ الأعرابية لأبنها،
وكان عارما مع ضعفه، فوابت يوما قى قطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حُسنَ
حاي ثم وابت آخر قطع شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت

أَحْلِفْ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّغَا ۞ إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَقَارِيْقِ الْعَصَا ❶

ف قيل لأعرابي: ما تقاريق العصا؟ فقال: العصا تقطع ساجورا والسواجير
للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد
فيصير كل قطعة شظاظا وإن جعل لرأس الشظاظ كاتفلكة صار للبُخْتِي مَهَارا وهو

العود الذى يدخل فى أنفه، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشد على خَلْفِ الناقة .

وقولهم : ” إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ “ : يضرب للرجل الداهى ؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرققة مكانها ثابتة .

وقولهم : ” إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعِنَبَ “ أى لا تعجد عند ذى أَلْمَنَيْتِ السوء جميلاً ؛ والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الاكتصار، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : ” أَخُو الظُّلَمَاءِ أَعَشَى بِاللَّيْلِ “ : يضرب لمن يخطئ محبته ولا يبصر المخرج مما وقع فيه . ١٠

وقولهم : ” إِنَّكَ لَتَكْثُرُ الْحَزَّ وَتُحْطِى الْمَقْصِلَ “ : يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : ” أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ “ : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : ” إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صَبَاحَ الدِّيكِ فَلْتَذَبْجَ “ قاله الفرزدق فى امرأة قالت الشعر . ١٥

وقولهم : ” إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ “ : يضرب لمن يخافك جداً .

وقولهم : " إنك ريان فلا تعجل بشربك " : يضرب لمن أشرف على إدراك
بفئته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : " أبطش من دوسر " هي إحدى كآب النمل أشدها بطشا
ونكالية ؛ قال بعض الشعراء

ضربت دوسر^(١) فيهم ضربة * أثبت أوتاد ملك فاستقر

وقولهم : " أبرمًا قرونا " البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله ، والقرون :
الذي يقرن بين الشئتين ؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر ولا يرى اللحم فجاء
إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له :
أبرمًا قرونا : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : " الثيب مجالة الراكب " : يضرب في الحث على الرضا يسير الحاجة
عند إعواز جليلها .

وقولهم :

" البس ليكل حالة ليومها * إما نعيمها وإما يومها "

أول من قال ذلك يهس : وهو رجل من بني غراب بن فزارة ، وكان سبع
سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع ، وهم في إبلهم قتلوا منهم ستة وتركوا
يهسا لحقه فقال : دعوني أتوصل معكم إلى أهلي فأقبل معهم ، فلما كان من الغد
نحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أغلوا لحكم لانفسه الضح ، فقال

(١) في النان : وصوابه « فيه » لأنه عائد مل يوم الخنجر .

يهس : لكن بالأثلاث^(١) لم لا يظلل، فأرسلها مثلاً؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها
الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خيرك القوم
فتختارى، فأرسلها مثلاً؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم، فقال : يا حبذا التراث
لولا اللثة، فأرسلها مثلاً؛ وأخذ يوماً يرمُ مسكينا، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال :
أقتل بها قتلة إخواني، فقيل له : إنك لأحق، فقال : ما يؤمنك من أحمق في يده
مسكين، فأرسلها مثلاً؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلح امرأه يردن أن يهديها
لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه، فقيل له : ما تصنع ؟
فقال :

ألبس لكل حالة لبوسها ، * إما نسيما وإما بوسها

١٠ وقولهم : "الصيف ضيعت اللبن" قال الأصمعي : معناه تركت الشيء
في وقته ؛ وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن
عُدس ، وكان قد تزوج دختنوس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فجفف
وسال لعابه فتأففته فأنبته وهي تتأفف منه ، فقال : أتخين أن أطلقك ؟ قالت : نعم ،
فطلقها ، وتزوجها فتي ضرر حسن الوجه ، فقجأتهم ذات يوم غارةً والتقى نائم فجاءت
دختنوس فأنبته وقالت له : الخليل ، فجعل يقول : الخليل الخليل ، من الخوف حتى
١٥ مات قرّاً وسُيبت دختنوس فبلغ عمرو الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذ

(١) قال ياقوت في معجمه : أثلاث «بالا» هو الموضع المذكور في المثل في بعض الروايات ؛ لكن
بالأثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأثلاث «بالا» . جمع ألفة وهو صنف من
الطرفة . كبير يظلل بغيره مائة قس .

جميع ما أخذوا وأستغنوا فوضعا قنانه على السرج وردعا إلى أهلها ، ثم اصابتهم سنة فبعث إليه قهول : نحتاج اللبن فبعث إليها بلقعة وقال : الصيف ضيبت اللبن .

وقولهم : ” أَضْطَرُّهُ السَّيْلُ إِلَى مَعْطَشِهِ ” وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الجربة ، فبقى في أصل شجرة لا يقدر أن يزل فيأخذ به الماء ، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخيل الذي كان فيه إلى شر .
وقولهم :

” إِنَّ الْحِمَاةَ أُولِعَتْ بِالْكَنَّةِ • وَأُولِعَتْ كَنَّتُهَا بِالظَّنَّةِ ”

الحماة : أم الزوج ، والكَنَّة : امرأة الابن والأخ ، والظَنَّة : التهمة ، وبين الحماة والكنة عداوة مُستَحِكَّةٌ : يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الشَّرِيقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُمْ أَهْلُ لَذَاكَ . ١٠

وقولهم : ” إِنَّ اللَّهَ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ ” قاله معاوية : لما بلغه أن الأشتر سُقِيَ عَسَلًا فِيهِ سَمٌ فمات : يضرب عند الشكامة بمصاب العنق .

وقولهم : ” إِنَّ الْهُوَى يَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّاكِبِ ” أى من هوى شيئا مال نحوه

فيسا أو جيلا ، كما قيل ﴿

وَمَا زُرْتُمْ عَمَّا وَلَكِنْ ذَا الْهُوَى • إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ ١٥

وقولهم : ” إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ ” : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلة .

وقولهم : " إن الشفيق بسوء ظنٍّ مُولَع " : يضرب للفتى بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : " إن خَصْلَتَيْنِ خَيْرُهُمَا الْكَذِبُ لَخَصْلَتَا سُوءٍ " : يضرب للرجل يعتذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : " أَحَادِيثُ طَسَمٍ وَأَحْلَامُهَا " : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : " أَحْسَفًا وَسُوءَ كِلَا " : يضرب لمن يجمع بين خَصْلَتَيْنِ مَكْرُوهَتَيْنِ .

وقولهم : " الْحَقُّ أَتْلَجُ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ " : معناه أن الحق واضح بين والباطل يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجاً .

وقولهم : " الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ " : هذا المثل قاله اكثم بن صيفي .

وقولهم : " اخْتَلَطَ الْخَائِرُ بِالزُّبَادِ " . انماثر : ما خثر من اللبن ، والزُّبَاد : الزبد : يضرب للقوم يعمون في التخليط من أمرهم .

وقولهم : " أَخْطَايَاتِ أَسْتَه الْحُقْرَةِ " : يضرب لمن رام شيئاً فلم ينله .

وقولهم : " ادْعِ إِلَى طِعَانِكَ ، مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى جِفَانِكَ " أى استعمل في حوائجك من تخصه بمعروفك .

وقولهم : " أَرَوَّغَانَا يَا بُعَال ، وَقَدْ عَلِقَتْ بِالْحَبَالِ " معالة : التملب : يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم: "لِإِزِمَ فَقَدْ أَفْقَتَهُ مَرِيْسًا" يقال: أفتت السهم إذا وضعت قُوَّةَه في الوتر: يضرب لمن تَمَكَّنَ من طَلَبَتِهِ .

وقولهم: "أَضِرْطًا وَأَنْتِ الْأَعْلَى؟" قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ، وذلك أنه يَبْنَا هُوَانًا إِذْ جَثَمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ اللَّيْلِ وَقَالَ: اسْتَأْذِنَ فَقَالَ لَهُ سَلِيكُ: اللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتِ مَقْمَرٌ، فَارْسَلْهَا مَثَلًا: ثُمَّ ضَمَّ سَلِيكُ بِيَدِهِ ضَمَّةً أَضْرَطَتْهُ، قَالَ لَهُ: •
أَضِرْطًا وَأَنْتِ الْأَعْلَى فَارْسَلْهَا مَثَلًا: يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم: "أَضَلَّلْتَ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًّا": يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر.
وقولهم: "أَعْطِ أَخَاكَ نَمْرَةً، فَإِنْ أَبَى بِحُمْرَةٍ": يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم: "أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا" معناه لا تَحْتَثِ نَفْسُكَ بِأَنْكَ لَا تَنْظُرْ، ١٠
إِنْ ذَلِكَ يَبْطُوكَ . قال لبيد

أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنْ صَدَقَ النَّفْسُ يُرَى بِالْأَمَلِ

وقولهم: "أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا؟" أى أجمع بين الكبر والفقير .

وقولهم: "أَمْكْرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ؟" هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي سعيد لما قبض عليه وكنَّه، فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تَنْفَضَحَنِي بِأَنْ تَخْرِجَنِي لِلنَّاسِ فَتَقْتُلَنِي بِحُضْرَتِهِمْ فَأَقْعُلْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَمْرُو بِهِذِهِ الْمَقَالَةَ أَنْ يَخَالِفَهُ عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال: أبا أمية! أَمْكْرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ: يضرب لمن أراد أن يَمْكُرَ وهو مقهور .

وقولهم : "أَهْوَنُ هَالِكٍ يَجُوزُ فِي هَامِ سَنَةٍ" : يضرب للشئ يُسْتَخَفُّ بِهِ وبهلاكه .

قال الشاعر

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَنْ تَقَنَّمَا

وقولهم : "أَوْسَعُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ" أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخنت، فلما تواروا صعد أَكَّةً وجعل يسبهم ثم رجع إلى قومه فسأله عن إبله، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى، وذلك أن الحارث بن ورفاء الصيداوى أغار على بنى عبد الله بن غطفان وآستاق إبل زهير وراعيه، فقال زهير في ذلك قصيدته التى أولها

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك أشتياقا أيةً سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يرِدْ الإبل، فهجاه، فقال كعب ابنه : أوسعتهم سبًّا وأودوا بالإبل، فنهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : "أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ" : هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذى يقال فيه : إناك أبلى من مالك، وذلك أن مالكا تزوج بأمرأة وبنى بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكنا تورِدُ يَاسَعْدُ الإبل

فغضب مثلاً لمن قصر في طلب الأمر .

وقولهم : "إِنَّ الشَّقَّ وَأَفْدُ الْبَرَّاجِمِ" قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن
سُوَيْدَ بْنَ رَبِيعَةَ التَّمِيمِيَّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدَ بْنَ هَنْدٍ وَهَرَبَ فَغَدَرَ عَمْرُو لِيَقْتُلَنَّ بِأَخِيهِ مِائَةَ
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَجْمَعُهُمْ فَلَقَهُمُ الْخَبْرَ فَغَضِبُوا فِي نَوَاحِي بِلَادِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا عَجُوزًا
كَبِيرَةً وَهِيَ حِمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ : إِنِّي لِأَحْسِبُكَ أَعْجَمِيَّةً ، قَالَتْ :
• لَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَكَ ، وَهَذَا عِمَادُكَ ، وَيَضَعُ سَادُكَ ، وَيَسْلُبُكَ
بِلَادَكَ ، مَا أَنَا بِأَعْجَمِيَّةٍ ، قَالَ : فَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ ، سَادَ
مَعْنًا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَأَنَا أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ ، قَالَ : فَمَنْ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : هُوَذَّةُ
أَبْنِ جَرْوَلٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟ أَمَا تَعْرِفِينَ مَكَانَهُ ؟ قَالَتْ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَكَانَهُ
حَالِ بَنِي وَدَيْتِكَ ، فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاقِعُهُ لَوْ لَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تُلْدِي مِثْلَ أَيْلِكَ وَأَخِيكَ
• ١٠ وَزَوْجُكَ لِأَسْتَبْقِيَتِكَ ، فَقَالَتْ : وَاقِعُهُ مَا أَدْرَكَتُ ثَارًا ، وَلَا حَمَوْتَ عَارًا ، مَعَ كَلَامٍ
كَثِيرٍ كَلَّمْتَهُ بِهِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى النَّارِ ، قَالَتْ : أَلَا قَتَى مَكَانَ عَجُوزٍ !
فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ مَكَثَتْ سَاعَةً فَلَمْ يَفِدْهَا أَحَدٌ ، فَقَالَتْ : هِيَ صَارَتْ التَّيْتَانِ
حُمَاً ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ وَلَبِثَ عَمْرُو عَامَةً يَوْمَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَحَدٍ ، حَتَّى
• ١٥ إِذَا كَانَ آخِرَ النَّهَارِ أَقْبَلَ رَاكِبٌ يُسَمَّى عَمَّارًا تَوَضَّعَ بِهِ رَاغِلُهُ حَتَّى أَتَاخَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ
لَهُ عَمْرُو : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ ، قَالَ : فَا جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ :
سَطَعَ الدُّخَانُ وَكُنْتُ طَوَّيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ وَطَنَتْنِي طَعَامًا ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ الشَّقَّ وَأَفْدُ
الْبَرَّاجِمِ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ ، قِيلَ : إِنَّهُ أَحْرَقَ مِائَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ :
تَسْعَةً وَتِسْعِينَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ ، وَوَاحِدًا مِنَ الْبَرَّاجِمِ .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غير وافر البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان؛ قال جرير

وأخزأكم عمرو كما قد خُزيتُمْ * وأدرك عماراً شقيّ البراجم

ولذلك عيّرت بنو تميم بحب الطعام؛ قال الشاعر

إذا ما مات مَيّت من تميم * وسرك أن يعيش، بغيّ بزد

بُحْزٍ أو بلحم أو بتمر * أو الشيء المَلْفَف في الجاد

تراه يُنْقَب الآفاق حولاً * ليا كل رأس لثمان بن عاذ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هَلَكَة طمعا .

حرف الباء

١٠ تقول العرب : ” بلغ السيلُ الزَّبى ” هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَر للأُسْد إذا أرادوا صيده لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفاً : يضرب لمن جاوز الحد .

وقولهم : ” بَيْنَ الْعَصَا وَلِحْطِهَا ” الماء : القشر : يضرب للتخالُّف المتفقين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

١٥ وقولهم : ” بينهم داء الضرائر ” هي جمع ضَرَّة يضرب للعداوة إذا ربحت بين قوم .

وقولهم : ” بينهم عِطْرٌ مَنَشَمٌ ” قال الأصمعيّ : مَنَشَم كانت عطارة بمكة وكانت تُزَاعَة وَحُرْمٌ إذا أرادوا القتال طَبَّيُوا مِنْ طِبِّهَا فإذا فصلوا ذلك كثرت

بينهم القتل فكان يقال : أشام من عطر منشم : يضرب في الشر العظيم ، وفيه يقول زهير

تَكَارَكْنَا عَبَسًا وَدُبَّانَ بَعْدَ مَا * تَقَاتَرُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : ” به داءٌ طَبِي ” : أى أنه لا داء به كما أن الطبي لا داء به ، وقيل :

ربما يكون بالطبي داء لا يعرف مكانه معناه أن به داء لا يُعرف .

وقولهم : ” بَلَّغَتِ الدِّمَاءُ الثَّنَنَ ” الثَّنَنُ ، الشعرات التى فى مؤثر رُسْغ الدابة :

يضرب عند بلوغ الشر النهاية .

وقولهم : ” بَرَّحَ الْخَفَاءُ ” أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال الشر فوضع

الأمر ، ويقال : الخفاء المتطاطى من الأرض ، والبراح المرتفع أى صار الخفاء بَرَاخًا .

وقولهم : ” بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ ” : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له

على ما فى نفسه .

وقولهم : ” بَاتَ فُلَانٌ يَشْوَى الْقَرَّاحَ ” : يعنى الماء الخالص لا يخالطه شئ .

يضرب لمن سامت حاله ، وقد ماله بحيث يشوى الماء شهوةً للطبيخ .

وقولهم : ” بَجَّحَ بَجْجَ سَاقٌ بِحَلْخَالٍ ” هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشئ

وكياله . وأول من قال ذلك الْوَرِثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أن ثَعْلَ بْنَ شَيْبَانَ كَانَ زَوْجَ

الْوَرِثَةِ وَكَانَتْ لَا تَتْرَكَ لَهُ أَمْرًا إِلَّا ضَرَبَتْهَا فَتَرَوُجَ رَقَاشَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ عُمَانَ مِنْ

بَنِي ثَعْلَبَةٍ ، فَخَرَجَتْ رَقَاشُ يَوْمًا وَعَلَيْهَا خَلْخَالَانُ ، فَقَالَتْ الْوَرِثَةُ ذَلِكَ ، فَهَبَّتْ مِثْلًا .

حرف التاء

وقولهم : "تَرَكَ الظُّبْيُ ظِلَّهُ" أى كلمته الذى يستظل به : يضرب لمن قر من شيء تركه تركا لا يعود له .

وقولهم : "تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّبْرِ" وهى ليلة ينفر الناس من متى فلا يبقى منهم احد .

وقولهم : "تَرَكَتُهُ أَنْفَى مِنَ الرَّاحَةِ" أى على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى اصطلام الدهر .

وقولهم : "تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بَنَدِيْبَهَا" : أى لا تكون ظمرا وإن آذاها الجوع .

- ١٠ ازل من قاله الحارث بن سليل الأسدى وكان حليفا لعقمة بن حصيفة الطائى فزاره فنظر إلى أبنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها، فقال : أتيك خاطبا وقد يُنكح الخاطب، ويُدْرِك الطالب، ويُمْنَع الراغب، فقال له عقمة: أنت كفء كريم يُقبل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم تنظر فى أمرك، ثم أنكفا إلى أمها، فقال: إن الحارث سيد قومه حبا ومنصبا وبيتا، وقد خطب اليها الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته، فقالت المرأة لأبتها : أى الرجال أحب إليك الكهل المجتاج، الواصل ١٥ المناسح، أم الفتى الوضاح؟ قالت : بل الفتى الوضاح، فقالت : إن الفتى يُغيرك، وإن الشيخ يُغيرك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النازل، كالحديث السن، الكثير المني، قالت يا أماء : إن الفتاة تحب الفتى، تحب الرءاء أنيق الكلا، قالت : أى

بنية! إن القى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ بُلى شَبَابِي، ويدنس ثِيَابِي، وَيُسَمِّتُ بِي أَتْرَابِي. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فزوّجها الحارث على مائة ونمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فأبقي بها، ثم رحل بها إلى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بنى أسد يتعلجون فتغست الصُّعَدَاءُ، ثم أرخت عينها بالبكاء، فقال: مايبكيك؟ قالت: •

مالى وللشيوخ، الناهضين كالقروخ، فقال لها: نَكَلِكِ أَمَك! • تجمع الحرة ولا تأكل بشديها، ثم قال لها: وأبيك، لرب غارة شهدتها، وسيئة أردقتها، ونمرة شربتها، فألحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك، وهذا المثل يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب.

١٠. وقولهم: "تَجَشَّأَ لُقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ": يضرب لمن يدعى ما ليس يملك.

وقولهم: "تُحْجِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَأَتُهُ": أى منظره يخبر عن مخبره.

وقولهم: "تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصِيبَتٍ": أى إلى من لم يهتم بشأنك. قال الشاعر

إنك لا تشكو إلى مُصِيبَتٍ • فاصبر على الحمل الثقيل أو مُتِ

وقولهم: "تَجَاوَزَ الرُّوَضَ إِلَى القَاعِ القَرِيقِ": يضرب لمن يعدل بمحاجته من

١٥. الكريم إلى اللئيم، والقَرِيقُ: المستوى.

وقولهم: "تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ" ويرى: لا أن تراه: يضرب

لمن خبره خيرٌ من مرآه، أول من قاله: المتدبرين ماء السماء.

وقولهم : "تَقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعُ" : يضرب في ذم الطمع .

وقولهم : "تَقَلَّدَهَا طَوَّقَ الْحَمَامَةِ" كناية عن الخصلة القبيحة التي لا تزايله ولا تفارقه .

حرف الشاء

وقولهم : "ثَارَ حَائِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ" الحابل : صاحب الحباله ، والنابل : صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يُضْرَبُ فِي فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم .

وقولهم : "ثَوَّرَ كِلَابٍ فِي الرِّهَانِ أَقْعَدُ" : هو كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة القيسى كان يحق ، وذلك أنه ارتبط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد من القعيد وهو المتخلف المتباطئ : يُضْرَبُ لِمَنْ يروم مالا يكون .

حرف الجسيم

وقولهم : "جَرَى الْمَذَكَّاتِ غِلَابٌ" الْمَذَكَّة من الخيل التى أتى عليها بعد فُروحها سَنَةً أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يُوصَفُ بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل ؛ وأقول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء .

وقولهم : "جَزَاءُ سِنِمَارٍ" وهو الذى بنى الخورنق وتقدم خبره في مبانى العرب .

وقولهم : "جَرَحَهُ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِ أَثْقَه" قالته جندلة بنت الحارث ، وكانت تحت حنظلة بن مالك وهى عنراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة

مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وأقتضها ، فصاحت وقالت : لَسْتُ . قيل أين ؟ قالت : حيث لا يضع الرّاق أنفه : يضرب لمن يقع في أمر لاجيلة له في الخروج منه .

وقولهم : ” جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِلْحًا “ : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : ” بَرَى مِنْهُ مَجْرَى اللَّدُودِ “ وهو ما يُصَبّ في أحد شِقِّ النّهم من الدّواء ، يضرب لمن يُنْقَضُ ويَكْرَهُ .

وقولهم : ” جَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءَ “ . معناه اجتماعُ بالأعداء ، وأقتراق بالقلوب ، وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم ” هَذَنَةٌ عَلَى دَخَنٍ “ : يضرب لمن يُضْمِرُ أذى ويُظْهِرُ صفاء .

وقولهم : ” جَارٌ بَكَارٍ أَبِي دُوَادَ “ ينون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه ، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار ، قال طرفة

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَمْتُ بِهِ * جَارُ بَكَارٍ الْحُنَاقِ الَّذِي أُتَصَّفَا
والحنّاق هو أبو دؤاد .

وقولهم : ” جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيَرَةِ “ قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة زُفْتِ فاطمة إلى عليّ رضي الله عنهما .

وقولهم : ” جَوَّعَ كَلْبَكَ يَنْبَعَكَ “ . أول من قال ذلك ملك من ملوك جَبْرِ كان جائراً على أهل مملكته يسلبهم ما في أيديهم وإن أمر أنه سمعت صوت السّؤال

قالت : إني لأرحم هؤلاء وإني لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، بعدما كانوا لك أتباعا ، فقال : جوع كلبك يتبعك ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا الأخ له : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك وأجلس مكانه ، فوافقهم على ذلك ، ثم وثبوا على الملك فقتلوه ، فتر به عامر بن جذيمة وهو مقتول ، فقال : ربما أكل الكلب مؤذبه إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا ، والمثل يضرب في اللثام وما ينبغي أن يعاملوا به .

وقولهم : " جاءتهم عوانا غير بكر " أى مستحكة غير ضعيفة يريدون حربا أوداهية عظيمة .

وقولهم : " جاء بصحيفة المتلمس " إذا جاء بالداهية ، وكان من خبر صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن أمريئ القيس فجعلهما في صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ، فطال بقاؤهما عنده ، فهجا طرفة عمرا بأبيات قبلفته فاستدعاهما فجاهاما بجاء وكتب منهما إلى أبي كرب عامله على حجر أن يقتلها ، وقال : قد كتبت لكما بجاء ومعروف ، فلما صدرا من عنده ، قال المتلمس لطرفة : هل لك في كتابتنا ، فإن كان فيهما خير مضينا له ، وإن كان شرا آتينا ، فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه السوءة فالتقاء في الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابيه ، قال : ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام وسار طرفة بكتابيه ، فلما انتهى إلى العامل قتله .

وقولهم : " جندلثان أصمطكا " : يضرب لقرتين يتصاولان .

وقولهم : ” جَزَيْتُهُ حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ “ : للكفاة .

- وقولهم : ” جاءوا على بَكْرَةٍ أيهم “ أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد .
وقيل : بل البكرة ثاينث البكر، يصنعهم بالقلعة أى بحيث يحملهم بكرة أيهم . وقيل بل
البكرة التى يُستقى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد ؛
وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أيهم، وقال ابن الأعرابي :
البكرة : جماعة من الناس أى بإجمعهم .

وقولهم : ” جَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّيِّينَ “ : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

- وقولهم : ” حَرَكْ لَهَا حَوَارَهَا نَحْنُ “ الحوار : ولد الناقة ، والجمع القليل أخوة
والكثير حوران وحيران ، معناه ذكره بعض أشجانه يهيج له ، قاله عمرو بن العاص
لعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام ، أى أريهم دم عثمان على قبضه .
وقولهم : ” حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ “ أى أخذتها بالقوة إذ لم يتأت بالرفق .
وقولهم : ” حَذَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ “ أى مثلاً بمثل : يضرب فى التسوية بين
الشيئين ؛ ومثله : حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، وقد تقدم .
وقولهم : ” حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ “ معناه أنه آختر الدهر شَطَرَى خيرَه
وشره فعرف ما فيه .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ" ، قال أمرؤ القيس
 إذا ما لم تكن لِبَلِّ مِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصَى
 فتملا بيتنا أَقْطَا وَسَمْنَا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ
 قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شِيعَكَ
 وريِّكَ ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُقَى" أى آكتف بالقليل
 عن الكثير .

وقولهم : "حسبك من شرِّ سَمَاعِهِ" أى آكتف بجماعه ولا تعابنه ، قال :
 ويموز أن يريد يكفيك سماع الشرِّ وإن لم تقدم عليه ولم تُنسب إليه ، والمثل قالته
 فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أثمار بن بغيض أم الربيع بن زياد ، وذلك أن أبنا الربيع
 كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة دِرْعًا ، فتمرض قيس لأَمِّ الربيع وهى على
 راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عَزْبُ عَنكَ عَقْلُكَ
 يا قيس ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بآتهم يمينًا وشمالًا وقال الناس ما قالوا
 وشاعوا ، وإن حسبك من شرِّ سَمَاعِهِ ، فنحبت كلمتها مثلاً تقول : كفى بالمثالة عارا
 وإن كان باطلا .

وقولهم : "حَلَقْتُ بِهِ عَقَاءً مُغْرِبًا" : يضرب لما يُئس منه ؛ قال الشاعر
 إذا ما أبْنُ عبد الله خلق مكانه * فقد حَلَقْتُ بِالْجُودِ عَقَاءً مُغْرِبًا

قال الميبدانى : والعقَاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان
 بأرض الرِّس جبل يقال له : دَحْجٌ مصعدٌ فى السماء ، وكان يأتيه طائر عظيم لها جعق

- طويلة؛ وهي من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع متصبية وتنقص على الطير فتأكلها، بغاعت يوما وأعوذها الطير فانقصت على صبي فذهبت به فسميت عتاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم أنقصت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صفوان ، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آفة ! فأصابها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلاً .

قال عنزة بن الأعرس الطائي في مرثية خالد بن زيد

لقد حَلَقْتُ بِالْجُودِ عَتَاءَ كَاسِرٍ * كَفَتَّعَاءٍ دَخَّ حَلَقْتُ بِالْحَزْوَرِ
فَإِنْ لَهَا بَيْضٌ فَيُعرفُ بَيْضُهَا * وَلَا شِبْهُ طَيْرٍ مُنْجِدٍ أَوْ مُغَوَّرِ

- وقولهم : "حَتَّامٌ تَكْرَعُ وَلَا تَنْقَعُ" كَرَعَ إِذَا تَنَاوَلَ الْمَاءَ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ :
يضرب للمريض في جمع الشيء .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ إِنْصَاجِهِ أَنْ تَقْتَلَهُ" : يضرب لطالب النار فيقول :
لَأَقْتُلَنَّ فَلَانًا وَقَوْمَهُ أَجْمَعِينَ فَيَقَالُ : لَا تَعْدُ ، حَسْبُكَ أَنْ تَدْرِكَ تَارَكَ وَطَلَبْتَكَ :
ويضرب لمجاوز الحد .

١٥ حرف الخاء

قولهم : "خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَحِينُ" : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة ، ومثله :
خَيْرَ إِنْاءٍ يَكُ تَكْفِثِينَ .

وقولهم: "خامري أم عامر" معناه آستري؛ وأم عامر: الضبع، يشبه بها الأحق،
ومثله: خامري حضاجر، أذاك ما تحاذر: وهو أسم للذكر والأُنثى من الضباع.

وقولهم: "خلا لك الجوف فيضي وأصفرى" قاله طرفة بن العبد، وكان
في سفر مع عمه فتمصب نخاً للقنابر وثر حباً فلم يصد شيئاً، فلما تجملوا رأى القنابر
يلقطن الحب الذي ثره هن، فقال في ذلك

يا لك من قنبرة بمعمِر! * خلا لك الجوف فيضي وأصفرى
وتقرى ما شئت أن تقرى * قد رحل الصياد عنك فابشري
ورفع الفخ فما ذا تحذري؟ * لا بد من صيدك يوماً فاصبري!
يضرب في الحاجة يمتكّن منها صاحبها.

وقولهم: "خلع الدرع بيد الزوج" المثل لرقاش بنت عمرو بن ثعلب بن وائل،
وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، فقال لها: أخلمي؛ فقالت:
خلع الدرع بيد الزوج، قال: أخلميه لأنظر إليك، فقالت: التجرّد لغير النكاح
مثلة، فذهبت كلمتاها مثلين يضربان في وضع الشيء في غير موضعه.

وقولهم
"خلّ سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالقلاة ماؤه"
يضرب لمن كره محبتك وزهد فيك.

وقولهم: "بحمر أبي الروقاء ليست تسكر": يضرب للفتى لا فضل له
على أحد.

حرف الدال

قولهم : " دَمَتْ لِحَنُكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا " أى أَمْسَدَ النَّوَابِثُ قَبْلَ حُلُومِهَا ، وَالتَّمْيِثُ : التَّلْيِينُ .

وقولهم : " دَعِ أَمْرًا وَمَا اخْتَارَ " : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ ، قَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْرِ مَا أَمْكَنَهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينَهُ !
وَأَعْجَبَهُ الْعُجْبُ فَاقْتَادَهُ * وَتَاهَ بِهِ النَّيْهُ فَاسْتَحْسَنَهُ ،
فَدَعَاهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْيِيرُهُ * سَيُضْحَكُ يَوْمًا وَيَبْكِي سَنَةً !

حرف الذال

قولهم : " ذَكَرْنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي " أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين ضلَّاهُ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَفَسَى الْحَمَارَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا رَأَاهَا قَوْمُهَا فَقَالَ : ذَكَرْنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي ، وَقَالَ

لَيْتَ الْقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ * كَيْ لَا تُقَرَّ قَيْحَةُ إِنْسَانَا

وقولهم : " ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا " ويقال : تَفَرَّقُوا ، أَيْ تَفَرَّقُوا تَفَرِّقًا لَا اجْتِمَاعَ مَعَهُ .

وقصة سبيلنا تفرقوا بسبب سبيل العرم مشهورة ؛ وسند ذكرها إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وقولهم : " ذهبوا شَغَرَبَرَّ ، وَشَذَر مَذَر ، وَخَذَعَ مِذَع " أى فى كل وجه .
 وقولهم : " ذَلْ بعد شِمَاسِه الِيعْفُور " : يضرب لمن أفتاد بعد جماعه ؛ واليعفور :
 فرس .

وقولهم : " ذَهَبَتْ طُولَا ، وَعَدِمَتْ معْقُولَا " : يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

وقولهم : " رَمْنِي بِدَانِهَا وَأَنْسَلَّت " أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة
 تَرُوجُ رُحْمَ أبنَةِ الخُزْجِ ، وكانت من أجل النساء ، وكان ضرائرها إذا سَابَّهَا يَقْلُنْ
 لها : ياعلاء ، فصالت لها أنها : إذا سَابَّتِكَ فابْدِئِيَنِ بِذَلِكَ ، ففعلت رُحْمَ ذلك مع
 ضَرَّتَهَا ، فقالت : رَمْنِي بِدَانِهَا وَأَنْسَلَّت ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُسَيِّرُ الآخر
 بما هو يُسَيِّرُ به .

وقولهم : " رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ الْأَثَافِي " وهى قطعة من الجبل يوضع الى جنبها
 حَجْرَانِ وَيُنْصَبُ عليها القدر : يضرب لمن رُمِيَ بداهية عظيمة .

وقولهم : " رَبَّ صَلِّفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ " الصِّلَف : قلة الخير ، والراعدة :
 السعابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السعة .

وقولهم : " رَجَعَ بِخُفِّي حُنَيْنٍ " أصله أن حُنَيْنًا كان إِسْكَافًا بِالْحِجْرَةِ وسأومه
 أَعْرَابِيٌّ بِخُفَيْنِ فَأَخْتَلَفَا حَتَّى أَغْضِبَهُ ، فلما أَرْتَمَلَ الأَعْرَابِيَّ أَخَذَ حُنَيْنُ الْخُفَيْنِ فَالَقَى
 أَحَدَهُمَا عَلَى طَرِيقِ الأَعْرَابِيِّ ، ثم أَلْقَى الآخرَ بِمَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى طَرِيقِهِ ، فلما مرَّ
 الأَعْرَابِيٌّ بِالْخَلْفِ الْأَوَّلِ قَالَ : مَا أَشْبَهَ هَذَا بِخُفِّ حُنَيْنٍ وَلَوْ كَانَا خُفَيْنِ لِأَخَذْتُهُمَا ،

ثم مرّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحلته وأنصرف إلى الأول وقد كَنَّ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفي حنين ، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالحيلة .

وقولهم : "رُبَّ ساجٍ لقاعد ، وآكلٍ غير حامد" أول من قاله النابغة الذبياني ، وكان سبب ذلك أن وفدًا وفد إلى النعمان وفيهم رجل من بني عبّس يقال له : شقيق ، فأت عبّس ، فلما حبا النعمان الوفود بعث بجباثه إلى أهله ، فقال النابغة في ذلك

أتى أهله منه جِباءٌ ونعمة * ورُبَّ أمرٍ يُيسى لآخر قاعدٍ

وقولهم : "رُبَّ ملوم لا ذنبَ له" قاله أكرم بن صيفي ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره ؛ وقيل : إن رجلا قال للأحنف ١٠ ابن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : "رُبَّ كلمةٍ تقول لصاحبها دغني" : يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإيجار ؛ ذكروا أن ملكا من ملوك حمير خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقها على محضرة ملساء ، فقال النديم : لو أن إنسانا دُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربّ كلمة تقول لصاحبها دغني . ١٥

ومثله قولهم : "رُبَّ رأسٍ حصيدٍ لسان" : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : "رَدَّ الحجرَ من حيث جاءك" : أي لا تقبل الضيم وأرم من رماك .

حرف الزاى

وقولهم : "زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ" : يضرب فى عجب الرجل برهطه .

وقولهم : "زَاحِمٌ بَعُودٌ أَوْ دَعٌ" اى لا تستمن إلا باهل السن والتجربة .

وقولهم : "زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ" ، قالته بعض نساء العرب ، قالوا :

• كان ذوا الإصبع المدوّاتى غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهنّ غيرة عليهنّ ، فاستمع

عليهنّ يوما وقد خلّونّ يتحدثنّ ، فقالت إحداهنّ : لتقلّ كلّ واحدة منا ما فى نفسها ،

ولنصدقنّ جميعا ، فاشتبهت كلّ واحدة من الثلاثة زوجا وصفت من جماله وكجالة وسعة

حاله ، ثمّ أبت الصغرى أن تتكلّم ، فقالوا : لا بدّ أن تقولى ، وألحوا عليها ، فقالت : ﴿١١٦﴾

زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ ، فزوجهنّ .

وقولهم : "زُرْغِيًّا تَرْدَدُ حُبًّا" فله معاذ بن صرم الخزاعى ، وكانت أمّه من عكّ ،

وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانا ، ثمّ خرج يتصيد مع بنى أخواله ، فحمل

على غير ، فلهقه ابن خال له يقال له : الفضبان فضاغما ، فقال له الفضبان : والله !

لو كان فيك خير لمّا تركت قومك ، فقال : زُرْغِيًّا ، تَرْدَدُ حُبًّا ، فأرسالها مثلا ،

وفى ذلك يقول الشاعر

إذا شئتَ أن تُهْلَى فزُرْ متواليًا * وإن شئتَ أن تَرْدَدَ حُبًّا فزُرْغِيًّا

وقال آخر

عليك بإغياب الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى المجر مسلكا

ألم تر أنّ القطر يسأم دائما * ويسأل بالأيدى إذا هو أمسا

حرف السين

وقولهم : "سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ" قاله ضِبَّةُ بْنُ أَدْلَمَ لأمه الناس على قتل قاتل
أبنة في الحرم ، ويقال : إنه خُزَيْمُ بْنُ نُوْفَلِ الْهَمْدَانِي .

وقولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ" أصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء ،
فوقع على ذئب فأكله ، وقال ابن الأعرابي : أصله أن رجلاً من بني غنم يقال له : سِرْحَانُ
ابن هزلة كان بطلاً فاتكأ فقال رجل ! والله لأرعين إيلي هذا الوادي ، فورد بإبله ،
فوجد سرحاناً قتلته ، وأخذ إبله وقال

أَبْلَغُ نَصِيحَةٍ : أَنْ رَأَيْتُ أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ

سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِيَطْعَانَ

يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ" وهو الأسد .

وقولهم : "سَكَتَ الْفَأْ ، وَنَطَقَ خَلْفًا" انخَلَفَ : الردىء من القول
وغیره .

وقولهم : "سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً" أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو بَنِي
عاصم ، وكان قد خرج بابنه آنس ، فوقف بمحزورة مكة ، فأقبل الأخنس بن شريق
التقى فقال له : من هذا ؟ فقال : أبني ! فقال : حياك الله يا فتى [أين أمك ؟]
فقال : لا والله ما أُمِّي في البيت ، ولكنها انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً ،
فقال أبوه : ساء سمعاً فأساء جابَةً ، فأرسلها مثلاً .

وقولهم : "مَحَابُ نَوَّاهُ حَمِيمٌ" : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : "سوء الأسماءك خير من حُسن الصِّرعة" : معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكل مع التهور .

حرف الشين

قولهم : "شُخْبٌ في الإِناء وشُخْبٌ في الأرض" : يضرب لمن يتكلم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : "شَرِيقٌ بالرِّيق" أى ضربه أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : "شِنْشَنَةٌ أعرفها من أنحزم" قاله أبو أنحزم الطائى : وكان له ابن يقال له : أنحزم ، مات وترك بنين ، فوثبوا على جثمه يوما فادموه ، وكان أبوم عاقلاً له فقال

إِن بَنِيَّ ضَرْجُونِي بِالْدِّمِ * شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْحَزَمِ

والشِنْشِنَةُ : الطبيعة والعادة : يضرب في قرب الشبه .

وقولهم : "شَمَرٌ ذَيْلًا ، وَأَدْرَعٌ لَيْلًا" : يضرب على الحث في الجذ والطلب .

وقولهم : "شَنُوءَةٌ بَيْنَ يَتَامَى رُضْعٍ" الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم اجتمعوا على بغور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناه .

وقولهم : "شَيْخٌ بِحَوْرَانٍ لَهُ أَلْقَابٌ" وبعده * الذئب والعقوق والغراب * حَوْرَانٌ بَارِضُ الشَّامِ : يضرب لمن يُظهر للناس العفاف ، ومن حقّه أن يُعْتَزَّزَ منه .

وقولهم : " شَفَلَ الْحَلَى أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا " : يضرب للسؤل شيئا هو إليه
أحوج من السائل .
وقولهم : " شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطَّوْقِ " قاله جَذِيمة الأبرش ، وعمرو هذا هو
أبن أخيه وهو عمرو بن عدى بن نَصْر .

حرف الصاد

قولهم : " صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ " قال ذلك يَسَارُ الكواعب ، وكان عبدا
أسودَ يَرْتَمِي لأهله إِبِلًا مُخَمَّةً ، وكان معه عبد يراعيه ، فترأه يوما سائرين بمحذاه
الإبل التي يراعاها ، فَمَدَّ إلى قَفُوحِ غَلْبِهَا في عِلْبَةٍ ، حَتَّى مَلَأَهَا ثم مَشَى بها ، وكان أَبْفَحَ
الرَّجُلَيْنِ ، حَتَّى أَتَى بها ابْنَةَ مَوْلَاهُ يَسْقِيهَا ، وهى رَاكِبَةٌ عَلَى جَمَلِهَا ، فَنَظَرَتْ إِلَى رِجْلَيْهِ
فَتَبَسَّمَتْ ، ثم شَرِبَتْ اللَّبَنَ وَجَرَّتْهُ خَيْرًا ، فَاَنْطَلَقَ فِرَاحًا حَتَّى أَتَى صَاحِبَهُ ، قَصَصَ عَلَيْهِ
القصة ، فقال : أَخْبَرْتُكَ وَلَا تَسْخَرُ بِنَاتِ الْأَحْرَارِ ؟ فقال : والله لَقَدْ دَحَكَتْ
إِلَى دِحْكَةٍ لَا أُخْبِيهَا ، يريد : ضَحِكَتْ ، وكان أَعْجَمَى اللِّسَانِ ، ثم بَاتَا قَامَ غَلْبٌ فِي عِلْبَةٍ
فَلَأَهَا ، ثم أَتَى ابْنَةَ مَوْلَاهُ ، فَنَبَّهَهَا مِنْ نَوْمِهَا فَاسْتَيْقَظَتْ وَشَرِبَتْ ، ثم أَضْطَجَعَتْ
وَجَلَسَ يَسَارٌ جِالِمًا ، فقالت : مَا حَاجَتُكَ ؟ فقال : مَا أَعْلَمُكَ بِمَاجَتِي ! فقالت :
لَا وَاقِعَ ! فما هى ؟ قال : ذَاكَ الرَّجُلُ الَّذِي دَحَكَتِ إِلَى . فقالت : حَيَّاكَ اللَّهُ ،
واقمت إلى سَقَطٍ لَهَا فَانْجَرَجَتْ مِنْهُ بِخُورٍ وَدُخَانٍ طَيِّبٍ ، وَعَمِدَتْ إِلَى مُوسَى كَانَتْ
تَحْفُ بِه الشَّعْرَ ، وَأَخَذَتْ نَجْمَةً فِيهَا نَارٌ ، فَوَضَعَتْ عَلَيْهَا الْبُخُورَ وَوَضَعَتْهَا تَحْتَهُ ،
وَطَاطَاطَ كَأَنَّهَا تَصْلُحُ الْبُخُورَ ، فَعَمِدَتْ إِلَى مَذَاكِيرِهِ فَسَحَتْهَا بِالْمُوسَى ، فَلَمَّا أَحْسَسَ
بِحَرَارَةِ الْحَدِيدِ . قال : صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ ، ثم أَوْمَأَتْ إِلَى أَنَّهَا تَدْنِيهِ وَقَالَتْ :

إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك، ثم أشمته الدهن على موسى، ورفعته فوضعت بين عينيه فاستلكت بها أنه . وقالت : قم إلى إيلك وابن الخبيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟ قال : أنزك الله، أو قد عمى بصرك ؟

إذ لا ترى أنها ولا أذنين * أما ترى وباصة العينين

هذا أحد الأقوال في هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال : إن أعرايا قدم الحضر بابل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوانج له ، فظن قوم من جبرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا في ماله ، فرغب فيها فزوجه إياها ، ثم اتخذوا طعاما وجمعوا الحى ، وجلس الأعرايى في صدر المجلس ، فاكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرايى ، ثم أتوه بكسوة فاخرة ، فلبسها وقدموا له نجرة فيها بنور لاعهد له به ، وكان لا يلبس السراويل ، فلما جلس على المجمرة ، سقطت مذاكيره في النار، فظن أن ذلك سنة لابد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وأحترقت مذاكيره، ونفرت القوم، وأرتمل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آست لم تعود المجمر، فذهبت مثلا : يضرب لمن لا قديم له .

وقولهم : "صار الزج قدام السنان" : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : "صرح الخفض عن الزبد" : يضرب للأمر إذا أنكشف وتبين .

وقولهم : "صَفَقَهُ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ" هو حاطب بن أبي بلتعة كان حازما ،
فباع بعض أهله ببيعة عُثَيْنٍ فيها حين لم يشهدا حاطب ، فسارت مثلا لكل أمر
ينبهم دون صاحبه .

حرف الضاد

- قولهم : "ضَرَبَهُ ضَرْبُ غَرَابِ الْإِبِلِ" وذلك أن الغريبة تزدحم على
الحياض عند الورد ، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب
في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : "ضَلَّ الدَّرِيصُ نَفَقَهُ" الدَّرِيصُ : ولد الفأرة والبربوع والهمزة
وأشباه ذلك ، ونفقته : بجره : يضرب لمن يُعْنَى بأمره ويُعَدُّ حُجَّةً لخصمه ، فيَنسَى عند
الحاجة .

١٠

وقولهم : "ضَلَّ حِلْمُ أَمْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟" أى هَبْ أَتْ عقلها ذهب
فأين ذهب بصرها ؟ : يضرب في استبعاد عقل الحليم .

وقولهم : "ضَائِفُ اللَّيْثِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ" : يضرب لمن أضطُرَّ لشيء فتزور
بنفسه في طلبه .

١٥

حرف الطاء

قولهم : "طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالِهِ وَعَلَى بُلَلَّتِهِ" قال الشاعر

وصاحب مُرَائِقِي دَاجِيَتُهُ * عَلَى بِلَالٍ نَفْسِهِ طَوَيْتُهُ

ويقال : طويت السماء على بُلَلَّتِهِ إنا طويته وهو نِدْلَانُهُ إِنْ طَوَى يَاسَا تَكْتَمُرُ ،

وإن طوى نِدْيَا عَفْنٍ : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر

ولقد طويْتُكُمْ على بُلَّائِكُمْ * وَعَلِمْتُ مَا قِيَكُم مِنَ الْأَذْرَابِ
فَإِذَا التَّصْرَابُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمَوْتَةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
وَالْأَذْرَابِ : جَمْعُ ذَرْبٍ وَهُوَ الْقَسَادُ .

وقولهم : ” طَوَيْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ “ : غَرَّ التَّوْبِ : أَثْرَكَرَهُ الْأَوَّلُ : يَضْرِبُ لِمَنْ
يُوَكِّلُ إِلَى رَأْيِهِ وَمَا أَتَى عَلَيْهِ .



حرف الظاء

قولهم : ” ظَالِحٌ يَعُودُ كَسِيرًا “ : يَضْرِبُ لِلضَّعِيفِ يَنْصُرُ مِنْهُ هُوَ أَوْ ضَعْفُ مَنْهُ .
وقولهم : ” ظَنَرُ رَعُومٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَمِّ سَوْومٍ “ : الظَّنَرُ ؛ الْحَاضِنَةُ ، وَالرَّعُومُ :
الْمُطَوِّفُ ، وَالسَّوُومُ : الْمَلُولُ : يَضْرِبُ فِي عِلْمِ الشَّقَّةِ وَقِلَّةِ الْأَهْتَامِ .

وقولهم : ” ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحِقْدِ “ : مَعْنَاهُ ظَاهِرُ .

وقولهم : ” ظِلَالٌ صَبِيفٌ مَا لَهَا قِطَارٌ “ : يَضْرِبُ لِمَنْ لَهُ ثَرَوَةٌ وَلَا يُجِدِي
عَلَى أَحَدٍ .

حرف العين

قولهم : ” عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى “ : أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ بِالْجَمَامَةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَتَأَلَّاهُ مَشَقَّةً
بِسَبَبِ الْعَطَشِ ، فَاسْرَى حَتَّى أَدْرَكَ الْمَاءَ فَقَالَ : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى :
يَضْرِبُ لِمَنْ يَجْعَلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ .

وقولهم : ” عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِينُ “ : يَضْرِبُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ حَقِيقَةً .

وقولهم : "عَيْرَ عَارِهِ وَتَدُهُ" أى أهلكه ؛ وأصله أن رجلا أشفق على حمارة فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يتمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : "عند النطاح يُغَلَّبُ الكِبْشُ الأَجَمُّ" وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

- وقولهم : "على أهلها تَجْنِي بَرَأَقِشُ" قالوا : كانت بَرَأَقِشُ كلبَةً تقوم من العرب ، فأغبر عليهم فهربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بنبأها ، فأدركوهم فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بَيْض

بل جناها أخٌ على كَرِيمٍ * وعلى أهلها بَرَأَقِشُ تَجْنِي

وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

- ١٠ وقولهم : "عسى الغَوِيرُ أبُوْسَا" الغَوِيرُ : تصغير غَارٍ ، والأبُوْس : جمع بُوْس وهو الشدة ، قاله الزُّبَاءُ عند رجوع قَصِيرٍ من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير على طريقه ، ومعناه لعل الشرياتيكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرَّ جاء من قبلك .

وقولهم : "عُشْبٌ ولا بَعِيرٌ" : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

١٥

وقولهم : "عَادَ غَيْثٌ على مَا أَفْسَدَ" : يضرب للرجل فيه فساد ، وصلاحه أكثر .

وقولهم : "عاد السهمُ الى النَّزْعَةِ" أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : "عصا الجبان أطول" لأنه يفعل ذلك من فضله ، يرى أن طولها أشد ترهيبا لعدوه من قصرها .

وقولهم : "على الخجير سقطت" المثل لما لك بن جبير العامري، وتمثل به الفرزدق حين لقي الحسين بن علي رضي الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له : ما وراك؟ فقال : على الخجير سقطت؛ فلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والنصر من السماء .

وقولهم : "عادة السوء شرُّ من المغرم" معناه أن المغرم إذا أذيتَه فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : "تَجَمَّعَ لِمَا عَضَهُ الطَّعَانُ" أى صاح ، والظلمان : نَسَعٌ يُشَدُّ بِهِ الْهُودُجُ : يُضْرَبُ لِمَنْ يَضِجُ إِذَا لَزِمَهُ الْحَقُّ . ١٠

وقولهم : "عند الرِّهَانِ تُعَرَفُ السَّوَابِقُ" : يُضْرَبُ لِمَنْ يَدْعَى مَا لَيْسَ فِيهِ .

وقولهم : "عَادَ الْأَمْرُ إِلَى نِصَابِهِ" : يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَتَوَلَّاهُ أَرَابَاهُ .

وقولهم : "عَيْنُكَ عَبْرَى وَالْفَوَادُ فِي دَدٍ" الدُّوُّ وَالْدَدْنُ وَالْدَدَا : اللَّعْبُ وَاللَّهُوُ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ حُرْطًا لِحُرْطِكَ وَفِي قَلْبِهِ خِلَافٌ ذَلِكَ . ١٥

وقولهم : "عُرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الْغَوَادِقِ" ويروى : النَوَابِقُ؛ الرُّفْطَةُ : شَجَرَةٌ خَشَنَةُ الْمَسِّ، وَالْغَوَادِقُ : السَّحَابُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ : يُضْرَبُ لِلشَّرِّيرِ يُكْرَمُ وَيُجَلَّلُ .

حرف الغين

- قولهم: "غُدَّةُ كَعْبَةَ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوءِيَّةَ" قاله عامر بن الطفيل ؛ وذلك أنه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ! وقدم معه أُرَيْدُ بْنُ قَيْسٍ اخو لَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ الشَّاعِرُ لَأَمَّهُ ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل ، قال : "دعهُ ، فإن يُردَّ اللهُ بهُ خيراً يَهْدِيهِ" فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ، مالي إن أسلمتُ ؟ قال : " لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم " قال : تجعل لي الأمر بعدك ، قال : "ليس ذاك إليّ ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء" قال : فاجعلني على الوبر وأنت على المدر ، قال : "لا" قال : فما ذا تجعل لي ؟ قال : "أجعل لك أَعْنَةً الخيل تغزو عليها" ، قال : أوليس ذلك إليّ اليوم ؟ وكان قد أوصى إلى أُرَيْدُ بْنُ قَيْسٍ : " إذا رأيتني أكلته فدر من خلقه فأضربه بالسيف " فاختَرَطَ أُرَيْدُ بْنُ سَيْفِهِ شَبْرًا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلِّهِ ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أُرَيْدُ بْنُ وَمَا بَصَعَ بِسَيْفِهِ ، قال : "اللهم آكفنيهما بما شئت" فأرسل الله تعالى على أُرَيْدُ بْنُ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ صَاحٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وولى عامر بن الطفيل هارباً وقال : يا محمد ، دعوت ربك فقتل أُرَيْدُ بْنُ ، والله لا ملأناها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مُرداً ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم "يمنك الله من ذلك" فسار عامر حتى نزل بيت امرأة سُلُوءِيَّةَ ، فخرجت على ركبته غُدَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فقال : غُدَّةُ كَعْبَةَ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوءِيَّةَ ، ثم مات على ظهر فرسه ؛ وسُلُوءُ أَقْلُ الْعَرَبِ وَأَذَلُّهُمُ ، فسار كلامه مثلاً : يُضْرَبُ فِي خَصْلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا شَرٌّ مِنَ الْآخَرَى .

وقولهم : " غَرَّني بُرْدَاكَ مِنْ خَدَا أَقْلِي " ويروى : من غداقلى ؛ أصل المثل

أن رجلا استمار بُرْدِي امرأة فلبسهما، ورعى بَحْلَقَانِ كانت عليه، فاسترجعت المرأة بُرْدِيها فقالة : يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ ماله طمعاً في مال غيره .

حرف الفاء

وقولهم : " في وَجْهِ الْمَالِ تَعْرِفُ أَمْرَتَهُ " أى نماء وخيره ؛ ويقال : أَمِرَتْ أَمْوَالُ بَنِي فُلَانٍ إِذَا تَمَّتْ وَكَثُرَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَدَلُّ بِحَسَنِ ظَاهِرِهِ عَلَى حَسَنِ بَاطِنِهِ .

وقولهم : " فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ " زعمت العرب أن الأرب أنفقتم تمره فاختلسها الثعلب فأكلها ، فأطلقا يَخْتَصِمَانِ إِلَى الضَّبِّ ، فقالت الأرب : يَا أَبَا الْحَسَلِ ، قَالَ : سَمِعِمَا دَعَوْتَ ، قَالَتْ : أَتَيْنَاكَ لِنَخْتَصِمَ إِلَيْكَ ، قَالَ : عَادِلًا حَكَمًا ، قَالَتْ : فَأَخْرِجْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ ، قَالَتْ : إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : حُلُوَّةٌ فَكُلِيهَا ، قَالَتْ : فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ ، قَالَ : لِنَفْسِهِ بَنَى الْخَمِيرَ ، قَالَتْ : لَطَمْتُهُ ، قَالَ : بِحَقِّكَ أَخَذْتِ ، قَالَتْ : لَطَمَنِي ، قَالَ : حُرٌّ أَنْتَصِرَ ، قَالَتْ : فَاقْضُ بَيْنَنَا ، قَالَ : حَدَّثْتُ حَدِيثَيْنِ أَمْرَةً ، فَإِنْ أَبَتْ فَارْبَعَةً ، فَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ كُلُّهَا أَمْثَالًا .

وقولهم : " فَتَى وَلَا كِلَالِكَ " قاله مُثَمَّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ لَمَّا قُتِلَ .
وقولهم : " فِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا " أَوَّلُ مَنْ قَالَه جَارِيَةٌ مِنْ مَرْيَتِنَةَ ، قَالَ الْحَكَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّفْثِيُّ : نَحَرَجْتُ مُتَفَرِّدًا فَرَأَيْتُ بِأَمْرَةً (وَأَمْرَةً مَوْضِعٌ) ، جَارِيَتَيْنِ أُخْتَيْنِ لَمْ أَرِ كِجَالَهُمَا ، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِمَا ، قَالَ : ثُمَّ هَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعَى أَهْلِي ، وَقَدْ أَعْتَلَّتْ وَنَصَلَ خَضَابِي ، فَلَمَّا صَرْتُ بِأَمْرَةٍ ، إِذَا إِحْدَاهُمَا قَدْ جَاءَتْ ، فَسَأَلْتُ

سؤال مُنكرة، قال قلت : فلانة ؟ قالت : فدى لك أبى وأمى، أنى تعْرِفنى وأنكرك ؟ قال قلت : أنا الحَكَم بن صَخْر، قالت : رأيتك عامَ أوّل شاباً سُوقَةً، وأراك العامَ شيخاً مَلِكاً، وفى دُون هذا ما تُتَكِرُ المرأةُ صاحبها، فنحبت مثلاً، قال قلت : ما فعلتُ أخذك ؟ قال : فتتَفَسّت الصُّعداء، وقالت : تزوّجها ابن عمّها وذهب بها، فذاك حيث تقول

إذا ما قُلتنا نحوَ تَجِد وأهلها ، فحسبى من الدنيا قُولٌ إلى نجد

قال قلت : أما إني لو أدركتُها لتزوّجتها ، قالت : وما يمنعك من شريكها فى حسنها وجمالها وشقيقتها ؟ قال قلت : يَمْنَنى من ذلك قول كُتير حيث يقول
إذا واصلتنا خُلةً كى تزيلنا ، أَيْتانا وقلنا الحاجةُ أوّل

قالت : كثيرُ بنى وبينك، أليس الذى يقول
هل وصل عَزّة إلا وصل غانية ؟ * فى وصل غانية من وصلها خَلَفَ
قال : فتركت جوابها عيّا .

وقولهم : ” فأنكهُ واثقةٌ برى ” زعموا أن امرأةً كُتير لبّنها وطفقت تُهرقه، فقال لها زوجها : لم تهريقينه ؟ فقالت : فأنكهُ واثقةٌ برى : يضرب للفسد الذى وراء ظهره ميسرة .

حرف القاف

قولهم : ” قطعْتَ جَهِيْزةٌ قولَ كلِّ خطيب ” أصله أن قومًا اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيين ، قَتَلَ أحدهما من الآخر قتيلًا ليرضوا بالدية ، فبيناهم فى ذلك، إذ جاءت أمة يقال لها : جَهِيْزة، فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعضُ

أولياء المقتول قتله ، فقالوا : قطعت جبهة قول كل خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : " قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا " : يضرب للبخیل یعتَلّ بالإعدام .
ومثله : " قَبْلَ الْفُلْهِ كُنْتَ مُصْفَرَّةً " .

وقولهم : " قَلْبَ الْأَمْرِ ظَهَرًا لِبَطْنِ " : يضرب في حسن التدبير .

وقولهم : " قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَرَى " : يضرب في الحث على الحد في الأمر .

وقولهم : " قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِكْوَةَ فِي النَّارِ " قاله عُرْفُطَةُ بْنُ عَرَبِطَةَ سَيِّدُ بَنِي هِزْزَانَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَصِينِ بْنِ نَيْتِ الْمَكْلِ حُرُوبٌ وَوَقَافِعٌ ، قَتَلَتْ عُكْلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي هِزْزَانَ ، وَأَسْرَ عُرْفُطَةُ بْنُ عُكْلٍ رَجُلَيْنِ ، قَالَ لَهَا : أَيُّكُمْ أَفْضَلُ لِأَقْتَلَهُ بِصَاحِبِنَا ؟ فَعَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَهُ أَكْرَمُ مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا جَمِيعًا ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا لِلْقَتْلِ ، فَعَمِلَ الْآخَرُ يَضْرِبُ ، فَقَالَ عُرْفُطَةُ : قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِكْوَةَ فِي النَّارِ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا : يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَخَوْفُ بِالْأَمْرِ فَيَجْزَعُ قَبْلَ وَقُوعِهِ . وَهَذَا أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقولهم : " قَدْ يَبْنُ الصَّبْحُ لَذَى عَيْنَيْنِ " : يضرب في ظهور الأمر كَلِّ الظهور .

وقولهم : " قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا " الْقَارَةُ : قَبِيلَةُ قَدْ قَتَلَتْ ذَكَرَهَا فِي الْأَنْسَابِ .

وقولهم : " قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمَلَأُ الْكَثَائِنُ " أَيْ تَوَخَّذُ أَهْبَةُ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ .

ومثله . "قبل الرمي يراش السهم" : يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها .
وقولهم : "قَلْبٌ لَهُ ظَهْرُ الْحَجْنِ" : يضرب لمن كان لصاحبه على مودة، ثم حال
عن عهده .

وقولهم : "قد ألقى عصاه" إذا استقر من سفر أو غيره؛ يقال : إنه لما بوع
لأبي العباس السَّاح، قام خطيباً فسقط القضب من يده، فقام رجل من القوم وأشد
فالت عصاها وأستقر بها النوى * كما قرع عينا بالإياب المسافر
وقولهم : "قد وثى طرفاه" : يضرب لمن ذل وضعف عن أن يتم له أمر؛
قال النجاشي

وإن فلانا والإمارة كالذي * وثى طرفاه بعد ما كان أجدا

وقولهم : "قُدَّتْ سيورهم من أديمك" : يضرب للشيعين يستويان في الشبه
قال الشاعر

* وقُدَّتْ من أديمهم سيورى *

وقولهم : "قد بلغ الشظاظ الوركين" الشظاظ : عويد يُحصل في عروة
الجواقي : يضرب فيما جاوز الحد، وهو كقولهم : جاوز الحزام الطيين .

حرف الكاف

١٥

قولهم : "كان كُراعاً، فصار ذراعاً" : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزاً
قويّاً .

وقولهم : "كلامٌ كالعسل، وفعلٌ كالأسل" : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : "كنت تَبْكِي من الأثر العافى فقد لاقيت أخذودا" : يضرب لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : "كل ذات بعلي ستقيم" هذا من أمثال أكرم بن صيفي ؛ قال الشاعر

أفاطم إني هالك فتبّستى * ولا تجزعى ، كل النساء تقيم

أى ستفارق زوجها .

وقولهم : "كل أربّ نقور" قاله زهير بن جديمة لأخيه أسيد ، ونذكر الخبر في وقائع العرب .

وقولهم : "كل فتاة بأبيها مُصَجَّبة" : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : "كل الصيد في جوف القرا" المرأ : الحمار الوحشى ؛ أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر طلياً ، والثالث حماراً ، فتطاولوا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف القرا : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : "ككدمت غير مكّدم" : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : "كاثور يضرب لما عافت البقر" : يضرب في عقوبة البرىء بذنوب المجرم ، ويأتى ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : "كالكبش يحمل شقرة وزنادا" : يضرب لمن يتعرض للهلاك .

وقولهم : "كالمستغيث من الرمضاء بالنار" : يضرب في الخلقين يحتملان على الرجل .

وقولهم : " كالفاس العجلان " : يضرب لمن عجل في طلب حاجته .

وقولهم : " كلاهما وتمرا " أول من قاله عمرو بن حمران الجعدى ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبد وسنام وتمر ، فقال : أنلى مما بين يديك ، قال : أيما أحب إليك أزُبد أم سنام ؟ فقال : كلاهما وتمرا ، فسارت مثلاً .

وقولهم : " كالباحث عن المنيّة " قال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب في طلب الشيء يؤذى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : " كذى العريكوى غيره وهو راقع " : يُضرب في أخذ البرىء بذنب البطاني ، ويأتى ذكره في أوابد العرب .

وقولهم : " كالمحتاض على عَرَض السراب " : يُضرب لمن يطمع في محال .
وقولهم : " كل لياليه لنا حنادس " : يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكروه .

حرف اللام

١٦

قولهم : " لو ذات سوار لطمنتى " معناه لو ظلمنى من كان كفؤاً لى لمان على ، ولكن ظلمنى من هو دونى ، وهو كقول بعضهم

فلو أنى بليت بهاشمى * خؤولته بنو عبد المّدان
لهان على ما ألقى ولكن * تعالى فانظرى بن أبتلانى

وقولهم : " لو غير ذات سوار لطمنتى " روى الأصمعى : أن حاتماً الطائى مرّ ببلاد عترة في بعض الأشهر الحرم فتاداه أسير لهم : يا أبا سَفانة : أكلنى الإسار

والتمل ، فقال : ويحك ، أسأت إذ توّعت باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم به ثم قال : أطلقوه وأجعلوا يدي في القيد مكانه ، ففعلوا ذلك ، ثم جاءته امرأة يبيعير ليفصده فتحره فلطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتني ، يعني أني لا أقتص من النساء ، ثم عُرِف ، ففدى نفسه فداءً عظيماً .

وقولهم : "لو ترك القطا ليلاً لنام" قالته امرأة عمرو بن مامة ، وقد نزل عليه قوم من مُرايد ، فطرقوه ليلاً ، فأثاروا القطا ، فرأته امرأته فنبهته فقال : إنما هذا القطا ، فقالت : لو ترك القطا ليلاً لنام ، فسار مثلاً : يُضرب لمن يُحمل على مكروه من غير إرادته ؛ وقيل : إن التي قالته له حذام بنت الريان .

وقولهم : "ليس له جلد النمر" : يضرب في إظهار العداوة وكشفها .

وقولهم : "لقد ذلّ من بالث عليه الثعالب" أصله أن رجلاً من العرب كان يسبد صخماً ، بغاء ثعلب فبال عليه ، فقال في ذلك :
أربُّ يبول الثعلبانُ برأسه ؟ * لقد ذلّ من بالث عليه الثعالبُ

وقولهم : "ليس هذا بعشك فأدرجى" : يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : "لم أجد لشفرقي محزاً" : يضرب عنذا في تدبر الحاجة .

وقولهم : "لو سئلت العارية أين تذهين لقلت أكسبُ أهلي ذمّاً" هذا من كلام أكرم بن صيفي : يضرب في سوء الجزاء للنعم .

وقولهم : "ليس من العدل ، سرعة العدل" أي لا ينبغي أن تعجل بالعدل قبل أن تعرف المنزّر .

- وقولهم : " ليس القدامى كالحَوَافِي " : يُضرب عند التفضيل .
- وقولهم : " لو كَوَيْتُ على داو لم أكره " أى لو عوتبتُ على ذنب ما أمتعتُ .
- وقولهم : " ليس على الشَّرْق طَخَاءٌ يَحْجُب " أى ليس على الشمس محاب :
- يُضرب فى الأمر المشهور الذى لا يغنى على أحد .
- وقولهم : " لأ كويته كية المتلوم " أى تجا بلينا ؛ والمتلوم : الذى يتبع الداء حتى يعلم مكانه : يُضرب فى التهديد الشديد .
- وقولهم : " لأمر ما جدع قصيرُ أنفه " قالت له الزَّباء لما رأت قصيرا مجدوعا ، وخبره يأتى فى باب المكائد .

حرف الميم

- ١٠ قولهم : " ما تنفع الشَّفْعَةُ فى الوادى الرُّغْب " الشَّفْعَةُ : المطرة الهينة ، والرُّغْب : الواسع : يضرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا .
- وقولهم : " ما وراعيك يا عِصام ؟ " يقال : أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه بلغه جمال أبنه عوف بن مُحَلَّم فأرسل إليها امرأة ذات عقل ولسان ، يقال لها : عِصام ، وقال : آنهبي لتعلمين بحالها ، فلما آتته إليها ونظرتها خرجت وهى تقول : " تركك الخلداع ، من كشف القناع " فذهبت مثلا ، ثم عادت إليه ، فقال لها : ما وراعيك يا عِصام ؟ فقالت : " صرَّحَ الخُصُّ عن الزُّبد " فأرسلتها مثلا ، وساق الميداني على هذا المثل كلاما طويلا قالت له عِصام فى وصف أعضاء المخطوبة .

وقولهم : " ما يوم حليمة بسر " هي حليمة بنت الحارث بن أبي شير، كان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا في مركني فطيتهم، فلما آتته إلى كيد بن عمرو وذهبت لتخلفه، قبلها، فلطمته وأتت أباه، فقال لها : ويلك أسكتي عنه، فهو أرجاهم عندي ذكاء فؤاد، وإني مرسله، فإن قُتل فقد كفى الله شره، فسار إلى المنذر بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا، فقيل فيه : ما يوم حليمة بسر .

وقولهم : " ما أشبه الليلة بالبارحة " أي ما أشبه بعض القوم ببعض .

وقولهم : " مرعى ولا كالسعدان " قالوا : السعدان أخثر العشب لبنا، ومنايته السهول : يضرب مثلا للشيء، يفضل على أقرانه وأشكاله؛ وأول من قال المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل : بل قالته امرأة من طيء تزوجها امرؤ القيس بن مجر الكندي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت : مرعى ولا كالسعدان، أي إنك إن كنت رضا فليست كفلان .

(١٧)

وقولهم : " ماء ولا كهبداء " صدأ : ركية عذبة؛ قال ضرار السعدي وإني وتيسى بزنب كالذي * تطلب من أحواض صدأ مشربا معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لقرط حسنها، كالذي يرد الماء فإنه يزاحم عليه لقرط عذوبته .

وقولهم : " محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا " هو سالم بن دارة النطقاني، ودارة : أمه، وكان قد هاجم بعض بني فزارة فأغتلته زميل قتلته، فقيه يقول الكيت فلا تكثرُوا فيه الضجاج فإنه * محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقولهم : "مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ" الإِسْجَاحُ : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسن العفو؛ وقد تَمَثَّلَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته؛ ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : "من ينكح الحسنةَ يُعْطِ مَهْرَهَا" أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

- وقولهم : "من سرَّه بنوه ساءت نفسُه" قاله ضرار بن عمرو الضبِّي : وكان ولده ثلاثة عشر رجلا، كلَّهم قد غزا ورأس، فرأهم يوما وأولادهم، فلم أنهم لم يلبثوا هذه الأستان إلا مع كبر سنه، فقال : من سرَّه بنوه ساءت نفسُه، فأرسلها مثلا .
- وقولهم : "من أشبه أباه فإِظلم" معناه ظاهر .

- وقولهم : "من يرَّ يوما يرَّ به" قاله كَلْعَب بن شُؤْبوب الأَسَدِيّ، وكان يُغِير على طيِّئ وحده، فلدغ حارثَةُ بن لأم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع أن تكفيني مؤونة هذا الخبيث؟ قال : بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فاعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائما فى ظِلِّ أراكِةٍ فترل ومعه آخر فأخذ كلَّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترع يده اليمنى من مُسْكَمها وقبض على حَلْقِ الآخِر فقتله وبادر الباقيون فأخذوه وشدوه وثاقا وأتوا به حارثة، فقال له : يا كَلْعَب، إن كنتَ أسيرا فطللا أسرت، فقال : من يرَّ يوما يرَّ به، فأرسلها مثلا، وقال حَوْذَة وهو ابن المقتول لحارثة : أعطنيه أقتله بأبى، فقال : دونك ! وجعلوا يتكلمون وهو يمالج كلَّهم حتى آنحَل، ثم وثب على رجله فاتبعوه بالخيل فأعجزهم .

وقولهم : "مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعَثَارَ" الْجَدُّ : الأرض المستوية : يُضْرَب فى طلب العافية .

وقولهم : "مَنْ يَشْتَرِي سِيفِي وَهَذَا أَثَرُهُ؟" قاله الحارث بن ظالم، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسي على ما ذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب، فوجه النعمان فوارس في طلبه فأدركوه بحرا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكروا عليه بفعل لا يقصد الجماعة إلا فرقها وهو يقول : من يشتري سيفي وهذا أثره، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : "مِنْ مَالٍ جَعْدٌ وَجَعْدٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ" قاله جعد بن الحُصَيْن أبو جعفر ابن جعد الشاعر، وكان قد كبر ففتزق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جارية سوداء تخدمه، فعلمت بفتي من الحَيِّ يقال له : عَرَابَةٌ، فجلست تنقل إليه ما في بيت جعد، ففطن جعد لذلك، فقال في ذلك

أبلغ لديك بنى عمرو مُنْغَلَةً * عمرا وعَوْفا وما قولى بمردود
بأنَّ بَنِي أُمِّى فوق دَاهِيَةٍ * سوداء قد وعدتني شرَّ موعود
تُعْطِي عَرَابَةً بالكُفَيْنِ مُجْتَنَحًا * من الخَلُوقِ وتُعْطِينِي على العود
أُمِّى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسْرَبُهُ * من مَالٍ جَعْدٍ، وجعدٌ غير محمود
يُضْرِبُ للرجل يصاب من ماله ويَنَمُّ .

وقولهم : "من مأمنه يؤتى الحذر" قاله أكرم بن صيفي .

وقولهم : "من يمشي يرص بمركب" : يضرب للذي يضطر إلى ما كان يرغب عنه .

وقولهم : "من يلق أبطال الرجال يكلم" قاله عُقَيْل بن علقمة المِزَنِي ، وقد رماه عمّلس ابنه بسهم فحل نخذه، فقال أبياتا منها

إِنَّ بَنَى زَقْلُونَى بِالْدَمِ * شَيْشَنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْزَمِ

* مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ *

وقولهم : " مَنْ لَا يَذْدُ عَنْ حَوْضِهِ يُهْلَمُ " أى من لم يدفع عن نفسه يُظلم ،
قاله زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

وقولهم : " مَكْرَهُ أَخْوَكُ لَا بَطْلَ " قاله أَبُو حَاشٍ خَالِ يَهُيسَ : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُجَلُّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : " مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرْقِ " : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعَانِيهِ
صَاحِبُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ .

حرف النون

١٠ قولهم : " نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامًا " هو عَصَامُ بْنُ شَهْبَرٍ حَاجِبُ النُّعْمَانِ
ابْنِ الْمُنْدَرِ : يُضْرَبُ فِي نَبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ؛ وَقِيلَ فِي هَذَا

نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامًا * وَعَلِمْتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

* وَصَبْرَتُهُ مِلْكَاهُمَا *

وقولهم : " نَظَرَةٌ مِنْ ذِي عَلَقٍ " أى مِنْ ذِي هَوًى : يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْظُرُ بَوْدَ .

١٥ وقولهم : " نَزَّتْ بِهِ الْبِطْنَةُ " : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَحْتَمِلُ النُّعْمَةَ ؛

قال الشاعر

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي يَبْطِطُهُ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم : ”نجوتُ وأرهتُهم مالكا“ قال عبد الله بن همام السلولي

فلما خَشِيتُ أظافيرهم * نجوتُ وأرهتُهم مالكا

يُضرب لمن ينجو من هلكة تنسب فيها شركاؤه وأصحابه .

وقولهم : ”نام عصام ساعة الرحيل“ : يُضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولى .

حرف الهاء

وقولهم : ”هذنةٌ على دخن“ .

وقولهم : ”هذا أوانٌ شدكم فشّدوا“ .

ومثله قولهم : ”هذا أوانٌ الشد فاشتدّى زيم“ قال الأصمعي : زيم : أَسَم

فرس : يُضرب للرجل يؤمر بالحد .

وقولهم : ”هو على حبلٍ ذراعك“ أى الأمر فيه إليك : يُضرب فى قرب

المتناول ؛ وحبل الذراع : عِرْقُ فى اليد .

وقولهم : ”هان على الأملس ما لاقى الدبر“ : يُضرب فى سوء اهتمام الرجل

بشأن صاحبه .

وقولهم : ”هوين حاذِف وقاذِف“ الحاذِف بالعصا ، والقاذِف بالحصى :

يُضرب لمن هوين الشرين .

وقولهم : ”هو على طَرَف الثَّامِ“ الثَّامُ : نبت ضعيف سهل المتناول تسد به

خصائص البيوت ، وربما حُشيت به الخُثَاذُ قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان :

يُضرب فى تسهيل الحاجة وقرب النجاح .

•

١٠

١٥

وقولهم : " هي اعلمر تكتني الطلاء " : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

- قولهم : " وافق شَنَّ طَبَقَةً " قال الشرق بن القطامي : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له : شَنُّ ، فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله فيترجها ، فيبينا هو في بعض مسيره إذ واقفه رجل في الطريق فسارا جميعا ، فقال له شَنُّ : أتجملني أم أحملك ؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب ، فكيف تجملني أو أحملك ؟ ! ثم سارا فأتيا إلى زرع قد استحصد ، فقال شَنُّ : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك ، بنتا مستحصدا فتقول : أكل أم لا ! فسكت ، ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة ، فقال شَنُّ : أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي ؟ ! فسكت عنه شَنُّ وأراد مفارقه فآلى أن يتركه وسار به إلى منزله ، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سأله عن ضيفه ، فقال : ما رأيت أجهل منه ، وحثثا بحديثه ، فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل ! قوله : أتجملني أو أحملك ؟ أراد أن يتحدثني أم أحدثك ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فاكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقمع مع شَنُّ لحادثه ، وقال له : أتحب أن أفسرك ما سألتني ؟ قال نعم ، فقصره ، فقال شَنُّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرني من صاحبه ؟ فقال : أبنه لي ، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شَنُّ طبقة ، فذهبت مثلا : يضرب للتواقفين ؛

وقال الأصمعي : هم قوم كان لهم وعاء من أديم قتشن فجعلوا له طبقا فواقه قليل : وافق شن طبقه ، ورواه أبو عبيدة في كتابه ، وقال ابن الكلبي : طبقة : قبيلة من إباد كانت لا تطلق فأوقعت بها شن بن أنصى بن دُعَيْي فانتصفت منها وأصاب فيها فضربتا مثلا وأنشد

لَقَيْتُ شَنْ إِيَادَا بِالْقَنَا * طَبَقًا ، وافق شَنْ طَبَقَهُ

وقولهم : " وجدتُ الناسَ أَخْبَرْتُ قَلَهُ " أصله أَخْبَرُ الناسَ تَقْلَهُم : يُضْرَب في ذمِّ الناسِ وسوءِ معاشرتهم .

وقولهم : " وَلَوْ دُ الوعد عَاقِرُ الإِنْجَازِ " : يُضْرَب لمن يكثر وعده ويُقْلُ قَلُهُ .

وقولهم : " وَدَعَّ مَالًا مُودِعُهُ " لأنه إذا أَسْتودِعَهُ غيره فقد ودَّعه وغرَّر به ولعله لا يرجع إليه .

وقولهم : " وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبِئْسَ الْمَنْهَلُ " : يُضْرَب في التَّهْي عن أَسْتِمَالِ الجَهْلِ .

ما جاء في ما أوله (لا)

قولهم : " لا تَحْبَأْ لِطَرِّ بَعْدَ عَرُوسٍ " ويقال : " لا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ "

أول من قاله امرأةٌ من عُدْرَةَ ، يقال لها : أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بني عَمَها يقال له : عَرُوسٌ ، فمات عنها ، فترَّجَّها رجل من قومها يقال له نَوْقَل ، وكان أَعْسَرَ أَيْحَرَ بَخِيلًا ذَمِيمًا ، فلما دخل بها قال : ضَمْنِي إِلَيْكَ عِطْرُكَ ، فقالت : لا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ، فذهبت مثلا ، ويقال : إن رجلا تزوج امرأة ، فلما أهديت إليه

وجعلها نِفْلَةً فقال لها : أين الطَّيْبُ ؟ فقالت : حَبَّأْتُهُ ، فقال لها : لَا تَحْبَأْ لِعَظِيمٍ بَعْدَ عَرُوسٍ : يُضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ لَا يُلْتَحَرُّ عَنْهُ نَفِيسٌ .

وقولهم : ” لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ “^(١) : يُضْرَبُ لِمَنْ أَصِيبَ وَتُكِبَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، يُقَالُ هَذَا مِنْ امْتِثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي عَرَّةَ الشَّاعِرِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَسْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَنُيِّنَ عَلَيْهِ وَأُطْلِقَهُ .
ثم أتاه يوم أُحُدٍ فأسره ، فقال : مَنْ عَلَى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ” لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ “ أي لو كنت مؤمناً لم تعد لقتالنا .

وقولهم : ” لَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ “ أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيُّ^(٢) ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ غَسَّانَ كَانَ يَطْلُبُ فِي بَنِي عَامِرٍ ذَحْلًا فَأَخَذَ مِنْهُمْ مَالِكًا وَسِمَاكَ ابْنَيْ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ فَاحْتَبَسَهُمَا زَمَانًا ثُمَّ دَعَا بِهِمَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَاتِلُ أَحَدِكُمَا ، فَايَكَا أَقْتُلُ ؟ فَبُغِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ : أَقْتُلْنِي مَكَانَ أُخَى ، فَقَتَلَ سِمَاكَ وَخَلَّى سَبِيلَ مَالِكٍ ، فَقَالَ سِمَاكَ حِينَ ظَنَّ أَنَّهُ مَقْتُولٌ

فَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا ، * لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَى مَرْقَبٍ * وَيَوْمَا عَلَى طُرُقٍ وَارِدَةٍ
فَأَمَّ سِمَاكَ فَلَا تَجْزَعِي : فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ

وَأَنْصَرَفَ مَالِكٌ إِلَى قَوْمِهِ فَأَقَامَ فِيهِمْ زَمَانًا ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مَرَّ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ يَتَغَنَّى بِقَوْلِ سِمَاكَ * فَأَقْسَمَ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا * فَسَمِعَتْهُ أُمُّ سِمَاكَ ، فَقَالَتْ : يَا مَالِكُ ، قَبِحَ اللَّهُ الْحَيَاةَ بَعْدَ سِمَاكَ ، أَخْرَجَ فِي الطَّلَبِ نَفْرَجَ فَلَقِيَ قَاتِلَ أَخِيهِ يَسِيرُ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ :

(١) كَذَا فِي الْأَسْلَى وَبِجَمْعِ الْأَمْثَالِ وَفَرَاغِ الْأَلِّ : ” لَا يَلْسَعُ “ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَسْلَى وَبِجَمْعِ الْأَمْثَالِ : ” الْعَامِلُ “ بِالْأَمِّ وَفِي فَرَاغِ الْأَلِّ : ” الْبَاحِلُ “ .

من أحسَّ لى الجملَ الأحمرَ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك آكف ولك مائة من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فنهبت مثلا .

وقولهم : "لا يرسل الساق إلا مُسكا ساقا" أصله فى الحرياء : يضرب لمن لا يدع حاجة إلا سال أخرى .

وقولهم : "لا ماء لك أبقيت، ولا حرك أبقيت" ويروى : ولا درنك ؛ أصله أن رجلا كان فى سفر ومعه امرأته، وكانت عاركا فطهرت وكان معها ماء يسير فاغتسلت به فغدد ولم يكفها لنفسها فمطشا فقال هذا القول فسار مثلا، وقيل : إن الذى قاله الضب بن أروى الكلاعى قاله لامرأته عمرة بنت سبيع ؛ قال القرزقى وكنت كذات الحوض لم تبق ماعا * ولا هى من ماء العذابة طاهر

وقولهم : "لا ناقتى فى هذا ولا جملى" المثل للحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة ثكليا وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتلها الحارث ؛ قال الراعى وما هجرتك حتى قلت مُعلنة * لا ناقة لى فى هذا ولا جملى يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : "لا يتطح فيها عزان" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقولهم : "لا يُنبِتُ البقلة، إلا الحقللة" الحقللة : القراع، أى لا يلد الوالد إلا مثله . ويضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .

وقولهم : "لا تدخل بين العصا ولحائها" : يضرب فى المتخالفين المتصافين .
وقولهم : "لا يحزنك دم هراقه أهله" قال هذا المثل جذيمة : يضرب لمن يوقع نفسه فيما لا تحلص له منه .

حرف الياء

وقولهم : "يَدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ تَفَخَّ" أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زِقْ قد تَفَخَّ فيه فلم يُحَسِّنْ لإحكامه ، فلما توسط البحر خرجت منه الريح ففرق فاستغاث برجل ، فقال له : يَدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ تَفَخَّ ، فذهبت مثلا : يُضْرَبُ لمن يَمْنَى على نفسه الحَيْنَ .

وقولهم : "يَسْجُجُ وَيَأْسُو" : يُضْرَبُ لمن يُصِيبُ في التدبير مرةً ويخطئ أخرى ؛ قال الشاعر

إِنِّي لَا كَثِيرٌ مَا سُمِنْتُ عَجَبًا * يَدُ تَسْجُجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُو

وقولهم : "يُسِرُّ حَسَوًا فِي أَرْتَعَاءٍ" أصله أن الرجل يُؤَنَّى باللبن فيُظْهِرُ أَنَّهُ يريد الرِّغْوَةَ خاصَّةً فيشربها ، وهو في ذلك ينال من اللبن : يُضْرَبُ لمن يُرِيكَ أَنَّهُ يُعِينُكَ وَإِنَّمَا يَحْتَزُّ النَّعْجَ إِلَى نَفْسِهِ ؛ قَالَ الْكَلْبُ

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُودًا * وَنَحْسَاءَ بِمِلَّةٍ مُرْتَفِنَا

وقولهم : "يَمْشِي رُؤِيدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا" : يُضْرَبُ للرجل يُدْرِكُ حَاجَتَهُ فِي تَوَدِّعٍ وَوَدْعَةٍ ، وَيُلْشِدُ فِيهِ

تَسَالَى أُمُّ الْوَلِيدِ جَمَلًا * يَمْشِي رُؤِيدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا

وقولهم : "يُصْبِحُ ظَمآنًا فِي الْبَحْرِ كُهُ" : يُضْرَبُ لمن يعاشر بخيلا مُتْرِبًا .

وقولهم : "يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ" مأخوذ من قول عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ مِنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَاجِدًا * يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ .

وهو الحبل الذي يُشَدُّ فِي وَسْطِ الْعَرَّاقِ : يُضْرَبُ لمن يبالغ فيما يلى من الأمر .

وقولهم : "يُكْوَى البعيرُ من يسيرِ الداء" : يُضْرَبُ في حَمِّ الأَمْرِ الضَّائِرِ
قبل أن يَظْمَ ويتَنَاقَمَ .

وقولهم : "يعود على المرء ما يَأْتَمُرُ" وَيُرَوَّى : يَعْتَدُوْهُ مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ
مَا تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتَمُرُ، أَيْ يَتَّبِعُهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِدٌ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ،
وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

أَحَارِبَنَّ عَمْرُو كَأَنِّي نَجْرُ * وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ

وَمَا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

❦

أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ جُرْجَرٍ : قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْأَسْتِشْهَادِ عَلَى أَمْثَالِ
الْعَرَبِ مَا يُسْتَفْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ

١٠

وَالسِّرُّ خَيْرُ حَقِيَّةِ الرَّجُلِ * * رَضِيَتْ مِنَ الْفَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ *
إِنْ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبُ *

وَقَالَ أَيْضًا

وَقَامَ جَنَمُ بَنِي أَبِيهِمْ * وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِتَابُ

وَقَالَ

١١

فَإِنَّكَ لَمْ يَخْضَرْ عَلَيْكَ كُفَاخِرُ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ يَقُولُ

وَمَنْ يَتَرْتَبِ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ * وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ
وَمِمَّا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وَلَوْ خَلَعَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

ومن لا يصابغ في أمور كثيرة * يضر من بانياب ويوطأ بمنس
ومن يحمل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يستم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذم
ومن لا يند عن حوضه بسلاحه * يهتد ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه * مطيع العوالي ركب كل لهدم

وقال أيضا

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه * وتفرس إلا في منابتها النخل

وقال أيضا

والستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

وقال أيضا

فإن الحق مقطعه ثلاث * يمين أو قار أو جلاء

يقول: إنما الحقوق تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة واضحة؛
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتجرب من معرفته بمقاطع الحقوق .

التابعة الذبياني : اسمه زياد بن عمرو، ويكنى أبا أمامة ؛ غلب عليه "التابعة"؛

لأنه عبر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقالاه ؛ وكذلك الجعدى ؛ وقيل : إنما لقّب بالتابعة
لقوله

* فقد نبقت لهم منا شؤون *

وقيل في نسبه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة

أبن عوف بن سعد بن ذبيان .

فما يُتمثل به من شعره قوله

* فإنك كالليل الذى هو مُدرِكى * * فإن مطية الجهل الشباب *

وقال

ولست بمُستبِق أخا لا تُلْمُه * على شَعَث، أى الرجال المهْدَب؟

وقال أيضا

استبقِ ذلك للصديق ولا تكن * قَتَبًا يَعْضُ بفارِغٍ مِلْحاحًا

طرفة بن العبد يقول

* حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضٍ * * ما أَشَبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ *

وقال أيضا

سُبْدَى لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

١٠

وقال أيضا

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالشَّكِّ أَنَّهُ * إِذَا ذَلَّ مَوْتَى الْمَرْءُ فَهُوَ ذَلِيلٌ

أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ يَقُولُ

فَإِنْكَأَ يَا أَبَجَى حُبَابٍ وَجَدْتُهَا * كَنْ دَبٍّ يَسْتَخْفِي فِي الْكَفِّ جُلُجُلٌ

وقال أيضا

١٥

وَمَا يَمْنَحُ الْبَازِي بَغِيرَ جَنَاحِهِ * وَلَا يَحْمِلُ الْمَاشِيْنَ إِلَّا الْحَوَامِلُ

إِذَا نَتَّ لَمْ تَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَانْخَلَا * أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وقال أيضا

لَسْتُ بِخَافِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا * حَذَارَ غَدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

بشر بن أبي خازم يقول

« وأيدى الندى في الصالحين قروض * كفى بالموت نأيا وأغترابا »

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليل المال تُصلحه فيق * ولا يبقَ الكثيرُ مع الفسادِ

وقال أيضا

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقَرِّعُ العصا * وما عُلِمَ الإنسانُ إلا ليعلمها
ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جعلتُ لهم فوق العرائنِ ميسما
وما كنتُ إلا مثلَ قاطعِ كفه * بكفٍ له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا

ولا يُقيم على ذلِّ يراقبه * إلا الأذلانِ غيرُ السوءِ والوئدُ
هذا على الخلفِ مربوط برُقتِه * وزا يُسَجُّ فلا يرثي له أحدُ

الأفوه الأودى يقول

إنما نعمةُ دنيا مُتعة * وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعارُ

وصروفُ الدهرِ في أطباقه * حلقةُ فيها أرتفاعُ وانحدارُ

بينما الناس على عليائها * إذ هووا في هوةٍ منها فثاروا

وقال أيضا

والبيت لا يُبتنى إلا له عمْدُ * ولا عمادَ إذا لم تُرَمَّ أوتادُ

فإن تجمَّع أوتادُ وأعمدةُ * وساكنُ، بلغوا الأمر الذي كادوا

تُهْدَى الأمورُ بأهلِ الرأى ما صلحت * وإن تولَّتْ فبالأشرارِ تنقادُ

لا يصلحُ الناسُ فَوْضَى لا سَراةَ لهم * ولا سَراةَ إذا جُهاَلهم سادوا

تميم بن أبي مقبل يقول

١. ابن أبي مقبل

خليلى لا تستعجلا وأنظرا غدا * عسى أن يكون الزنى فى الأمر أرسدا
وقال أيضا

ما أنتم العيش ! لو أن الفتى حجر * تلبوا الحوادث عنه وهو ملبوم

حميد بن قور يقول

أرى بصرى قد رابى بعد محبة * وحسبك داء أن تصح وتسلما
ولن يلبث العصران يوما وليلة * — إذا طلبا — أن يدركا ما تيمما

على بن زيد يقول

كنى واعظا لروء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتفتدى
عن المرء لانسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
وظلم ذوى القرى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله * وقام جناة الشر للشر فأقعد

١٠

١١

وقال أيضا

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وقال

١٥

قد يدرك المبطئ من حظه * والتخير قد يسبق جهد الحريص

وقال

لو بنير الماء حلنى شرقى * كنت كالتصان بالماء أعتماوى

وقال

فهل من خالد إما هلكا * وهل بالموت يالأناس عار ؟

٢٠

الأسود بن يعفر يقول

ماذا أؤمل بعد آل عرق * تركوا منازلهم وبعد إباد
أرض تخيرها لطيب مقيلا * كعب بن مامة وابن أم دؤاد
أهل الخورق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سناد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنهم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير لي يلى ونفاد

علقمة بن عبدة يقول

فإن تسألوني بالنساء فإنني * عليم بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في وحن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمه * وشرخ الشاب عندهن عجيب

وقال أيضا

وكل حصن وإن طالت إقامته * على دعائمه لا بد مهسوم
ومن تعرض للغربان يزجرها * على سلامته لا بد مشسوم

عمرو بن كلثوم يقول

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصحبنا
وإن غدا وإن اليوم رهن * وبعد غد بما لا تعلمنا

الحارث بن حلزة يقول

لا تكسع الشول بأغارها * إنك لا تدري من النائج
وأصعب لأضيافك ألبانها * فإن شر اللبن الواج

حاتم الطائي يقول

أماوى ما يُفنى الثراء عن الفنى * إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر
وقد عِلِمَ الأقوامُ لو أن حاتماً * أراد ثراء المال، كان له وفرٌ
وقال أيضاً

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤاله * وفرجك، فالامتى الذم أجمعاً

المرقش الأصغر يقول

ومن يلق خيراً يحمّد الناس أمره * ومن يفو لا يعدم على الفنى لائماً

التمر بن قولب يقول

يود الفنى طول السلامة جاهداً * فكيف تُرى طول السلامة بفعل؟

وقال أيضاً

ومنى تُصبك خصاصةً فارح الفنى * وإلى الذى يهب الرغائب فارغ
لا تنفضبن على أمرى فى ماله * وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وقال

فلا وأبى، الناس لا يعلمو * ن، لتخير خيرٍ وللشر شر

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نُسّر

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول

أعزز على تغليب بما لقيت * أخت بنى الأكرمين من جُثم

أنكحها قتلها الأراقم فى * جنب وكان الحلباء من آدم

لو بأبائين جاء يخطبها * ضُرج ما أنف خاطب بدم

ليسوا بكفائت الكرام ولا * يثنون من ذلة ولا عديم

طَقِيلُ الْغَنَى يَقُولُ

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا * مِنْهُنَّ مُرٌّ، وَبَعْضُ الْمَرْءِ مَا كَوُلُّ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقِي * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَذُ مَفْعُولُ

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يَقُولُ

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنَّينَ تَابَعْتُ * عَلَى وَلَكِنْ شَيْتَنِي الْوَقَائِعُ

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرَا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَسَالَ رَغِيْبَةً * وَمُيْلُغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِيحٍ

الْأَعْمَشِيُّ : وَهُوَ مِمِّيُونُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَقُولُ

كَطَاحٍ حَضْرَةٍ يَوْمًا لِفَلَقِهَا * فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

وَقَالَ أَيْضًا

تَعَالَوْا فَإِنَّ الْحَكَمَ عِنْدَ ذِي النِّهْيِ * مِنَ النَّاسِ كَالْبَلْقَاءِ بَادٍ مُجْمُولُهَا

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ يَفْزُبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَيُّ * يَكُنْ مَا أَثَارَ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَجَا

وَقَالَ أَيْضًا

عَوْدَتِ كَنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا * اغْفِرْ لَهَا وَلَهَا وَرَوْ مَجَاهِلَا

لَقِيْطُ بْنُ مَعْبُدٍ يَقُولُ

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ * ثُمَّ أَفْزِعُوا، قَدْ بَنَى الْأَمْرَ مَنْ فَزَعَا
هِيَهَاتَ، مَا زَالَتِ الْأَمْوَالُ مَدَّ أَيْدٍ * لِأَهْلِهَا — إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً — تَبَعَا

تأبط شرًا : وهو ثابت بن جابر يقول

تَفَرَّعْتُ عَلَى السَّنِّ مِنْ نَدِيمٍ * إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِ

المثقَّبِ العبدىَّ يقول

فَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَنَّى بِحَقِّ * فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَيًّا مِنْ سَمِينِ

وَالْأَفْطَرَحْنِ وَأَتَّخِذْنِ * عَلَوًا أَتَقِيكَ وَتَتَقِينِ

فَإِنِّ لَوْ تَعَانَدْنِ شِمَالِ * عَنَّاكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِ

المُرَّقِ العبدىَّ يقول

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوَّلَا مَكَرًا أَنْتَ أَكَلِ * وَإِلَّا فَادْرِكْنِ وَلِمَا أَمْرِي

أَفَنُونَ التَّغْلِبِيَّ يقول

لِمَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِ * إِذَا هُوَ لَمْ يَحْمِلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا

الأَضْبَطِ بْنِ قَرَيْعِ السُّعْدِيِّ يقول

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ أَكَلِهِ .. وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ

لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عِلَّاكَ أَنْ * تَرْكَبَ يَوْمًا وَالْدَهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وَأَقْبِلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ * مِنْ قَرَعِنَا بَيْتِهِ نَفَعَهُ

سُوَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ يقول

رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ

وِرَانِي كَالشَّحَى فِي حَلْقِهِ * عَمِيرًا تَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ

وَيُحْبِبُنِي إِذَا لَا قِيَتُهُ * وَإِذَا يَتَحَلَوْهُ لِحْمِي رَنَعُ

أَتَهَيَّ مَا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ .

ومما يتمثل به من أشعار المخضرمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم لييد بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع

ونمسون سنة يقول

• وإذا رُمّت رحيلا فارتحل * وأعص ما يأمر توصيمُ الكسل
وأكذب النفس إذا حدّتها * إن صدق النفس يُزرى بالأمل

وقال أيضا

وما المسأل والأهلون إلّا ودِيعَةٌ * ولا بدّ يوما أن تردّ الودائعُ
وما المرءُ إلّا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد إذ هو ساطعُ

وقال أيضا

١٠

كانت قناتي لا تلين لغامر * فالانها الإصباحُ والإمساء
ودعوتُ ربّي في السلامة جاعدا * ليُصحني فإذا السلامة داء

وقال أيضا

ذهب الذين يُعاش في أكافهم * وبقيت في خلف بجلد الأجر

وقال أيضا

١٥

إلى الحول ثم أسمُ السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا قد اعتذر

كعب بن زهير يقول

ومن دعا الناس إلى ذمه * ذقوه بالحق وبالباطل

مقالةُ السوء إلى أهلها * أسرع من متحدر سائل

الناطقة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله ، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى الناطقة : أبا ليل ، وهو أسن من الدياني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بنى أمية ،
وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم " لا يفضض الله فاك " فاسقطت له
سن ، وفي رواية : فكان أحسن الناس نفرا إذا سقطت له سن تبت له أخرى ، وعاش
عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر .

ومما يُمَثَّل به من شعره قوله

ولا خيرَ في حلم إذا لم يكن له * بوادرُ تحي صفوه أن يُكْذرا

ولا خيرَ في جهل إذا لم يكن له * حلمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرًا

وقال أيضا

كُليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصرا * وأيسرُ جرما منك ضُرج بالدم

أمية بن أبي الصلت الثقفي يقول

تلك المكارمُ لأقربانٍ من لبن * شيئا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

حسان بن ثابت يقول

وإن أمرا يُسمى ويُصبح سالما * من الناس - إلا ما جنى - لَسعيدُ

وقال أيضا

رَبِّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما * لِ وجهلٍ غطى عليه النعيمُ

ما أبالي أنب بالحرزن تيس * أم لحاني بظهير غيبٍ لئيمُ

الحطيئة : وأسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك

ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مليكة ، والحطيئة لقبٌ غلب عليه ؛ قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض؛ وقيل : حرق في مجلس قومه فقال : إنما هي حطأة
فسمي الحطيطية .

فما يمثّل به من شعره قوله

مَنْ فَعَلَ الْخَيْرَ لَا يَحْتَمِ جَوَازِيَهُ * لَا يَنْهَبُ الْعَرْفَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال أيضا

أَقُولُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ * مِنَ اللُّومِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

أَوَّلَكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا * وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

متمم بن نويرة يقول

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمةَ حِقْبَةٍ * مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لِي يَتَصَدَّقَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَانِي وَمَالِكَا * لَطُولِ أَجْتِمَاعٍ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

أبو ذؤيب الهذلي يقول

وَيَجْلَدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ * أَنِّي لَرِبِّ الدَّهْرِ لَا أَنْفَعُ مَضْعُ

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا * أَلْقَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَنْفَعُ

الخنساء : وهي ثُمأضرب بنت عمرو بن الشريد تقول

وَمَنْ ظَنَّنِي مِنْ يَلَاقِي الْحُرُوبَ * بَأْنٍ لَا يَصَابُ قَعْدُ ظَنِّي عَجْزَا

وقالت أيضا

نُهِيتُ النَّفُوسَ وَهَذَا النُّفُوسُ * سِ عِنْدَ الْكَرْبَةِ أَبْقَى لَهَا

عمرو بن معد يكرب يقول

إذا لم تستطع أمرا فلدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

وقال أيضا

ليس الجمالُ بمَثَرٍ * فاعلم وإن رُكيتُ برِداً

إن الجمالَ مَأْثَرٌ * ومكالمُ أَوْثَنُ مجدًا

معن بن أوس يقول

وفي الناس - إن رثتَ حبالُك واصلُ * وفي الأرض عن دار القيلِ متحولُ

إذا أنصرفتْ نفسى عن الشيء لم تكذُ * إليه بوجه آخر الدهرِ تُقبَلُ

وقال أيضا

أعلمه الرماية كلَّ يوم * فلما آستد ساعده رمانى

١٠

زياد بن زيد يقول

ولا أتمنى الشرَّ - والشرُّ تاركى - * ولكن متى أُحمَلُ على الشرِّ أركبُ

(١٢)

وقال أيضا

هل الدهر والأيام إلا كجأ ترى؟ * رزيةٌ مالي أو فراقٌ حبيبِ

أيمَن بن خُزَيم بن فاتك الأسدي يقول

١٥

إن للفتنة مِيطاً بيننا * فرويد المِيط منها تَعْتَدِلُ

فلذا كان عطاءُ فائِهم * وإذا كان قتالُ فاعْتَرِلُ

أتَهَي ما يُتَبَلِّ به من أشعار المخضرمين .

ومما يتمثل به من أشعار المتقدمين في صدر الإسلام
القُطاميّ : وأسمه عُمر بن شُليم يقول

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعاً
وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بأن تتبعه آتباعاً
أراهم يغمزون من استرثوا * ويحتنبون من صدق المصاعاً
كذلك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ جانبيهم سراعاً

وقال أيضاً

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات بعض القوم أمرهم * مع التأني وكان الرأي لو عجّلوا
والناس من يلقى خيراً قائلون له * ما يشتهي ولا ثم المخطئ المبلّ

الطريقاح بن حكيم بن الحكم يقول

لقد زادني حباً لنفسى أنى * بقيض إلى كل أمرئ غير طائيل
وأنى شقيّ باللاثام ولن ترى * شقيّاً بهم إلا كريم الشائل

الكُميت بن زيد الأسديّ يقول

إذا لم يكن إلا الأسنّة مركب * فلا رأى للضطر إلا ركوبها

وقال أيضاً

فيا موقدا نارا لنفرك ضوءها * ويا حاطباً في جبل غيرك تحطب

المساور بن هند يقول

شقيت بنو أسدٍ بشعر مُساوٍ * إن الشقيّ بكل جبل يُحقّ

عدى بن الرقاع يقول

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني * ضناً به نظري إلى الأمراءِ
بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوي * فيما غشيتُ ولا نجومَ سماءِ
كالبرق منه وأبلٌ متابع * جودٌ وآخرُ ما يبضُ بماءِ
والمرء يورثُ مجده أبنائه * ويموت آخرُ وهو في الأحياءِ

٥

الفرزدق، وأسمه همام بن غالب يقول

فواعجبا حتى كُلبُ تسبني * كأن أباهَا نهشلُ أو مجاشعُ

وقال أيضا

تُرَبِّحُ ربيعَ أنبيءٍ صغارها * بنجرٍ وقد أعيا عليك كبارها

وقال أيضا

١٠

فإن شجَّ منها، شجَّ من ذى عظيمَةٍ * وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقال أيضا

يَمْضِي أخوك فلا تلقَ له خَلَقًا * والمالُ بعد ذهابِ المالِ مُكْتَسَبُ

وقال أيضا

ليس الشفيعُ الذي يأتيك مؤتزا * مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا

١٥

وقال أيضا

قُلْ لنضيرٍ، والمرء في دولة السلطانِ أعمى مادام يدعى أميراً

فلذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال، عاد بصيرا

وقال أيضا

ولا نلينَ لسلطانٍ يكادنا * حتى يلينَ لضررِ الماضِ المجرُ

٢٠

وقال أيضا

هل أبنتك إلا أبْنٌ من الناس فاصبرن * فلب يرجع الموتى حين المآتم
جرير: هو أبْنُ الحَلَفَى ثَوْبَى سنة عشر ومائة يقول

إن الكريمةَ ينصرُ الكرمَ أبْنُها * وأبْنُ اللثيمةِ للثامِ نصورُ

وقال أيضا

زعم الفرزدقُ أن سيقتلَ مرما * أبشُرُ بطولِ سلامةٍ يا مريعُ

وقال أيضا

وأبْنُ اللَّيْلِونَ إذا ما لُزِّي قَرِيب * لم يستطعَ صَوْلَةُ البُزْلِ القنَاعِيسِ

وقال أيضا

رأيتك مثلَ البرقِ يُحسَبُ ضوءُه * قريبا وأدنى ضوءُه منك نازحُ

وقال أيضا

أما الرجالُ يَفْعَلَانُ ونِسْوَتُهُمْ * مثلُ القنَافِدِ لأحْسَنُ ولا طيبُ

الأخطل: وأسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني: أسمه غياث

أبْنُ غوث بن الصلت بن طارقة بن سبيحان بن عمرو، وورُفِعَ نسبُه إلى جُثَم بن بكر

ويُكنى: أبا مالك، قال: وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سامة بن طارقة .

فما يَمَثَلُ به من شعره قوله

والناس همُّهم الحياةُ ولا أرى * طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خَبالِ

وإذا انْقَرَّتْ إلى الذخائر لم تَجِدُ * دُخْرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

وقال أيضا

إك الصنعة تلقاها وإن قُدمت * كالعَرَّ يَكُن حيناً ثم يَتَشَرُّ
وأقسمَ المجدُّ حَقًّا لا يُخالفهم * حتى يخالف بطنَ الراحة الشَّعرُ

وقال أيضا

وإذا دعوتك يا أُنحَى فإنه * أحنى إليك مودةً ووصالاً
وإذا دعوتك عمَّهَنَ فإنه * نسبٌ يزيدك عندنَّ خبالاً

وقال أيضا

ضَفَادُعُ في ظِلْماءِ ليلٍ تجاوبت * فدلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ

وقال أيضا

يا مرسلَ الرِّيحِ جنوباً وصَباً * إنَّ غَضِبْتُ قيسٌ فزدها غَضَباً

الصَّلتَانُ العَبْدِيُّ يَقُولُ

وإنَّ يَكُ بَحرُ الحَنظَلِيَّينَ واحداً * فما يَسْتَوِي حَيَاتُهُ والضَّفَادِعُ
وما يَسْتَوِي صَدْرُ القَناةِ وَزُجْجِها * وما يَسْتَوِي في الرَّاخِتينِ الأصابعُ

كثير عزة: وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، توفي سنة خمس ومائة

يقول

وإني وتيأني بعزة بعد ما * تخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْننا وتخلَّتْ
لكالمُرَجِي ظِلَّ الغامَةِ كَلَمًا * تَبَوَّأَ منها للمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتْ
قَلْتُ لها يا عَزَّ كُلِّ مَصِيبَةٍ * إِذا وُطِئَتْ يَوْمَها لَما لَئْسَ نَلَّتْ
هَنيئًا مَرِيضًا غَيْرَ داءٍ عَاصِرٍ * لَعزَّةٍ من أَعراضنا ما لَاسْتَحَلَّتْ

وقال أيضا

قَضَى كُلَّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرِيمَةٍ * وَعِزَّةٌ مَمْلُوءٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا

وقال أيضا

وَمَنْ لَا يَنْمُضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَائِبُ

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَمُتْهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ النَّعْرَ صَاحِبُ

بحيل يقول

فَإِنْ يَكْ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَهَا * فَإِنِّي لَهَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ سَلَمٌ

وقال أيضا

وَلَرَبٌّ عَارِضِيهِ عَلَيْنَا وَصَلَهَا * بِالْجِدِّ تَخْلَطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ

فَأَجِبُهَا فِي الْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتَرْ: . حُبِّي بَشِينَةٌ عَنْ وَصَالِكٍ شَاعِلِ

لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدَرِ قُلَامِيَةِ * وَصَلًا وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَيْتُكَ رَسَائِلِي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول

لَيْتَ هُنْدًا أُنْجِزَتْ مَا نَعُدُّ * وَشَفَتْ أَكْبَادَنَا مِمَّا نَجِدُّ

وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً * إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَيْدُّ

وقال أيضا

لَا تَلْمِزْنِي وَأَنْتَ زَيْتُهَا لِي * أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

ومما يمثّل به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول

عَجِبْتُ أَثْبَلَةً أَنْ رَأَيْتُ مُحَلِّقًا * فَكَلِّكَ أُمِّكَ، أَيْ ذَاكَ يَرُوعُ؟

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْهَيَّ وَرَدَاؤُهُ * خَلَقَ وَجِبَّ قَيْصَهُ مَرْفُوعُ

وقال أيضا

كأركة بيضها بالمرء * وملبسة بيض أخرى جناحا

بشار بن برد يقول

إذا كنت في كل الأمور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعمش واحدا أو وصل أخاك فإنه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظلمت وأى الناس تصفو مشاربته

وقال أيضا

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فإن الخوافي عدة للقوايد

وما خير كفف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وقال أيضا

كبكر تشهى لذيد النكاح * وتفرق من صولة الناكح

وقال أيضا

أنت من قلبها عمل شراب * يستهى شربه ويخشى صداعه

وقال أيضا

الحمر يلحى والمصا للعبيد * وليس للملحف مثل الرد

وصاحب كالتمل المبد * حملته في رقعة من جلدي

وقال أيضا

وإذا جفوت قطعت عنك منافى * والدر يقطعه جفاء الخالب

وقال أيضا

ولولا الذي خبروا لم أكن * لأمدح ربحانة قبل شم

وقال أيضا

تَأْتِي المقيمَ - وما سعى - حاجاته * عددَ الحصى، وَيَحْيِبُ سعى الناصبِ

وقال أيضا

أنا واقه أَشْتَبِي مَحْصِرَ عَيْنَيْكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ العُشَاقِ

وقال أيضا

نرجو غدا، وغداً كحاملة * في الحى لا يدرون ما تلد

وقال أيضا

تسقط الطيرُ حيث يَنْثَرُ الحَبُّ وتُشْتَى منازلُ الكرماءِ
ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكنْ يَلْذُ طعمُ العطاءِ

وقال أيضا

* والصَّبُّ يُمْكِنُ بعدَ ما جمعا * ولنْ تَبْلَغَ العليا بغيرِ الدراهم *

وقال أيضا

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسْلِكَ أو يتوجعُ

أبو العتاهية يقول

١٥ * أَذَلَّ الحَرُصُ أَعْنَاقَ الرجالِ * وكلُّ غنى في العيونِ جليلُ *
* روائحُ الحَنَةِ في الشبابِ * وأى الناسِ ليس له عُيوبُ *

وقال أيضا

إنَّ الشبابَ والقراعَ والجلدة * مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ، أَيْ مَفْسَدَةٌ!

وقال أيضا

أنت ما استغفنت عن صا * حيك الدهر أخوه
فإذا أحتجت إليه * ساعة بجمك فوره

وقال أيضا

ما يحرز المرء من أطرافه طرفا * إلا تحوّه نقصان من طرف

وقال أيضا

يصاد فؤادي حين أرى ورمي * تعود إلى تحري ويسلم من أرى

وقال أيضا

ولرب شهوة ساعة * قد أورث حزنا طويلا

١٠ سلم بن عمرو الخاسر : وهو مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو بصرى
لقب الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه وأشتري بثمنه طنبورا ، وقيل :
بل خلف أبوه مالا فأنفق في الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنك لخاسر
الصفقة ، فلقب بذلك .

فما يمثّل به من شعره قوله

من راقب الناس مات غمّا * وفاز بالليند الجسور
لولا مئى العاشقين ماتوا * غمّا ، وبعض المئى غرور

١٥

وقال أيضا

ولو ملكت عنان الريح تصرفه * فى كلّ ناحية ما فاتك الطلب

وقال أيضا

لا تسال المرء عن خلاجه * فى وجهه شاهد من الخير

٢٠

صالح بن عبد القدوس يقول

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من هـ
والجاهل الآمل ما في غد * كحفظه في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يورى في نرى رسمه
والحق داء ما له حيلة * تُرى كبعد النجم من لمسه

وقال أيضا

١٥٥

وإن عناء أن تُهمَّ جاهلا * فيحسب جهلاً انه منك أنهم
مق يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضا

١٠ إذا ورت أمرًا فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحمص به عنبًا

وقال أيضا

شر المواهب ما تجود به * من غير محمدة ولا أحر

وقال أيضا

١٥ لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو لجود منك والبذل أهل

وقال أيضا

يسقى رجلًا ويسقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتي من لطف حيلته * لكن جدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الراى المحيد وقد * يُرى فيرزقه من ليس بالراى

وقال أيضا

إِن يَكُنْ مَابِهْ أَصْبَهَتْ جَلِيلًا * فَذَهَابَ الْمَزَاءُ مِنْهُ أَجْلُ
كُلِّ آتٍ لَأَشْكُ آتٍ وَذُو الْجَهْلِ مُعْنَى وَالنَّمُ وَالْحَزَنُ فَضْلُ
ابْنِ مَيْدَادَةَ : هُوَ الرَّقَاحُ بْنُ أَبِي أْبَرْدَ كُنِيَّتُهُ شُرَحْبِيلُ يَقُولُ
وَأَعْجَبَا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا * يُحْطَى فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ

وقال أيضا

وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ بِحَصْدِهِ الدَّحْرُفَيْنِ بَيْنَ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
وَكَاثَنَا لَلْوُتِ رَكْبٌ يُحْبَوُ * نَ سِرَاعٌ لِمَنْهَلٍ مَوْرُودِ

أَبُو نُوَاسٍ الْحَسَنُ بْنُ هَالِيٍّ يَقُولُ

* دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ * * لَا رَبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلُ *

وقال

* وَلِلرَّجَاءِ حَرَمَةٌ لَا تُجْهَلُ * * وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ *

وقال أيضا

إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْبُ تَكْشَفَتْ * لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وقال أيضا

لَا أَذْودُ الطَّبْرِ عَنْ شَجِيرِ * قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ نَمْرِهْ

وقال أيضا

وَلَيْسَ قَهْ بِمُسْتَنْكَرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ !

وقال أيضا

صَارَ جُنًا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رَبِّ جِدِّ مَاقَهَ اللَّيْبِ

وقال أيضا

كفى حَزناً أَنْ الجوادِ مُقْتَرٌ * عليه ولا معروفٌ عند بَخِيلٍ

وقال أيضا

وأوبَةٌ مشتاقٍ بغيرِ درايمٍ * إلى أهله من أعظمِ الحَدَثَانِ

أبو عِينَةَ المهَلَبِيِّ يقول

* وكيف بُحِودَ القلبِ والعَيْنُ تشهَدُ * ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَدُومُ له عَهْدُ *

* وشتانَ ما بينَ الولايةِ والعزْلِ *

وقال أيضا

وإذا تَطاولتِ الرءو * سَ فَنَظَرُ رَأْسِكَ ثم طَايَطَ

عبد الله بن أبي عتبة المهَلَبِيِّ يقول

كل المصائبِ قد تمرُّ على القَتَى * فتَهوُّ غيرَ شِماتِ الأعداءِ

وقال أيضا

ما كُنْتُ إلا كَلْعَمَ مَيْتٍ * دعا إلى أَكَلِهِ أَضْطَرَارُ

العبَّاس بن الأحنف يقول

لو كُنْتُ عاتِبَةً لَسُكِّنَ رَوْعِي * أَمَلِي رِضايَكَ وَزُرْتُ غَيْرَ مِرْأَبٍ

لكن مَلَّتْ فما لَصَدِّكَ حِيلَةٌ * صَدُّ المَمْلُوقِ خِلافُ صَدِّ العائِبِ

وقال أيضا

صِرْتُ كَأَنِّي ذِبَالَةٌ نُصِيبَتْ * تُضَيُّ للنَّاسِ وهي تُحْتَرَقُ

وقال أيضا

أرى الطَّرِيقَ قَرِيباً حينَ أَسْلُكُهُ * إلى الحَبِيبِ، بَعِيداً حينَ أَصْرِفُهُ

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أن التباعَدَ بيننا * وقد جمعنا والإجبةَ دارُ

وقال أيضا

ألقنا مكرهين بها فلما * ألقناها نخرجنا مكرهينا

وقال أيضا

* ولا خير في ودِّ يكون بشافعٍ * من عاجل الشوق لم يستبعد الدار *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن زُرارة
الخرزرجي ولُقِّب صريع النوانى، ومما يُتمثل به من شعره قوله

دلَّت على عيبها الدنيا وصدَّقها * ما استرجع الدهرُ مما كان أعطاني

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البیت من التوراة .

وقال أيضا

يَعُدُّ القى مرَّ الليالِ سليمةً * وهنَّ به عما قليل عوائر

وقال أيضا

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دونه * والمدحُ عنك كما علمتَ جليلُ

فأذهب فانتَ طليقُ عِرْضِكَ إني * عِرْضُ عَزَزَتَ به وأنتَ ذليل

منصور البكري : هو منصور بن الزبير بن سَلَمَة . وقيل منصور بن سَلَمَة بن
الزبير بن شريك، مُطعمُ الكَبَشِ الرَّحْمَ، سُمِّي بذلك لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحو
لهم . ثم رفع رأسه فلذا هو برَّحَمٍ يَتَحَنُّ حول أضيافه، فأمر أن يُذبحَ لهُنَّ كبشٌ ويُرعى
لهُنَّ قَصَبٌ ذلك وبزِلن عليه فزقنه، وهو ابن مالك بن سعد بن عامر الضحيان، سُمِّي

بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، وهو ابن سعد
ابن الخزرج بن تيم الله بن النخع بن قلسط بن هنب بن أنصم بن دغيم بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

• لعل لها عذراً وأنت تلوم * ورب أمري قد لأم وهو مليم

وقال أيضا

ما كنت أوفى شبابي كنه عزته * حتى أهضى فإذا الدنيا له تبع

وقال أيضا

أفلل عتاب من استربت بؤده * ليست تُسال مودة بعتاب

١٠ العتابي : هو كُثُوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود

ابن عمرو بن كُثُوم الشاعر ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جُثَم بن بكر بن
حبيب بن عمرو بن غنم بن قُلب .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

وإن عظيما الأمور مشوبة * بمستودعات في بطون الأساود

وقال أيضا

١٥

وقه في عرض السموات جنة * ولكنها عذوفة بالكاره

وقال أيضا

قلت للفرقدنين، والليل ملني * سود أكافه على الآفاق

إقيا ما بقيتا سوف يرى * بين شخصيكما بسهم الفراق

أَجْمَعَ السُّلَمَى : هو أُنَجِّع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرقة.

فما يمثّل به من شعره قوله

نسيبك من أمسى ينجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسبُ

وقال أيضا

سبق القضاء بكلّ ما هو كائن * فليجهد المتقلب المحتالُ

وقال أيضا

داء قديم في بني آدم * فتنةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصّدان، ضوء الصبح والإظلامُ

فاذا تبه رعتّه وإذا غفا * سلّت عليه مسيوّك الأحلامُ

١٠

الجرهميُّ

وأعدّدته ذخرا لكل مُلمية * وسهم الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا

إذا مامات بعضك فابك بعضًا * فإنّ البمض من بعض قريبُ

وقال أيضا

١٥

أرى الحلم في بعض المواطين دلة * وفي بعضها عزّا يُسودّ فاعله

وقال أيضا

ودون الندى في كل قلب ثنية * لها مصعد حزن ومنحدر سهلُ

وقال أيضا

العيش لا عيش إلا ما قنعت به * قد يكثر المال والإنسان مُفتر

٢٠

وقال أيضا

وهل حازم إلا كأنه عاجز * إذا حل بالإنسان ما يُتَوَقَّعُ
محمود الوراق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زُهرة ، ويكنى
أبا الحسن .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

وإذا غلا شيء على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا

ما كدت ألخص عن أئمة حق * إلا دمت عواقب النحس

وقال أيضا

١٠ الدهر لا يبقى على حالة * لا بد أن يُقِيلَ أو يُدْبِرَا
فإن تلقاك بمكروهه * فاصبر فإن الدهر لن يصبرا

وقال أيضا

إذا كان وجه المذير ليس بواضح * فإن أطراح المذير خير من المذير

محمود بن حازم الباهلي

١٥ ألا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا

وقائل كيف تفرقتما * قلت قولاً فيه إنصاف
لم يك لي شكلاً ففارقته * والناس أشكأل وألأف

السَّمَوَّلُ بن عَادِيَاءَ

إذا المرءُ لم يَدْتَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ * فكلُّ رداء يرتديه جميلٌ

وقال أيضا

إذا كنت ملجأ ميسيثا ومحيثا * ففشيان ماتهوى من الأمر أكيس

محمد بن أبي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِي

لا يُؤْنَسُكَ أن ترائي ضاحكا * كم صَحَّكَ فيها عبوس كامن

وقال أيضا

قد يَمْنَحُ الهِنْدِيُّ وهو حُسام * ويُمِثُّ الجَوَادُ وهو جَوَادُ

أبو الشَّيْبِصِ : وأسمه محمد بن رزين بن تميم بن تَهْلَ ، وأبو الشَّيْبِصِ لَقَبٌ غَلَبَ عليه ، وَكُنْيَتُهُ أبو جعفر وهو عم دَعِجِلِ بن علي .

فما يُتَمَثَّلُ به من شعره قوله

إذا لم تُكُنْ طَرَقُ المَسْوَى لى ذليلة * تَكْبُتُهَا وَأَنْحَزَتْ من جانب السَّهْلِ

علي بن جَبَلَةَ بن عبد الرحمن الأنباري ، وهو الملقَّبُ السَّكَوَكُ قال

وأرى الليالي ماطوت من شَرَقِ * رَدَّتْهُ في عِقَلِي وفي إِنْهَامِي

وعلمتُ أن المرء من سَنَنِ الردى * حيثُ الرِّيمَةُ من سِهَامِ الرامِي

وقال أيضا

وخافت على التطواف قومي وإعما * تُصَابُ غرار الوحش وهي رُتُوعُ

الجلجلاج الحارثي

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجلُ

وقال أيضا

إذا ما أهانَ أمرؤُ نفسه * فلا أكرم الله من يُكرمه

عبد الصمد بن المعدّل

ليس لي عُذرٌ وعندي بُلغةٌ * إنما العذر لمن لا يستطيع

وقال أيضا

وأعلم أن بنات الرجاء * تُجِلّ العزيزَ محلّ الذليل

وأن ليس مُستغنيا بالكثير * من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا

أرى الناسَ أهدوئةً * فكونوا حديثاً حسنَ

كان لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن

إذا وطنٌ رابى، * فكل بلادٍ وطن

إذا عزّ يوماً أخو * لك في بعض أمر فهُن

الحمدوني

إن المَقَمَ في حِلقي بصنعتي * أنى توجه فيها فهو محروم

العتي

قالت عهدتكُ مجنونا، قلتُ لها : * إن الشبابَ جنون برؤه الكبير

وقال أيضا

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحيتا

أبو سعيد الخزومي : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

وكم رأينا للدمر من أسيد * بالت على رأسه ثعلابه

وقال أيضا

إذا ضنَّ الجسَّادُ بما لديه * فما فضل الجواد على البخيل ؟

وقال أيضا

ليس لبسُ الطيَّالِس * من لبسِ الفوارِس

لا ولا حومة الوغى * كصندور الجبالِس

وظهورُ الجيادِ غيرُ ظهورِ الطنَّافِس

ليس من مارس الخطو * بكن لم يمارِس

دُعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيّ : هو أبو جعفر وأسمه محمد ودُعْبِلُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ ،
وَالِدُهُ دُعْبِلُ : الْبَعِيرُ الْمَسْنُ ، وَقِيلَ : النَّاقَةُ الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُهَا .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

لا تعجبي يأسلم من رجل * صَحَّكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَ

وقال أيضا

هي النفس ماحِصَتَه فُحِّسَن * إِلَيْهَا وَمَا قُبِّحَتْهُ فُقِّبَعَ

وقال أيضا

جئنا به ينسفع في حاجة * فاحتاج في الإنذ إلى شافع

وقال أيضا

تلك المساعي اذا ما نعت رجلا * أحب للناس عينا كالذي عابه
كذلك من كان مدمم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

• وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل

إذا صرنا أيتناكم نودكم * وتذنبون فنانكم ونعتذر
لا تحسبوني غنيا عن مودتكم * إني إليكم وإن أيسرت مفتقر

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق ،
وأصله من خراسان .

١٠

فما يفتنل به من شعره قوله

ورب أبح ناديت له لمة * فالتفت منها أجل واعظا

وقال أيضا

وكننت . أذمت إليك الزمان * فأصبحت فيك أذمت الزمان
وكننت أعدك للنايات * فما أنا أطلب منك الأمانا

١٥

وقال أيضا

دنت باناس عن تاء زيارة * وشط بللى عن دؤو مزارها
جران مقيات بمقطع اللوى * لأقرب من ليل وهاتيك دارها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول
فلا تمتدّ بالشغل عنا فإتّما * تناط بك الآمال ما أتصل الشغل

وقال أيضا

لعمري أبيت ما أنسب المثل * إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا أقشمت * وصوح نبّها رعى المشيم

سعيد بن حميد يقول

* إن جهد المقل غير قليل * وعلى المريب شواهد لا تدفع *

وقال أيضا

وإنك كالدينيا تدم صروفها * ونوسها سبّا ونحن عييدها

عليّ بن الجهم يقول

ولكلّ حال معقبٌ وربما * أجلّ لك المكروه عما تمخّد

وقال أيضا

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضّل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا أن يزول التجميل

وقال أيضا

ارض السائل الخضوع ولقا * رف ذنباً مثلة الأعذار

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المتصوّر يقول

أرى الدهر يخلقني كلما * لست من الدهر ثوباً جليدا

وقال أيضا

سُرَّ من عاش ماله فإذا حَا * سَبَّه الله سرَّ الإعدام

وقال أيضا

ربِّ أميرٍ سرَّ أمره * بعد ما سمعت أوائله

يزيد بن محمد المهلبى يقول

* لا عار إن ضامك دهرٌ أو ملك *

وقال

وإن الناس جمعهم كثير * ولكن من تُسرُّ به قليل

وقال أيضا

ومن ذا الذى تُرضى بجباياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعدّ معاييه

١٠

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول

فإن تلحظى حالى وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجِبُ
تَرَى كلَّ يومٍ مرًّا من بؤس عيشتى * عليك بيومٍ من نعيمك يُحسبُ

أحمد بن أبى طاهر يقول

ودين الفقى بين التماسك والنهى * ودنيا الفقى بين الهوى والتغزير

١٥

وقال أيضا

حسن الفقى أن يكون ذا حسب * من نفسه، ليس حسنه حسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول

* ما الحبَّ إلا للحبيب الأول * * لسان المرء من جزم الفؤاد *

٢٠

* وذى النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال

ما أب من أب لم يظفر بجاحته * ولم يصب طالب للنجاح لم يحب

وقال أيضا

ومن لم يسلم للنواب أصبحت * خلاقه طرا عليه نواب

وقال أيضا

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تم عواقبه

وقال أيضا

لا تتركى صلل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للكان العالى

وقال أيضا

واذا تأملت البلاد رأيتها * ترمى كما ترمى الرجال وتعدم

١٠

وقال أيضا

واذا أمرؤ أهدى اليك صنيعة * من جاهد فكأنها من ماله

وقال أيضا

خلقنا رجالا لتجلد والأسى * وتلك النوائى للبكا والماتم

وقال أيضا

١٥

ينال النقى من عيشه وهو جاهل * ويكدي النقى في دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تجري على الجبى * هلكن إذا من جهلون البائم

وقال أيضا

أآلة النجيب كم أقرق * أطل فكان داعية أجماع

وليست فرحة الأبواب إلا * لموقوف على ترجع الوداع

٢٠

وقال أيضا

وإذا أراد الله نشر فضيلة * يوما، أتاح لها لسان حَسودٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرِفِ العودِ

وقال أيضا

خشعوا الصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه طار

وقال أيضا

ذاك الذي قَرِحَتْ بطونُ جفونه * مَرَهَا وتربة أرضه من إيمد

وقال أيضا

⑤

وتركى سرعة الصدرَ اعتبارًا * يدلّ على موافقة الورود

وقال أيضا

١٠

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقه * مغارمَ في الأثوام وهي مغائِمُ

وقال أيضا

وإن أمرًا ضنّت يدها على أمرى * ببيل يد من غيره لبخيلُ

أبو عبادة البُحترى، وهو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شَمْلان بن جابر

أبن مُسلمة بن مُسهر بن الحارث بن خثيم بن أبي حارثة بن جدى بن زَوَل بن بَحْتَر
الطائي .

فما يتمثل به من شعره قوله

* وأبرحُ مما حلّ ما يُتَوَقَّعُ *

وقال أيضا

* وليس تقترن النماء والحسد *

وقال أيضا

* إن المعنى طالب لا يظفر *

وقال أيضا

أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر

وقال أيضا

* يزين الآلى فى النظام ازدواجها *

وقال

وكان رجائى أن أؤوب مملكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلما

وقال أيضا

متى أخرجت ذا كرم تحطى * اليك ببعض أخلاق اللئيم!

وقال أيضا

والشئ تُمنعه يكون بفسوته * أجدى من الشئ الذى تُعطاه

وقال أيضا

تأس ذنوب قومك إن حفظ الذنوب * اذا قدم من الذنوب

وقال أيضا

واذا ما خفيت صكنت حريا * أن أرى غير مُصبح حيث أمسى

وقال أيضا

متى أرت الدنيا نباهة خامل * فلا تنتظر إلا تُعمل نيه

وقال أيضا

وأرى النجابة لا يكون تمامها * لنجيب قوم ليس بابن نجيب

وقال أيضا

وإذا ما الشريف لم يتواضع * للأخلاء فهو عين الوضيع

وقال أيضا

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت * إلى المجد حتى عد ألف واحد

وقال أيضا

ليس الذي يُعطيك ثلث ماله * مثل الذي يُعطيك ماله الناس
وفاضل الأخلاق إن حصّلتها * في الناس حيث تفاضل الأجناس

وقال أيضا

لا يأس المرء أن يغبه * ما يحسب الناس أنه عطبه
يسرك الشيء قد يسوءكم * توه يوما بخامل لقبه

١٠

وقال أيضا

إذا محاسني الآتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذرت

وقال أيضا

وعطاء غيرك إن بذلت عناية فيه عطاؤك

- ١٥ ديك الجحش، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله
ابن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول
وشافني النصيح يعدل بالأشافي ~ وليس القدر إلا بالأثافي

وقال

إذا شجر المودة لم تجده * بغيث البرأسرع في الجفاف

وقال أيضا

يرقدُ الناسُ آمَينَ وزيبُ الشَّهرِ يرعاهُمُ بِمَقْلَةٍ لَصٍّ

ابن الرومي يقول

وكم داخل بين الحميمين مصلح * كما أنقل بين العيين والجفن مِرودٌ

وقال أيضا

هو بازٍ صائد أرسلته * فارجموه سالما إن لم يصد

وقال أيضا

وما الحمد إلا توأم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسب إلى بعض

إذا الأرض ردت رجع ما أنت زارع * من البذر فهي الأرض ناهيك من أرض

وقال أيضا

وإذا أتاك من الأمور مقدّر * ففررت منه فنحوه تتوجه

وقال أيضا

كيف ترضى الفقر عرسا لأمرئ * وهو لا يرضى لك الدنيا أمة!

وقال أيضا

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

عبد الله بن المعتز يقول

فإن الميون وجوه القلوب *

وقال أيضا

* أتم الكرام قليلة الأولاد *

وقال أيضا

* أَبْطَأَ فَيْضُ الدَّلَاءِ أَمْلُؤَهَا *

وقال أيضا

إِصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسَوِ * دِفْآنَ صَبْرِكَ قَاتِلُهُ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا * إِذْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وقال أيضا

وَلَا هُمْ إِلَّا سَوْفَ يُفْتَحُ قُفْلُهُ * وَلَا حَالٌ إِلَّا لِلْفَتَى بَعْدَهَا حَالٌ

وقال أيضا

لَا تَأْمَنُوا مِنْ بَعْدِ خَيْرٍ شَرًّا * كَمْ غُصْنٍ أَخْضَرَ عَادَ جَمْرًا

وقال أيضا

وَأَنَّى عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْبَكَ * لَتَجْمَعُنِي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرَقُ

كَمَا حُلَّتْ عَنْ مَاءِ بَرْدٍ طَرِيدَةٌ * تَمُدُّ إِلَيْهِ جِيدَهَا وَهِيَ تَفْرُقُ

وقال أيضا وإشارته إلى الديك

صَفَقَ إِذَا أَرْتِيَا حَةً لَسْنَا * الْفَجْرَ وَإِنَّمَا عَلَى الدَّبَجِ أَسْنَا

عبيد بن عبد الله بن طاهر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ تَدْوَى يَمِينُهُ * فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لَيْسَ لَهُ سَائِرُهُ؟

فَكَيْفَ تَرَاهُ بَعْدَ يَمَانِهِ صَانِعًا * لَمَنْ لَيْسَ مِنْهُ حِينَ تَدْوَى سَرَائِرُهُ؟

وقال أيضا

أَلَا قَبَحَ أَفْعَالُهُ الضَّرُورَةُ إِنَّمَا * تَكْتَفِي عَلَى الْخُلُقِ أَذْنَى الْخُلُقَانِي!

وقال أيضا

وكم قاتل قد قاتل مالك راجلا؟ * قتلته له من أجل أنك فارس!

وقال أيضا

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له قدرا

• ابن طباطبا العلوي: هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني يقول

إن في نيل المني وشك الردى * وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفى

وقال أيضا

لقد قال أبو بكر * صوابا بعدما أنصت

خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أظن

١٠

وقال أيضا

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * طامأ ورد من الصبا أياما!

منصور الفقيه المقرئ يقول

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخلف سرمدًا

أما سمعت قسولم * إن مع اليوم غدا!

١٥

وقال أيضا

الملح يصلح كل ما * يُخشى عليه من الفساد

فاذا الفساد جرى عليه * لحكه حكم الرماد

وقال أيضا

كل مذكور من الناس اذا ما * قصدوه صار في حكم الرماد

٢٠

وقال أيضا

كَلِّ مذكور من النساء إذا ما قدوه
صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا

كَلِّ من أصبح في دهر * ممن قد تراه
هو من خلفك يقرا * ض وفي الوجه مرآة

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبا الحسن يقول
* وكم أمانة جلبت منية *

وقال

ولولا الضرورة ما جئتكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف !

١٠

وقال أيضا

قل لأبي القاسم المربحي * قابلك الدهر بالعجائب
مات لك أبن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كوت هذا * فلست تخلون المصائب

وقال أيضا

رب يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

١٥

وقال أيضا

قد يجهل الشيخ الكبيش * جنازة الطفل الصغير

بحظة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك

النديم يقول

* ولما كين أيضا بالندی وَلَع *

وقال أيضا

* وآفة التبرُّ ضَعْفُ متقَدِّه *

وقال أيضا

* متى يلتقي الميتُ والغاسلُ؟ *

وقال أيضا

لا تمتدِّق للزمان صديقا * وأعدِّ الزمان للأصدقاء

وقال أيضا

وما كذب الذي قد قال قبلي: * إذا ما مرَّ يوم مرَّ بعضي

وقال أيضا

إذا الشمر حلَّ ولا رزق لي * فعَدِّي لأيامه باطل

وقال أيضا

وإذا جفاني جاهلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعة

وجعلته مثل القبو * رَأَزوره في كلِّ جمعة

الصنوبري يقول

يَحْنُ الفقي يُخْبِرُنْ عن فضل الفقي * كالنار خبيرةٌ بفضل العنبر

وقال أيضا

رَبِّ حَالِ كأنها مُدَّعِبُ الديباجِ صارت من رِقَّةٍ كاللادِ^(١)

وزمانٍ مثل آبنة الكَرَمِ حُسْنًا * عاد عند العيون مثل الباذي^(٢)

أو ما من فساد رأى الليالي * أتَ شعري هذا وحالي هذي!

(١) اللادة : ثوب حرير أحمر صفيّ واجمع : لاذ .

(٢) الباذي : شراب لقساق .

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السدي بن شاهك ، وشاهك أمه
يقول

بُعَادُ حَدِيثِهِ فَيَزِيدُ حُسْنًا * وَقَدْ يُسْتَقْبَحُ الشَّيْءُ الْمُعَادُ

وقال أيضا

• شَخْصَ الْإِنْسَانِ إِلَى جَمَالِكَ فَاسْتَعِذْ * مَنْ شَرَّ أَعْيُنِهِمْ بَعِيبٌ وَاحِدُ!

• •

وَمَا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْمَوْلَدِينَ : مِنْهُمْ

أبو فراس الحمداني

غَنَى النَّفْسَ لِمَنْ يَعْثُلُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى الْمَالِ

١٠ وَفَضْلَ النَّاسِ فِي الْأَنْفُسِ مَنْ لَيْسَ الْفَضْلُ فِي الْحَالِ

وقال أيضا

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا * لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ

تَهُونَ طِينًا فِي الْمَعَالِ تَهَوُّنًا * وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَفْلِهِ الْمَهْرُ

وقال أيضا

١٥ وَتَدْعُو كَرِيمًا مَنْ يَجُودُ بِمَالِهِ * وَمَنْ يَبْذُلُ النَّفْسَ الْغَيْبَةَ أَكْرَمُ

وقال أيضا

وَجَمِيلُ الْعَدُوِّ خَيْرٌ مِنْ جَمِيلِ * وَقَبِيحُ الصَّدِيقِ خَيْرٌ مِنْ قَبِيحِ!

أبو الطيب المتنبي يقول

* مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ *

وقال أيضا

* إن المعارف في أهل النهى ذمٌ *

وقال أيضا

* وخير جليس في الزمان كتابٌ *

وقال أيضا .

* وتأتي الطباع على الناقل *

وقال أيضا

* ومنفعة الفوت قبل العطب *

وقال أيضا

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقال أيضا

* إذا عظم المطلوب قلّ المساعد *

وقال أيضا

* أنا الغريق فما خوفي من البلي *

وقال أيضا

* فإن الرفق بالجاني عتابٌ *

وقال أيضا

* بيضٌ إلى الجاهل المتعاقل *

وقال أيضا

وكلّ أمرئ يولى الجميل محبٌ * وكلّ مكان يُنبت العزّ طيبٌ

وقال أيضا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعل * مضرك وضع السيف في موضع الندى
وقال أيضا .

والأمرقه، رب مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد

وقال أيضا

وليس يصح في الأنعام شيء * إذا احتاج النهار الى دليل

وقال أيضا

ومن نكدر الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صدائه بد

وقال

وإذا كانت النفوس كبارا .. تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعله الآتي سرورن ألوف

وقال أيضا

وإذا أنتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال أيضا

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلاقي!

وقال أيضا

وما يوجع الحرمان من كف حريم * كما يوجع الحرمان من كف رازق!

وقال أيضا

إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغال

وقال أيضا

وقد بُدَّتْ نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الإحسان قيلاً بقيداً

وقال أيضا

ما كل ما يمتنى المرء يُدرسه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن!

السري بن أحمد بن السري الموصلي يقول

إذا العبء الثقيل توزَّعت * أكف القوم هان على الرقاب

وقال أيضا

فإنك كلما استودعت سراً * أنتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا

إلى كم أحبر فيك المديح * ويلقى سواي لديك الحُبورا؟

أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي يقول

إن خالك الدهرُ فكن عاندا * باليد والظنَّاءِ والميس

ولا تكن عبدَ المني فالتى * رموس أموال المفالس

وقال أيضا

وأخ رخصتُ عليه حتى ملئ * والشيء ملول إذا ما يرخص

ما في زمانك ما يصزَّ وجوده * إن رمتَه إلا صديق غلص

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول

يا هذه إن رحّت في * خلّق لها في ذاك عارُ

هذي المدام هي الحيا * ة قبيصها نحرّق و قارُ

وقال أيضا

• صغيرُ صرفُتُ إليه الهوى * وما خاتمُ في سوى خنصر

الخبّاز البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة الى "بلد" وهي

من بلاد الجزيرة التي منها الموصل يقول

إذا استنقلت أو أبغضت خلقا * وسرّك بعده حتى التناد

فشرّده بقرض دُرهمات * فإن القرض داعية الفساد

١٠ أبو إسحاق الصباني يقول

نعم الله كالوحوش وما تأ * لف إلا الأواخر النساء

نقرتها آثام قوم وصارت * لأولى البر والتقى أشرا كا

وقال أيضا

ومن الظلم أن يكون الرضى سـترا ويبدو الإنكار وسط النادى

١٥ وقال أيضا

الضبّ والنون قد يُرجى ألتقاؤهما * وليس يرجى التقاء اللبّ والدّهـب

عبد العزيز عمر بن نُباته يقول

فلا تحمِرتْ عدوّا رماك * وإن كان في ساعديه قصر

فإن السيوف تحزّ الرقاب * وتسجّز عما تال الإبر

وقال أيضا

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ رِدَاءَهُ * عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

وقال أيضا

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ * حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

وقال أيضا

وَتَبَّتْ بِنَا أَرْضُ الْعِرَاقِ * قِفَا جَمَّاعَهَا بِجُنْجَنِهِ

غَيْرِ الرِّحْلِ، كَفَى الْبَلَاءُ * دَبْرُ حِلَّةِ الْحِجَاءِ هُجْنُهُ

ابن لنكك البصريّ : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول

وماذا أُرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ ؟ * ولو قد صفت كانت كأضغاث أحلام

وقال أيضا

عَدْنَا فِي زَمَانِنَا * عَنْ حَلِيقِ الْمَكَارِمِ

مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرًّا * فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ

وقال أيضا

جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فِي تَصَرُّفِهِ * وَأَيُّ دَهْرٍ عَلَى الْأَحْرَارِ لَمْ يَحْسِرِ

عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهُ * يُلَوِّقُ عَلَى الْفَلَكَ الدُّوَارَ لَمْ يَدِرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلاميّ يقول

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا * رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذَّنُوبِ

وقال أيضا

وَالْمَرْءُ مَا شَغَلَتْهُ فُرْصَةٌ لَذَّةٌ * نَاسِيَ الْحَوَادِثِ آمِنَ الْحِدَاثِ

وقال

وكان رقادى بين كائس وروضة * فصار سهادى بين طريف وصارم

وقال أيضا

ركوبُ الهولِ أركبك المذاكى * ولئس الدرع البسك الغلائل

أبو الفرج البيهقي يقول

ما اللد إلا تحمل المنى * فكن عزيزا إن شئت أوفئ

وقال أيضا

ومن طلب الأعداء بالمال والظلي * وبالسعد لم يبعد عليه مرأى

وقال أيضا

ولم أر مذ عرفت عمل نفسى * بلوغ منى تساوى حمل منى

وقال أيضا

أكل وميض بارقة كذوب * أما فى الدهر شئ لا يريب؟

ابن سكرة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول

* وعلة الحال تنسى علة الجسد *

وقال أيضا

* وقد ينبت الشوك بين الأقاحى *

وقال أيضا

الموت أنصف حين عدل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

ابن الحجاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول

* ورب كلام تستثار به الحرب *

وقال أيضا

* خُود تُرْفَ الى ضَرِيرٍ مُقْعَد * .

وقال أيضا

واللوزة المزة يا سادتي * يفسد في العلم بها السكر

وقال أيضا

ما زلتُ أسمع كم من واقِفٍ يَجْهَل * حتى أَتَلَيْتُ فَكُنْتُ الْوَاقِفَ الْجَهْلًا

وقال أيضا

وبى مرضان مختلفان حال السَّحْلِيلَةِ منهما بئى بحالى

إذا عالجْتُ هذا جَفَّ كَبْدِي * وإن عالجْتُ ذاك رَبَّى طَحَالِي

أبو الحسن الموسوى القتيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول

أسميتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطه * لقد تقارب بين العزِّ والهون

ومنظرٍ كان بالسَّراء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضراء يُبْكِنِي

وقال أيضا

والحرّ من حذر الهوا * ن يزاول الامر الجسبا

وهو العظيم وغير بد * ع منه إن ركب العظيا

وقال أيضا

ما السُّودُّ المطلوب إلا دون ما * يُؤمى إليه السُّودُّ المولودُ

فإذا هما اتَّفقا تكسرت القنا * إن غالبًا وتضعض الجلمودُ

وقال أيضا

اشترى العزَّ بما بيع * فما العزَّ بضالى

بالتحصار البيض إن شئت أو السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا * مشتر عزا بمال
إنما يُدخر المال * لحاجات الرجال
والتقى من جعل الأفضال أثمان المعالي

أبو طالب المأموني يقول

لى في ضمير الدهر سرُ كامن * لابد أن تستله الأقدارُ

وقال أيضا

وما شرف الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه مائة أم مواليا

وقال

إذا الفيت وفى الروض واجب حقه * وزاد فإن الفيت للروض ظالم

(٤٦)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد ، عُرف
بإبن العميد ، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفى أبن العميد بالرقي في محزم
سنة ستين وثلاثمائة يقول

لن يصرف الدهر من حبيته * أرب أريب وحول ذى حيل

أى معين صفا على كدر الدهر وأى النعيم لم يزل

وقال أيضا

من يُسف من ذا بآخر مشله * أثرت جوائحه من الأدواء

داوى جوى بجوى وليس بحازم * من يستكف النار بالحلفاء

الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، توفي في صفر سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمي بالصاحب لصحبة ابن العدي يقول

* بقدر المعلوم تكون المم * * كم صارم جرب في حقير *

وقال أيضا

لقد صدقوا والراقصات الى منى * بأن موقات العدا ليس تنفع
ولو آتني داريت دهرى حبة * اذا استمكنت يوما من اللع تسع

الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي يقول

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

أبو الحسن علي

وقال أيضا

وما أعجبتني قط دعوى عريضة * ولو قام في تصديقها ألف شاهد !

وقال أيضا

يقولون لي فيك أقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف النمل أجمها
اذا قيل هذا مودقت قد أرى * ولكن نفس الحتر تحتمل الغما

وقال أيضا

وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع * قلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن في الأرض حر يعني * ولم يك لي كسب فمن أين أرزق؟

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي يقول

* ومن عجب الأيام ترك التجب *

وقال أيضا

* لكل صناعة يوما مديل *

وقال أيضا

وإذا مدة الشقى تناهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا

عليك بإظهار التجلّد للعدا * ولا تظهرنّ منها الدتو فتحفرا

- بديع الزمان أبو الفضل الحمّدانيّ، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد توفى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول
ياحرصا على النفس * قاعدا بالمراصد !
لست في سعيك الذي * خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعض هذا فإنما * أنت ساج لقاعد

١٠

إسماعيل الثامنيّ يقول

* وللشباب زاعى حمة الكتم *

وقال أيضا

وكنت أرى أن التجارب عتة * نغانت هات الناس حتى التجارب

وقال أيضا

فركضا في ميادين التصابي * أحق الخليل بالركض المعار

١١

وقال أيضا

ولا تجزعنّ على أيكمة * أبت أن تظلك أغصانها

أبو الفتح علي بن محمد البستي يقول

إذا مرّ بي يوما ولم أتخذ يدًا * ولم أستفد علما فاذاك من عمري!
وقال أيضا

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام!
وقال أيضا

لا ترج شيئا خالصا نفعه * فالنيت لا يخلو من العيث
وقال أيضا

ولم أر مثل الشكر جنة غارس * ولا مثل حنين الصبر جنة لايس
وقال أيضا

ولن يشرب السم الزعاف أخوالحي * مدلا بدرياق لديه مجرب
وقال أيضا

ما استقامت فتاة رأي إلا * بعد أن عوج المشيب فتاتي
وقال أيضا

وطول حمام الماء في مستقره * ينيره لونا وريحاً ومطما
وقال أيضا

إذا حيوان كان طعمة ضده * توقاه كالفار الذي يتق المرأ
ولا شك أن المرء طعمة دهره * فما باله يابو يمه يأمن الدهر!
وقال أيضا

لا تحقر المرء إن رأيت به * دمامة أو رثامة الحلل
فالتحل لا شك في ضؤله * يشتر منه الفتي خير العسل

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد هاهنا : الدوامى ؛ وهى مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) وقال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) وقال تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَبَعَثُوا عَمَّا) وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فنها :

البحيرة :

قالوا : كان أهل الوبر يعطون لأهلهم من اللحم ، وأهل المدر يعطون لها من الحنث ، فكانت الناقة إذا أتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس مالم يكن ذكرا فشقوا أذنبا ، فذلك : البحيرة ؛ فربما اجتمع منها هجمة من البحر فلا يُجزئ لها وبر ولا يذكروا عليها إن ركبت أسم الله ، ولا إن حمل عليها شئ . فكانت ألبانها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة إذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فإن كان ذكرا دُبح ، وإن كانت أنثى تُركت فى الشاء ، فإن كان ذكرا وأثنى قيل : وصلت أخاها ، فخرما جميعا ، وكانت منافعها ، ولبن الأثنى منها للرجال دون النساء .

السابعة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما ببيعة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ، منافها للرجال دون النساء .

الحلوى :

كان الفعل اذا أدركت أولاده فصار ولده جدًا قالوا : حتى ظهره ، أتركوه فلا يحمل

عليه ، ولا يركب ، ولا يمنع ماء ، ولا مرعى ، فاذا ماتت هذه التي جعلوها لآلهم ،

أشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ

خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) قالوا : وكان

أهل المدر والحريث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا في وسطه خطأ ،

فقسموه بين اثنين فقالوا : مادون هذا الخط : لآلهم ، وما وراءه : لله ، فإن سقط

مما جعلوه لآلهم شيء ، فيما جعلوه لله ردوه ، وإن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه

لآلهم أفزوه ، واذا أرسلوا الماء في الذي لآلهم ، فافتتح في الذي سموه لله سدوه ،

وإن افتتح من ذلك في هذا قالوا : أتركوه فإنه فقير إليه ، فانزل الله عز وجل

(وَجَعَلُوا لَهُ مِمَّا ذُرًّا مِنْ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا

فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ

مَا يَحْكُمُونَ) .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الامر فيه

ولم يصح لهم أخذوا قداحا لم فيها : أفضل ولا أفضل لا يفعل ، نعم لا خير ، شر بطيء

سريع ، فاما المداراة فإن قداحا لم فيها بيضا ليس فيها شيء فكأثوا يميلونها فن خرج

سهمه فالحق له، وللخضر والسفر سهمان؛ فيأتون السادن من سدة الأوثان فيقول
السادن: اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لقلان، فيرضى بما يخرج له، فإذا شكوا
في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها: صريح، وملصق؛ فإن خرج الصريح الحقوه
بهم، وإن خرج الملصق نفوه، وإن كان صريحا فهذه قداح الاستقسام.

الميسر:

قالوا في الميسر: إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجُرُورَ بينهم، فيفصلونها على
عشرة أجزاء، ثم يؤتى بالحرصة وهو رجل يناله عندهم لم يأكل الحما قط بئس،
ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدحا، سبعة منها لها حظ إن فازت، وعلى أهلها
غرم إن خابت، بقدر مالها من الحظ إن فازت، وأربعة يُنقل بها القداح، لاحظ
لها إن فازت، ولا غرم عليها إن خابت.

فاما التي لها الحظ: فاولما القُدُّ في صدره حرُّ واحد؛ وإن خرج أخذ نصيبا، وإن
خاب غرم صاحبه ثمن نصيب، ثم التوأم. له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين
إن خاب، ثم الضريب، وله ثلاثة أنصباء، ثم الحلس وله أربعة، ثم النافس،
وله خمسة، ثم المسيل، وله ستة، ثم المعلّى وله سبعة. قالوا: والمسيل يسمى:
المُصَفَّحُ، والضريب يقال له: الرقيب.

وقد جمع الصاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال
إن القداح أمرها عجيب * القُدُّ، والتوأم، والرقيب،
والحلس، ثم النافس المصيب *، والمُصَفَّحُ المشتهر العجيب،
ثم المعلّى حظه الترغيب * هالك فقد جاء بها الترتيب،

وأما الأربعة التي يُنقل بها القِداحُ فهي : السَّقِيحُ، وَالمَنِيحُ، وَالمُضَعَفُ،
وَالوَعْدُ .

قال ابن قتيبة : وَالمَنِيحُ له موضعان : أحدهما لاحتطّ له ، وَالثاني له حظٌّ ،
فكَأَنَّهُ الذي يُمنَحُ حُظُّهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ دَلٌّ قول عمرو بن قيسمة
بأبيهم مَقْرُومَةً وَمَعَالِي * يَعودُ بِأَرْزَاقِ الْعِيَالِ مَنِيحِهَا .

قالوا : فيُؤْتَى بِالْقِدَاحِ كُلِّهَا وَقَدْ عُرِفَ كُلُّ مَا اخْتَارَ مِنَ السَّبْعَةِ وَلَا يَكُونُ الْأَيْسَارُ
إِلَّا سَبْعَةً ، لَا يَكُونُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ تَقَصَّوْا رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ ، فَاحْبِ الْبَاقُونَ
أَنْ يَأْخُذُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْقِدَاحِ ، فَيَأْخُذِ الرَّجُلُ الْقِدَاحَ وَالْقِدَاحِينَ فَيَأْخُذُ فَوْزَهُمَا إِنْ
فَازَا ، وَيُغْرَمُ عَنْهُمَا إِنْ خَابَا وَيَدْعَى ذَلِكَ : التَّمِيمُ قَالَ الثَّابِتُ
إِنِّي أَتَمُّ أَيْسَارِي وَأَسْنَحُهُمْ * مِنَ الْأَبَادِي وَأَكْسُوا الْجَفْنَةَ الْأَدَمَا .

فَيَعْمَلُوا إِلَى الْقِدَاحِ ؛ فَتُشَدُّ بِمَجْمُوعَةٍ فِي قِطْعَةٍ يَلِدُ ثُمَّ يَمْدُ إِلَى الْحُرْصَةِ فَيَلْفُ
عَلَى يَدِهِ الْيَمْنَى ثَوْبًا لثَلَا يَحْدُ مَسَّ قِدَاحٍ لَهُ فِي صَاحِبِهِ هَوًى ، فَيَحَابِيهِ فِي إِخْرَاجِهِ ، ثُمَّ
يُؤْتَى بِثَوْبٍ أَبْيَضٍ يُدْعَى . الْمَجْوَلُ ، فَيَسْطُرُ بَيْنَ يَدَيِ الْحُرْصَةِ ، ثُمَّ يَقُومُ عَلَى رَأْسِهِ
رَجُلٌ يَدْعَى : الرَّقِيبُ ، وَيُدْفَعُ رِبَابَةُ الْقِدَاحِ إِلَى الْحُرْصَةِ وَهُوَ مَحْوِلُ الْوِجْهِ عَنْهَا ،
وَالرِّبَابَةُ : مَا يَجْمَعُ فِيهَا الْقِدَاحُ ، فَيَأْخُذُهَا وَيَدْخُلُ بِشَالِهِ مِنْ تَحْتِ الثَّوْبِ ، فَيَنْكَرُ
الْقِدَاحَ بِشَالِهِ ، فَإِذَا نَهَدَ مِنْهَا قِدَحَ تَأَوَّلَهُ فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّقِيبِ . فَإِنْ كَانَ عَمَّا لَاحِظًا لَهُ
رُدُّهُ إِلَى الرِّبَابَةِ ، فَإِنْ خَرَجَ بَعْدَهُ الْمُسَيَّلُ ، أَخَذَ الثَّلَاثَةَ الْبَاقِيَةَ ، وَغَرَمَ الَّذِينَ خَابُوا ثَلَاثَةَ
أَنْصِبَاءَ مِنْ جَزَرٍ أُخْرَى ، وَعَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَفْعَلُ بَيْنَ فَازٍ وَمَنْ خَابَ ، فَرُبَّمَا نَحَرُوا
عِدَّةَ جَزَرٍ وَلَا يَغْرَمُ الَّذِينَ فَازُوا مِنْ ثَمْنِهَا شَيْئًا ، وَإِنَّمَا الْغَرَمُ عَلَى الَّذِينَ خَابُوا وَلَا يَحِلُّ

لثَّانِينَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ ذَلِكَ الْلَحْمِ شَيْئًا، فَإِنْ فَازَ قَدَحُ الرَّجُلِ فَأَرَادُوا أَنْ يَمِيدُوا قَدَحَهُ
ثَانِيَةً عَلَى خِطَارِ فَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ .

- ومنها : نِكَاحُ الْمُقْتِ : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ قَامَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ فَالْتَقَى ثَوْبَهُ عَلَى
أَمْرَأَةِ أَبِيهِ فَوُثِّتَ نِكَاحُهَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ تَزَوَّجَهَا بَعْضُ إِخْوَتِهِ بِمَهْرٍ
جَدِيدٍ، فَكَانُوا يَرِثُونَ نِكَاحَ النِّسَاءِ كَمَا يَرِثُونَ الْمَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُفْرًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) .

- ومنها : رَمَى الْبَعْرَةِ : كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا تَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا ، دَخَلَتْ
حَقْنًا، وَالْحَقْنُ : الْخُصُّ ، وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا وَلَمْ تَمْسُ طَبِيبًا وَلَا شَيْئًا ، حَتَّى تَمُرَّ لَهَا
سَنَةٌ ثُمَّ تَوَقَّى بِدَايَةِ حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَيْرٍ فَتَنْتَضِ بِهَ أَيْ تَمْسَحَ بِهِ ، فَقَلَمًا تَنْتَضِ
بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ ، فَتَعْلَى بَعْرَةً فَتَرْمِي بِهَا ، ثُمَّ تَرَجِعُ
مَا شَاعَتْ مِنْ طَبِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ وَمَعْنَى رَمِيهَا بِالْبَعْرَةِ : أَنَّهَا تَرَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ هَبْنِ عَلَيْهَا
مِثْلَ الْبَعْرَةِ الْمَرْمِيَّةِ ، فَتَنْسَخُ الْإِسْلَامَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ
أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

- ومنها : ذَبْحُ الْعَتَائِرِ : قَالُوا : كَانَ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الشَّاةَ ، وَيُسَمِّي الْعَتِيرَ
وَالْمَعْتُورَةَ فَيَذْبَحُهَا وَيَصُبُّ دَمَهَا عَلَى رَأْسِ الصَّنَمِ ، وَذَلِكَ يَفْعَلُونَهُ فِي رَجَبٍ ، وَالْمَعْتَرُ
قِيلَ : هُوَ مِثْلُ الذَّبْحِ ، وَقِيلَ : هُوَ الصَّنَمُ الَّذِي يُعْتَرُ لَهُ . قَالَ الطَّرْقَاحُ
* نَحَرُ صَرِيحًا مِثْلَ عَاتِرَةِ النَّسِكِ

أَرَادَ بِالْعَاتِرَةِ : الشَّاةَ الْمَعْتُورَةَ .

عَقْدُ السَّلَاحِ وَالْعَشِيرِ : وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عِنْدَ ذِكْرِ أَسمَاءِ نِيرَانَ الْعَرَبِ .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فاذبح عنها كذا ،
فاذا بلغت ضئبها ، وعمد الى الطباء فيصطادها ويذبحها . وفاء بالنذر ، قال الشاعر :
عَتَا باطلاً وزُوراً كما يُعْتَرَعَن حَجْرَةُ الرَّيْضِ الطَّبَاءُ

ومنها : حبس البلايا : كانوا اذا مات الرجل يشنون ناقته الى قبره ، ويعكسون
رأسها الى ذنبها ، ويفنون رأسها بوليّة وهي البردعة ، فإن أفلتت لم تُرد عن ماء
ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ، ليحشر
عليها ، فلا يحتاج أن يمشى ، قال أبو زيد

كالبلايا رموها في الولايا * مانحات السموم حراخلود

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان اذا قُتل ، ولم يطالب بثأره ، خرج
من رأسه طائر يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : أسقوني ! أسقوني ! الى أن
يطلب بثأره ، قال ذو الإصبع

يا عمرو إن لا تدع شتى ومنقصى * أضربك حتى تقول الهامة : أسقوني

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة ، عمده الى البعير الذي
أماه به ، فاغلاق ظهره لئلا يُركب ، ويعلم أن صاحبه حى ظهره ، وإغلاق ظهره
أن يتزع ستائس فقرته ويعقر ستامه .

ومنها : التعمية والتفقيّة : وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً قفا عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر

وهبتا وأنت ذو أمتان * تخفا فيها أعين البُصران

فإن زادت عن ألف قفا العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول : كان النساء لا يكيبن المقتول إلا أن يدرك بثاره، وإذا أدرك بثاره بكينه؛ قال شاعر

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتا بوجه نهار
يحيد النساء حواسرا يندبنه * يلعطن حر الوجه بالأمصار

ومنها : رمى السن في الشمس : يقولون : إن الغلام إذا نغر، فرمى سنه في عين الشمس بسببته وإبهامه وقال : أبدلني أحسن منها، أمن على أسنانه العوج، والقلج، والتعل؛ قال طرفة

بدلته الشمس من منيته * بردا أبيض مصقول الأثر

ومنها : خضباب النحر : كانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له؛ قال الشاعر

كان دماء الماديات بنجره * عصارة حنّاء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق : كانوا إذا ضل الرجل منهم في الفلاة، قلب ثيابه، وحبس ناقته، وصاح في أذنّها كأنه يومئ إلى إنسان، وصفق يديه : الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة الساعة، إلى - إلى، عجل؛ ثم يحرك الناقة فيتمدى؛ قال الشاعر

وأذن بالتصفيق من ساء ظنّه * فلم يدّر من أيّ الدين جوابها

يعنى : يسوء ظنّه بنفسه إذا ضل .

ومنها : جز النواصي . كانوا إذا أسروا رجلا، ومثوا عليه فاطلقوه، جزّوا ناصيته ووضعوها في الكانة؛ قال الخطيئة

قَدْنَا سَلَوَ فسلوا من كثرتهم * مجدا تليدا ونُبلا غير أنكاس

يعنى بالنبل : الرجال ؛ وقالت الخنساء

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا يُجزّا

ومنها : كَيَّ السليم عن الحرب : زعموا أن الإبل اذا أصابها العرُ فآخذوا

الصحيح وكوه زال العرُ عن السقيم ؛ قال النابغة

وكلفتنى ذنبَ أمري وركنهُ * كذى العُزيمُ كوى غيره وهو دافعُ

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه المدوى .

ومنها : ضرب الثور : وزعموا أن الجنَّ تركب الثيرانَ فتصدُّ البقر عن الشرب ؛

قال الأعشى

وإني وما كلفتماني وربكم * ليعلم من أسى أعق وأحويا

لكالثور والجنّ يركب ظهره * وماذنبه إن عافت الماء مشربا

وماذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا يُضربا

وقال آخر

كذلك الثور يُضرب بالهرأوى * اذا ما عافت البقرُ الظلّة

ومنها : كعب الأرنب : كانوا يحلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فصل

ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أن الجنَّ تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من

مطايا الجنّ لأنها تحيض ؛ قال الشاعر

ولا ينفع التشهير إن حُم واقع * ولا زصرع يُفنى ولا كعب أرنب

وقيل لزيد بن كُثَوفَ : أحق ما يقولون : إن من علق على نفسه كعباً أرنب لم يقربه جنُّ الحى وعُملُّ الدار ؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الحمَّاطة ، الحمَّاطة : شجرة التين ، وجان المُشَرَّة ، وغول المُعَرِّ ، وكلُّ الخوافى ، إى والله يعلق نيران السُّعالي .

- ومنها : حيض السُّمَرَةِ : يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعلق عليه سنَّ ثعلب ، أو سنَّ هرة ، أو حيض سُمَرَةٍ ، أمن ، فإن الجنَّة إذا أرادت له لم تقدر عليه ، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت
كانت عليه نُقْرَةٌ * ثعلبٌ وهِرَّةٌ
* والحيض حيض السُّمَرَةِ *

- ١٠ • ومنها : الطارف والمطروف : يزعمون أن الرجل إذا طُرف من صاحبه ، فهاجت فسمع الطارف عين المطروف سبع مراتٍ وقال في كلِّ مرة : بإحدى جاءت من المدينة ، بأثقي جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة ، الى سبع ، سكن هيجانها .
ومنها : وطء المقاتليت : يزعمون أن المرأة المغلات إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقى أولادها ، وفي ذلك يقول بشر بن أبى خازم
تظلُّ مقاتِلُ النساءِ يطَّانهُ * يقنُّ ألا يلقى على المرءِ مِثْرُ

- ١٥ • ومنها : تعليق الحلَى على السليم : كانوا يلقون الحلَى على المسووع ويقولون إنه إذا علق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرَّعَاث ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم ، قال النابغة

يُسَهَّدُ في وقتِ العشاءِ سليمُها * حلَى النساءِ في يديهِ قَعاقِرُ

ومنها : ذهاب الخلد : يزعمون أن الرجل اذا خدرت رجله فذكر أحب الناس اليه ذهب عنه ؛ قال كثير

اذا خدرت رجل دعوتك أشقى * بذكراك من مثل بها فيهن
وقالت امرأة من كلاب

اذا خدرت رجلى ذكرت ابن مصعب * فإن قلت : عبدالله ، أجل فتورها
وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجله فقال : يا محمد .

ومنها : الحلا : زعموا أنه اذا ظهرت بشفة الفلام بشور ، يأخذ منخلًا على رأسه ويمزج بين بيوت الحى ، وينادى : الحلا الحلا ، فيلقى فى منخله من ما هنا ثمرة ، ومن ما هنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فاذا امتلأ ، ثم بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وفلك البثر يسمى : الحلا . ١٠

ومنها : التعشير : يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية ، تخاف وبامها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركا ينق الحمار ، ثم دخلها لم يصبه وباءها ، قال عروة ابن الورد

لعمرى لئن عشت من خشية الردى * نهاق الحمير إنى لجزوع !

ومنها : عقد الرتم : كان الرجل منهم اذا أراد سفرا ، عمد الى رتم ففقدته ، والرتم : نت ، فإن رجع ورآه معقودا ؛ زعم أن امرأته لم تخنه ، وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانت ، قال الشاعر

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم * كثرة ما توصى وتعفاد الرتم ؟

وقال أنور

خاتنه لما رأت شيئا بفرقه * وغره حلفها والعقد للرتم ٢٠

ومنها : دائرة المهقوع : وهو القرس الذى به الدائرة التى تسنى : المحقة ،
يرعون أنه اذا عرق تحت صاحبه ، أظلمت حليته وطلبت الرجال ؛ قال الشاعر
اذا عرق المهقوع بالمره أنظمت * حليته وأزداد حرا عجانها

ومنها : شق الرداء والبرقع : زعموا أن المرأة اذا أحببت رجلا أو أحبها ثم لم
تشق عليه رداءه ، ويشق عليها برقعها ، فسد حبها ، فلذا فعل ذلك دام حبها ؛
قال الشاعر

اذا شق برد شق بالبرد برقع * دوايك حتى كلنا غير لايس
فكم قد شققنا من رداء محير * ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها : نوء السماء : كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ؛ قال الشاعر
لبت السماء ونوءه لم يخلص * ومشى الأقرع في البلاد سليما
ومنها : النسيء : وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكلب .

(٢٥)

ومنها : وأد البنات : وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) . وكانوا يقتلون خشية الإملاق أو من الإملاق ؛
وقد قيل : إنهم كانوا يقتلون خوف العار أو أن يُسَيَّنَ ، فمن قتلهم خشية الإملاق
ما روى عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق : أنه لما أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية ، أفينبغي ذلك
اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أضللت ناقتين عشراوين ، فركبت جملا ومضيت
في بئانهما فوقع لي بيت جريد ، فقصدته فلذا رجل جالس بئانه ، فسألته عن الناقتين ،
فقال : ما نارهما ؟ قلت : ميسم بنى دارم ، قال : هما عندي ، وقد أحيا الله تعالى

بهما قوما من أهلك من مضر، وإذا عجوز قد خربت من كسر البيت، فقال لها :
 ما وضعت ؟ فان كان سقبا شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلا وأدناها، (معنى قوله
 سقبا أى ذكرا، وحائلا أى أنثى) فقالت العجوز : وضعت أنثى، قلت : أتبيعها ؟
 قال : وهل تبيع العرب أولادها ؟ قال قلت : أحكم، قال بالناقتين والجل، قلت :
 لك ذلك ، على أن تبلغنى الحل وإياها ففعل ، فأمنت بك يا رسول الله ، وقد
 صارت لى سنة على أن أشتري كل موهودة بناقتين عشراوين وجل ، فعندى الى
 هذه الناية ثمانون ومائتا موهودة قد أقتنتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 لا ينفعك ذلك ، لأنك لم تبغ به وجه الله تعالى ، وإن تعمل فى إسلامك عملا
 صالحا تُتب عليه ، ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا

وجدى الذى منع الوائدين * وأحبي الوئيد فلم تؤمدا !

١٠

ومن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المقرئ وكان من وجوه قومه ومن ذوى
 الأموال فيهم وكان يثد بناته وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعه بنو تميم
 الإتاوة التى كانت تؤتيها له جهز اليهم أخاه الريان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل
 ففزعاهم ، فاستاق النعم وسبي الذرارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء
 عليها، فقال النعمان

١٥

ما كنت ضرتما لو تمعدا * من فضلنا ما عليه قيس غيلان

فأجاب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباه ردت اليه
 وإن اختارت صاحبها تركت عليه ، فكلهن اخترن أباهن إلا أبنة لقيس بن عاصم
 اختارت صاحبها عمرو بن المشرج ، فنذر قيس لا يولد له أبنة إلا قتلها ، فأقتل
 بهذا من ولد وزعم أنه حية .

٢٠

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والقال والطيرة والفراسة والذكاء ، وكانت كهنة العرب

- ٥ لم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ، ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام ، فنُعت الشياطين من استراق السمع ، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ أَلاَّ نَبْغِذْ لَهُ شَيْئًا بَرَصًا) فعند ذلك أقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن ، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي . فمن أخبار الكهنة ، خبر مطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبدالمسيح
- ١٠ وهو يعالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شُرْفَةً ، ونحمت نأرفارس ، ولم تكن نحمدت قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة ، ورأى الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس ، فلما أصبح كسرى تصبر تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومُرَبِّيه ، فليس
- ١٥ تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم وأخبرهم الخبر فيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بنوود النار فآزناد غما وسال الموبدان وكان أعلمهم فقال : حادث يكون من قبل العرب ، فكتب كسرى الى الثمان ابن المنتنر : أن وجه الى رجلا عالما بما أريد أن

أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح بن حسان بن ثقيلة التَّسَانِي فقال له كسرى :
أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال : ليضربني المَلِكُ فإن كان عندى منه علم ،
وإلا أخبرته بمن يُعالمه ، فأخبره بما رآه فقال : عِلْمُ ذلك عند خال لي يسكن مشارق
الشام يقال له : سَطِيطِيع ، فأرسله كسرى اليه فورد على سَطِيطِيع وقد أشفى على الموت
فسلم عليه وحيّاه فلم يُجِر سَطِيطِيعُ جواباً فأشدد يقول

أُصَمِّمُ أم يسمع غَطْرِيفُ الْيَمِينِ * أم فاز قَارِظٌ به شَاؤُ الْمَنَنِ؟
يا فاضل الخطّة اعيت من ومن * وكاشف الكربة عن وجه النَفَضَنِ
أتاك شيخ الحى من آل سَنَنْ * وأمنه من آل ذئب بن حَجَنْ
أزرق مُهمى الناب صرّار الأذُن * أبيض فضفاض الرداء والبَدُنْ
رسول قيل النجم يسرى بالوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
يحوب فى الأرض على ذات شجِن * ترفعنى وجباً وتهوى بى وجُنْ
حتى أتى عارى الجأحى والقطن * تلقفه فى الريح بَوغاهُ الدَّمَنْ
* كأنما حُمِيت من حَضْنِي نَكَنْ *

ففتح سَطِيطِيع عينيه ثم قال : عبد المسيح ، على جَمَلٍ مُشِيح ، أتى الى سَطِيطِيع ، وقد أوفى
على الضريح ، بعثك مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لأرتجاس الإيوان ، ونعود النيران ، ورؤيا
المُوبَدَّان ، رأى إبلا صِيباً ، تقود خيلاً عِراباً ، قد قطعت دجلة وأنشرت فى بلاد
فارس ، يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه ، وبُعث صاحب الهِرَاوَه ، وفاض وادى
السماءه ، وغاصت بحيرة سَاوَه ، ونحلت نار فارس ؛ فليس الشام لسَطِيطِيع شاما ،
ولا بابل للفرس مقاماً ، يملك فيهم ملوك وملكات ، بعدد الشُرَفَات ، وكل ما هو
أت أت ؟ ثم قضى سَطِيطِيع لوقته ، فثار عبدُ المسيح الى رحله وهو يقول

شمر فإنك ماضى العزم شمر * لا يفزعك تفريق وتغيير
 إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار دهاير
 فربما رتباً أضوا بمثلة * تهاب صولم الأسد المهاير
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والمهرمان وسابور وشابور
 والناس أولاد علات فن علموا * أن قد أقل فحقور ومهجور
 وهم بنو الأثم أما إن رأوا نسيا * فذاك بالغيث محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قص الخبر على كسرى قال: الى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
 منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

- ١٠ ومن أخبارهم: أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطرقت وتكهنّت
 وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عنه أنه قال: لما زوّج النبي صلى الله
 عليه وسلم أخته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتني الحسرة
 أو كالحسرة أن لا أكون سبقت إليها ثم لم ألبث أن أنصرفت الى منزلى فالفيت
 خاتى فلما رأتى قالت

- ١٥ أبشروحيّ ثلاثا تترى * ثم ثلاثا وثلاثا أترى
 ثم يأتى كى تمّ عشرا * أذاك خير ووُقيت شرا
 نكحت والله حصانا زهرا * وأنت بكر وُلّيت بكرا
 وأفتها بنت نفوس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا

- قال عثمان: فجيبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين؟ فقالت
 ٢٠ عثمان يا ابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك البيان

هذا نبي معه البرهان * أرسله بحقه الديان

وجاءه التنزيل والسرطان * فأتبعه لا تحتالك الأوتان

فقلت : يا خالة ! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدنا فأتيتني لي ، فقالت :
إن محمد بن عبد الله رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفايح ، ومدت الرماح ، قال : ثم قامت
فأنصرفت ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وترويعه
رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين أنفاقا وجمالا .

ومنها أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان
قريش ، وكان له بيت الضيافة ، خارجا من البيوت ، تغشاه الناس من غير إذن ، فخلا
البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن
كان يغشى البيت فوبخه ، فلما رآها ولّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضرها
برجله وقال لها : من هذا الذي نخرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ،
ولا أنتبهت حتى أنبهتني ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
لها أبوها : يا بنية ! إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنهينى نباك ، فإن يكن الرجل
عليك صادقا دسست عليه من يقتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكته
إلى بعض الكهّان ، فقالت : لا والله ! ما هو علي بصديق ، فقال له : يا فاكه ! إنك
قد رميت أبتى بأمر عظيم ، فهاكني إلى بعض كهّان اليمن ، نخرج الماكه في جماعة
من بني مخزوم ، ونخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة ، فلما
شارفوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرت حال هند ، فقال لها عتبة : إني أرى

٥

١٠

١٥

٢٠

(٣٧)

ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا المكره عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند
الناس مسيرنا؟ فقالت : لا والله ! ولكني أعرف أنكم تأتون بَشْرًا يخطئ ويصيب
ولا آمنه أن يسمى مِيْماً يكون على سُبَّةٍ فقال : إني سوف أختبره لك، فصفر لفرسه
حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حَبَّةَ حَنْطَةٍ وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على
الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تقدوا قال له عتبة : قد جئتُك في أمر وقد خبانَا لك
خيثا أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمره، في كَرَّة . قال إني أريد أئين من هذا،
قال : حَبَّةُ بُرٍّ في إحليل مُهر، قال : أنظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من
إحدهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها :
أنهضى غير رجاء ولا زانية ، ولتلدن ملكاً اسمه معاوية ، فنهض اليها الفاكه فأخذ
بيدها فجذبت يدها من يده وقالت : اليك عني فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك ؟
فترجها أبو سفيان .

ومنها . أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم :
إني أنا فرك على خمسين ناقة سود الحلق، نحرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشرين،
فرضي أمية وجعل بينهما الخزاعي الكاهن ونرجا إليه ومعهما جماعة من قومهما
فقالوا : نجبا له خيثا فان أصابه تحاكتنا إليه، وإن لم يصبه تحاكتنا إلى غيره، فوجدنا
أبا مَهْمَةَ وكان معهم أطباقٌ بجمجمة ، فأمسكها معه ثم أوى الكاهن فأناخوا ببابه
وكان منزله بسُفَّان : فقالوا : إنا قد خبانَا لك خيثا فأنبئنا عنه . قال : أحلفُ
بالضوء والظلمة ، وما بهتامة من تهمة ، وما بنجيد من أكبه ، لقد خبانتم لي أطباق
بجمجمة ، مع الفلتاح أبي مهممة ؟ فقالوا : صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً ، قال : والقمر الباهر،

والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالحق من طائر ، وما آهتدى بيلمُ مسافر ،
من مُنجد وغائر ، لقد سبق هاشم أُمّية الى المآثر ، أولا منه وآخر ، فأخذ هاشم
الإبل ونحرها وأطعمها من حضرو نرج أُمّية الى الشام فأقام بها عشر سنين ؛ فيقال :
إنها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين بنى أُمّية .

- ومنها : أن بنى كلاب وبنى رُبّاب من بنى نَضْر خاضوا عبدَ المطلب في مال قريب
من الطائف فقال عبدُ المطلب : المال مالى فسلونى أعطكم ، قالوا : لا ، قال : فاختاروا
حاجّا قالوا : ربيعة بن حُذار الأَسَدِيّ قراضوا به وعَقَلوا مائة ناقة في الوادى
وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِم له ، وخرجوا وخرج مع عبدِ المطلب حَرْبُ بن أُمّية
فلما نزلوا بربيعة بعث اليهم يمزائر فنحرها عبدُ المطلب ، وأمر فصنع جزرا وأطعم
من أناه ، ونحر الكلابيون والنضريون وشقوا ققيل لربيعة فقال : إن عبد المطلب
أمرؤ من وَلَدِ نَزِيمَةٍ ففى يُمَلِّق يوصله بنو عمه وأرسل اليهم أن أخبأوا لى خبيثا فقال
عبد المطلب : قد خَبَأْتُ كلبا أسمه سوار فى عنقه قِلادة ، فى خرزة مزادة ، وضممتها
بعين جرادة ، فقال الآخرون : قد رَضِيها ما خَبَأْتُ وأرسلوا الى ربيعة فقال : خبأ ثم خبيثا
حيا قالوا : زد ، قال : ذوبُرْثن أغبر ، وبعثن أحمر ، وظَهَر أُنْمُر ؛ قالوا : قربت ، قال : سما
فَسَطِع ، ثم هبط فطلع ، فترك الأرض بَلَقِع ، قالوا : قُرْبَت فَطَلَبُ قال : عين جرادة ،
فى خرزة مزادة ، فى عنق سوار ذى القِلادة ، قالوا : زه زه أصبت فأحك لأشدنا طلعانا ،
وأوسعنا مكانا ، قال عبدُ المطلب : أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوات
وأكرمنا أمهات ، فقال ربيعة : والنسقى والشقى ، والخلق المتفق ، ما لبنى كلاب
وبنى رُبّاب من حق ، فانصرف يا عبدالمطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ؛
فوهب عبد المطلب المال لحرب بن أُمّية .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملةً تحف عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من كتاب الأصل.

الزَّجَر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
 • إذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فتعَبُّ غراباً عن يمينك
 وعن يسارك أو سَحَّ أو برج فامض فإنك مُدْرِك حاجتك إن شاء الله تعالى ،
 فإن نعب أمامك أو فوقك فارجع ففينا تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فتعَبُّ فوق رأسك فامض فإنك مُدْرِك حاجتك إن
 شاء الله تعالى .

• فإن خرجتَ تطلب دابةً فتعَبُّ عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع ، فامض
 لحاجتك ، فإن نعب أمامك فارجع .

وإن خرجتَ تطلب مالاً ضلَّ عنك أو سُرِق ، فتعَبُّ غراباً على شجرة يابسة
 فلا تطلبه فقد استهلك وقد يأتيك بعضه ، فإن نعب على جدار جديد أو شجرة
 خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

(٣٨)

• فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فتعَبُّ من ورائك ، فارجع فليس لك في ذلك خيرة ،
 وإن نعب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجتَ تريد الصيد فتعَبُّ من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنك
 تترك خيراً .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فتنب عن يمينك ثم طار ثم
نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فتنب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك
فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يسمح متقاره على الأرض فإنك تصيب
أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فتنب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فتنب
فإنك تدرك حاجتك عجلًا إن شاء الله تعالى ! فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني
أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فتنب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك
فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفض ريشه؛ فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً ينفض فامض لحاجتك؛ فإنك تدرك
أملك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطانَ فوقع غراباً على شيء فتنب ثلاث مرات فامض
لحاجتك؛ فهو خيرٌ عاجل ويسيرٌ للوائح إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع
يومك .

وإن خرجت تريد خصومة فتنب من فوقك فامض، وإن نعب فاجابه الآخر
فهو جيد صالح .

وإن نخرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك أو نفتح فامض؛ فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن نخرج جماعةً وفيهم رجل شريف ففتح غرابٌ على رأس الشريف، ثم أتوا ملكاً فإنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

• وإن نخرج بطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمش في تلك الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن نخرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً؛ ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً أو ولي قوماً، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً، وإن رآه يتقر في الأرض فذلك ملك .

• وإن نخرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب، فذلك غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن نخرج فرآه ينتفض ثم ينعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج؛ والعلم عند الله .

وإن نخرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

• وإن نخرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك هم يصيبه شديد .

وإن نخرج فلقى بقراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن نخرج يعود مريضاً فنلق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمرضى صالح، وإن نلق خلفه فقد أشد بالمرضى مرضه وأنا حائف عليه .

وإن خرج يريد حاجة فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلطّخٌ بمِذْرَة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلام يمدو ويلتف فإن حاجته تسر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشاً يطير ، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته ، وإن رآه يطير مستعلياً فليرجع ، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضية بعد بطة ومطل ، وإن رأى حمامة هايلة واقعة تنع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، وإن كانت الجنازة قد جاوزته مُدْرَة فليذهب لحاجته ؛ فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهنّ مقلبات نحوه فليقم حتى يعضن عنه فإنه أنجح لحاجته وإن رآهن مُدْبِرَات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

وإن خرج من داره فرأى في أرضها غملاً كثيراً وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى دُباباً كثيراً مجتمعاً على حائط وهو يسمع لمن ديبا فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى دُراً كثيراً وقرداً فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دَجَاجَتَيْنِ يقتلان بنقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين أمراته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشاً يقتلان في جوف السماء راغبين وهابطين فيأتيه ما يُسْرِيه . وإن رأى كلبه والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضها فإن كان عليه دين قضاه الله عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئاً يسره الله له وإن أراد سفره أتيا له ورجع سالماً .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم أنشقت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدًا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يلا قربة فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير بالله عاجلاً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حماراً أو بغلاً عليه راوية مملوءة فشانه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى رجلاً عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتية وينى اليه بعض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه متاخراً يرغو فإن ذلك خير يأتية ويُبخر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيراً قد شردَ ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيراً قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفوره بعدوه وأنتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قرداً يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهرها لبطني في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلمانا يلعبون بالأكرة ويتساقون فليعض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفعةً وشرقاَ وتمكنا من السلطان ويصيب مالا عظيما .

وإن خرج فراحم يلعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدل على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان ويركب أمرا عظيما من عمله فليقت الله .

وإن رأى جوارى يلعبن بالطرق كأنهن يزفن عروسا فهو خير وسرور ودخول في أمر شريف وإنه يربح ربما عظيما وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقتان الحب فهو صالح، وإن رآهما يتسافدان فهو خير يناله في يومه، وإن رآهما مدبرين فليعض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بشوبه شيء فليرجع؛ فإنى أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حداة تسفد حداةً وهى تصبح فهو نجاح فليعض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤثرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فإن ذلك ما حكى أن أُمَيَّةَ بن أبى الصَّلْتِ التَّمَقَّى بينا هو يشرب مع إخوان له في قصر عِلَّان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فتمب نعبه فقال أُمَيَّةُ :

بفك الكُنْكَتْ أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك إذا شربت

الكأس التى بيدك متٌ ، ثم نمب نعبه أخرى ، فقال أُمَيَّةُ كمثلته الأولى فقال

أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المذبة في أسفل القصر فيستثير عظم

فيلتله فيشجى به فيموت ، فوقع الغرابُ على المذبة فأتار العظم وأبتله فشجى

فات ، فأنكر أُمَيَّةُ ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلاً وألحوا عليه حتى شرب الكأس قال فأغمى عليه ثم أفاق فقال :
لا برىء فأعترد، ولا قوى فأتصمر، ثم خرجت نفسه .

- وزعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه
فعطش فأتاخ ليشرب فإذا غراب ينبع فانار راحته ، ثم سار فلما أظهر أتاخ
ليشرب ، فنعب الغراب وتمزغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود
ضخم فقتله ، ثم سار فإذا غراب واقع على سِدرة فصاح به فوقع على سَلَمة فصاح به
فوقع على صخرة فاتمى إليها فانار كثرًا، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟
قال : سِرْتُ صدر يومي ، ثم أُنخْتُ لأشرب فنعب الغراب ، قال أثرها وإلا فلست
بابي ! قال : أثرتُها ، ثم أُنخْتُ لأشرب فنعب الغراب وتمزغ في التراب قال : أضرب
السقاء وإلا لست بابي ! قال : فعلتُ ، فإذا أسود ضخم قال : ثم مه ! قال : ثم رأيتُ
غراباً على سِدرة قال : أطره وإلا فلست بابي ! قال : فعلتُ فوقع على سَلَمة قال :
أطره وإلا فلست بابي ! قال : فعلتُ فوقع على صخرة قال : أحدِ يا بني ! فأحده

- ومن الزجر : ما يروى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين
بعث زابرا ومصورا وقال للزاجر : أنظر ما ترى في طريقك وعنده ، وقال للمصور :
إئتني بصورته ، فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها
كسرى على وسادته ، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أرا ما أزره حتى الآن
وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل : إن كثيراً تشق امرأة من نخاعة يقال لها : أم الحوirth ، فشبه بها فكثرت
أنب يفضحها كما فضح عزة فقالت له : إنك رجل فقير لا مال لك فابتع مالا ،

ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام قال : فاحطني لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك خلفت ووثقت له فمدح عبد الرحمن بن الأزدي ونرج إليه؛ فلقى طلباء سوانح، ولقى غمراً بآ يفحص التراب بوجهه فتطير من ذلك حتى قدم على حمى من لمب فقال : أياكم يزجر؟ قالوا : كلنا ! فمن تريد؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصلب، فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له وقال : قد ماتت أو تزوجت رجلاً من بنى عمها فقال كثير

تميمت لمبا أبتنى العلم عندهم . وقد رد علم العالمين الى لمب ! فيممت شيخاً منهم ذائماً * بصيراً بزجر الطير منحني الصلب ! فقلت له : ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفحص الأرض بالتراب؟ فقال : جرى الطير السنيح بينها * ونادى غراباً بالعراق وبالسليح فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها * سؤال خليل باطني من بنى كعب قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه حيراً، ثم قدم عليها فوجدتها قد تزوجت رجلاً من بنى عمها فأخذته الملاس فكشع جنباه بالنار؛ فلما آدملم من علته ووضع يده على ظهره فأنذا هو برقتين يقال : ما هذا؟ قالوا : أخذك الملاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا بالكشع بالنار فكشعت بها فأنشأ يقول

عفى الله عن أم الحويرث ذنبها * علام تعنفي وتكبي دوائها؟

ولو آذونى قبل أن يرقوا بها * لقلت لهم : أم الحويرث دائماً

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له : أنظر أين تراه جالسا، ومن الى جانبه، وأنظر ما بين كتفيه حتى انحلت الشامة؛ فقدم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تَشِيرٍ واضعاً قدميه في الماء، وعن يمينه على عليه السلام ؛ فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : « تحوّل فانظر ما أمرت به » فنظر ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر فقال : ليعلوت أمره وليلمكتن ماتحت قدمي وقال : بالنشر العلو والماء الحياة .

- ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبت ليلةً ثابتة النجوم طويلاً الأناة لا ينجاب ديمورها ولا يقطع نورها حتى اذا قرب السحر غفوت فهتف لى هاتف يقول

خَطْبُ أَجَلِ أَنَاخٍ بِالْإِسْلَامِ * بين التخيّل ومَعْقَدِ الآطَامِ

- ١٠ قُبُضُ النَّبِيِّ عَدَ فَيُوتَا * تَدْرِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فرعاً فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح قفاهمُتْ به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميتٌ من علته، فركبتُ ناقتي وسرتُ حتى أصبحتُ فطلبتُ شيئاً أزجره ، فعن لى شَيْهٍمٍ قد أرم على صلٍ وهو يتلوى عليه والشيهم يقضمه حتى أكله فزجرتُ ذلك

- ١٥ شيئاً مهمماً فقلت : تَلَوَى الصَّلَ : أَهْتَلِ الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولتُ أكل الشيهم إياه : غَلَبَ القائم على الأمر فحشيتُ ناقتي حتى اذا كنت بالعلية زجرتُ الطير فأخبرني بوفاته . ونعب غراب سانحاً بمنزل ذلك فتعوذتُ من شرِّ ماعزٍ لى في طريقى ، ثم قُدمتُ المدينةَ ولأهلها فجميع كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام فقلتُ : مه ! قالوا قُبُضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فحشيتُ المسجدَ فأصبته خالياً فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأصبتهُ بابه مُرتجماً وقد
- ٢٠

خلا به أهله فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الأنصار
 بفشت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالم ،
 وجماعة من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم شعراؤهم وأمامهم
 حسان بن ثابت ، وكعب في ملائمتهم فآوينا الى الأنصار فتكلموا فآكثروا وتكلم
 أبو بكر فله من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل ، والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامع إلا آفاد له ومال اليه ، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه ، فشهدت
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دُنا بابها وأنصرف أبو ذؤيب الى بادية
 وثبت حل إسلامه .

١٠

ومنه : ما روى عن مصعب بن عبد الله الزيري أنه حدث عن رجل قال :
 شردت لنا إبل فأنيث حليسا الأسدى فسألته عنها فقال لبنت له : خُطى ، فخطت ونظرت
 ثم أهبطت وقامت منصرفة فنظر حليس في خطها فضحك وقال : أئدرى لم قامت ؟
 قلت : لا ، قال : رأت أنك تجد إبلك وأنت تزوجها فاستجيت فقامت ، فخرجت
 فأصبت إبل ثم تزوجها بعد .

١٥

القال والطيرة

حكى أنه لما ولد لسعيد بن العاص عتسة قال سعيد لأبنته يحيى : أى شيء تجله ؟
 قال : دجاجة بفرار يميها ، وإنما أراد أحقاره بذلك لأن أمه كانت أمة فقال سعيد :
 إن صدق الطير ليكون أكثركم ولنا فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد آترضه بالقيوم قوم من العرب
فَسأل رجلاً : ما أسمك ؟ فقال منصور بن سعد : وأنا من سعد العشيرة ، فتبسم
تفاؤلاً به وتيمناً وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطيرة : ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقفَ مع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
يا أمير المؤمنين ! فقال رجل من خلفه : دعاه بأسم ميت ! مات والله أمير المؤمنين ،
ولا يَقِف هذا الموقف أبداً ! فالتفت إليه فاذا هو اللّهُيُّ ، فقتل عمر قبل الحول .

وحكى أن عمر رضي الله عنه نرج إلى حرّة واقم فلقى رجلاً من جُهيّنة فقال له :
ما أسمك ؟ قال : شهاب ، قال : أين من ؟ قال : أين جَمْرَة ! قال : ومن أنت ؟
قال : من الحرقة ! قال : ثم من ؟ قال : من بنى ضرام ! قال : وأين منزلك ؟
قال : بحمّة ليل ! قال : وأين تريد ؟ قال : لظى وموسع ! فقال عمر :
أدرِكْ أهلَكَ ، فإِراك تُدرِكهم إلا وقد احترقوا ، قال : فأدرِكهم ، وقد أحاطت
بهم النار .

وقال المدايني : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هارباً
منه فنزل قريةً من الصعيد يقال لها : شكر ، فقدم عليه حين نزلها رسولُ لعبد الملك
فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوّه ! ما أراى راجعاً
إلى القِسْطاط أبداً ، ومات في تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنَقِّذُ الأمورَ ، فانهصدعتُ زُجاجةُ الأموال ،
فوقعت الشمسُ منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال : صدعُ الزُّجاجِ

أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك ! ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صَدْعُ السلطان، ستهب الشمس بملك مروان، يقوم من الترك أو تُحراسان، ذلك عندى واضح البرهان ! قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبى مُسلم .

وقال إبراهيم بن المهديّ : أرسل الى محمد الأمين في ليلة مُقمرة من ليالى الصيف فقال : يا عمى ! إن الحرب بنى وبين طاهر قد سكنت فصر الى فانى اليك مشتاق بفتنه وقد بَسط له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كساء رُوذبارى، وقلنسوة طويلة، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده . فقال لها : غتنى فقد سررت بمومتي فأندفعت غتته

ثم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكبرى مرآزبه !

بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه ؟

هكذا غتته، وإنما هو

* وعند على سيفه ونجائبه *

ففضب وتطير، وقال : ما قصتك؟ ويحك ! غتنى ما يسرتى ؟ فغنت

هذا مقام مطرّد . هُدمت منزله ودوره !

فازداد تطيرا، ثم قال : ويحك ! انتهى وغنى غير هذا فغنت

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها : قومي الى لعنة الله، فوثبت ؟ وكان بين يديه قدح يلور وكان لجه

إياه يسميه محمدا باسمه ، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصوانى فأنكسر،

- فأقبل علىّ وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، قلت : كلاً ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك ، قال : ودجلة والله هادئة ما فيها صوت مجداف ، ولا أحد يتحرك ، فسمعتُ هاتفاً يهتف : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لى : سمعتُ يا عم ؟ قلتُ : وما هو ؟ وقد والله سمعته ، فإذا الصوت قد عاد فقال : أنصرف ببتك الله بخير فحال أن لا تكون الآن قد سمعتُ ما سمعتُ ، فأنصرفت وكان آخر المهد به .

- وشبه بهذا ما حكى عن علوية المغني قال : كنتُ مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا دِمَشْقَ فطلقنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ، ويتبع آثارهم ، فدخلنا صحناً من حصونهم ، مفروشا بالرخام الأخضر ، وفيه بركة ماء فيها سمك ، وأمامها بستان ، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب ، وأقبل علىّ فقال : غني ونشيطي ، فكأن الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرقيات

لو كان حولي بنو أمية لم . . . تطيق رجالاً أراهم نطقوا
من كل قرمٍ يحض ضرابه * عن منكيه القميص ينفق

- قال : فنظر الى مُغَضَّباً ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ، وبك ! أقلتُ لك سرني أو سؤني ؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تُعرض بي ؟ فتجلدتُ عليه وعلمتُ أنني قد أخطأتُ ، قلتُ : أعلومني على أن أذكر بني أمية ؟ هذا مولاكم زرباب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلثمائة ألف دينار [وهبوها له سوى الخيل والضياع والرقيق] : وأنا عندكم أموت

جوعاً، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكرك به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا حضرني حين ذكركم، فقال: أعرض وتبه على إرادتي وغنّ فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحين ساق الى دمشق وما * كانت دمشق لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لما * وأرتك أمر غواية رَشدا

فرماني بالقدح فاخطاني وأنكسر القدح، وقال: قم الى لعنة الله وحرّ سقر! فركب، وكانت تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكي في قِيلة المتوكل، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون من شوال سنة تسع وأربعمائة ومائتين وقال للفتح بن خاقان: أحب أن نصطبح، فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي الملاء فقال له: غنّ فغنى

يا عاذلي من الملام دطاني * إنك البلية فوق ماتصفان

زعمت بُيُوتنا أن فرقنا غدا * لا مرحبا بغير فقد أبكاني

فقطير المتوكل منه، وقال: أحمد! كيف وقع لك أن تغني بهذا الشعر، قال: فثُغِلَ قلبُ ابن أبي الملاء لما أنكر عليه، ثم ذهب ليغني غيره، فغناه ثانية، فقال المتوكل: نسأل الله خير هذا اليوم، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر، فلما فرغ قال له الفتح: يا سيدي أتميم يومك، فدعا بالشراب وقال: أين ابن أبي الملاء؟ فأحضر فقال له: غنّ، فأغنى عليه فأعاد البيتين فاعتم المتوكل غاية الغم وقُتِلَ في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني: حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صدقة ابن منصور بن دُبَيْس، وأبته أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي مات فيه

وقد أتى بديوان أبي نصر بن نباته فتصفحه فوقع بيده وقال : يعزى سيف الدولة
أبا الحسن ويرث أبنه أبا المكارم محمد، فأخذت المجلد وأطبقتُه فعاد تصفحه فخرج
ذلك، ومن القصيدة التي عناه قولهُ

فَاكْ بِيَمَا فَارِقَيْنِ حُضَيْرَةً * تَرَكَهَا عَلَيَا نَظَرِ الْجُودِ دَامِيَا

نَضَمْتَهَا أَيْدِي فَنَى تَكَلَّتْ بِهِ * غَدَاةَ قُوَى أَمَالِنَا وَالْأَمَانِيَا

وَلَمَّا عَدَمْنَا الصَّبْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * أَتَيْنَا أَبَاهُ نَسْتَفِيدُ التَّعَاذِيَا

وحكى : أَنَّ أَبَا الشَّمَقْمَقِ شَخَّصَ مَعَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَرْزُوقٍ وَقَدْ ثَقُلَ الْمُوَصِّلُ ،
فَلَمَّا أَرَادَ الدَّخُولَ إِلَيْهَا أَتَقَّقَ لَوَاؤَهُ فِي أَوَّلِ دَرْبِهَا مِنْهَا ، فَتَطِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَعَظُمَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ

مَا كَانَ مَنَدُّكَ لِلْوَاءِ لِرِيَّةٍ * نَحْنُ وَلَا أَمْرٌ يَكُونُ مَبْدَلًا

لَكِنَّ هَذَا الرَّحْمَ ضَعُفَ مَتْنُهُ * صَغُرَ الْوَلَايَةُ فَاسْتَقَلَّ الْمُوَصِّلَا

فسرى عن خالد، وكتب صاحب البريد بذلك الى المأمون، فزاده ديار ربيعة
وكتب اليه : هذا التضعيف الموصول متن رحك ، فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة
آلاف درهم .

وقيل : لما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ،
وقع على الشمسية التي ترفع على رأسه طائر من الجوارح وألح، كلما فزع عاد، فتفاعل
الناس له بذلك وسرّوه به، فقال إنسان يعرف بملكدار: هذا جارح ومقبض الكف
وليس فيه بشرى بل ضحّاها ، وأقبل السلطان في جيشه فكانت الكسرة وقُضِضَ
على المسترشد وقُتِلَ من بعد .

خرج بعض ملوك القُرس الى الصيد، فكان أول من استقبله أعورُ فأمر بضربه وجبسه، ثم خرج وتصيد صيداً كبيراً، فلما عاد استدعى الأعورَ وأمر له بصلّة، فقال الأعور: لا حاجة لي في صلتك، ولكن أئذن لي في الكلام، فقال: تكلم! قال: لقيتني فضربتني وجبستني، ولقيتني فصليت وسليت فأيتا أشام؟ فضحك وخلاه.

الفراسة والذكاء

يقولون: عظم الجبين يدل على البه، وعرضه يدل على قلة العقل، وصغره على لطيف الحركة، والحاجبان اذا اتصلّا على استقامة دلّا على تخنث واسترخاء، واذا ترجعا نحو الصدغين دلّا على طرّ واستهزاء، والعين اذا كانت صغيرة الموق دلّت على سوء دخلة، وخُبت شمائل، واذا وقع الحاجب على العين دلّ على الحسد، والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خلق ومرومة، والثائثة على اختلاط عقل، والطائرة على حدة، والتي يطول تحديقها على لجة وحمق، والتي تكسر طرفها على خفة وطيش، والشعر على الأذن يدل على جودة السمع، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان.

وحكى: أن أبا موسى الأشعري وجه السائب بن الأفرع في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مهرجا بعد أن فتحها ودخل دار المُرْزَان بعد أن جمع السبي والفتائم، ورأى في بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبي وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض، فقال السائب: لأمر ما صوّر هذا الظبي هكذا، إن له لثأناً، فأمر بحفر الموضع الذى الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام، فيه سَفَطُ جوهر فأخذ السائب وخرج به الى عمر رضى الله عنه.

- وقيل : كان المعتضد يوما جالسا في بيت يُبنى له وهو يشاهد الصنّاع فرأى في جملتهم عبدا أسود منكر الخلق ، شديد المرح ، يصعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضِعْف ما يحمل غيره ، فأنكر أمره ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج فقال لوزيره : قد نَحْنَتْ في هذا نَحْيَتًا ما أحسبه باطلا ، إنا أن يكون معه دنائير قد ظفر بها من غير وجهها ، أو لَصّا يستترّ بالعمل ، ثم قال : على - بالأسود فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدق له ليضربن عنقه ، فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : نعم ! إلّا ما كان من حدّ ، فظن أنه قد أتمنه ، فقال : كنت أعمل في أتون الأجر ، منذ سنين ، فأنا منذ شهر جالس إذ مرّ بي رجل في وسطه كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى غلّ الحميات وأخرج منه دينارا فتألمته فاذا كله دنائير فكشفتُه وسددتُ فاه وأخذت الحميان وحمّلتُه على كتفى وطرحته في التّور ٥
- وطبّنتُ عليه ، فلما كان بعد أيام أخرجتُ عظامه وطرحتها في دجلة والدنائير معي تقوى قلبي قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير ، وإذا على الكيس : لفلان بن فلان ، فنادى في المدينة ، فحضرت أمرأته وقالت : هذا زوجي وقد ترك طفلا صغيرا خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب الى الآن ، فلم الدنائير اليها وأمرها أن تعتدّ ، وضرب عتق الأسود وأمر أن يوضع ١٥
- في الأتون .

- وقيل : جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوبا مهموما يحول في الطرقات ، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به ، فدفعه الى أمرأته ، فذكرت المرأة أن المال سُرق ولم يرتقبا ولا تسلفا ، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : فبكرا أو ثيبا ؟ ٢٠

قال ثيبا، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة ؟ قال :
شابة، فعدا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب همك،
فاخذها وأقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : أقعدوا على أبواب
المدينة، فمن مرت بكم وعليه شيء من هذا الطيب فأتوني به، وأشمهم من ذلك الطيب،
ومضى الرجل بالطيب، فدفعه الى امرأته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلما شمته
بعثت به الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فتطيب به، ومرّ بمجازا
ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به الى المنصور، فقال له : من أين استفدت هذا
الطيب ؟ فجلج لسانه، فسأله الى صاحب شرطته وقال : أن أحضر الدنانير وإلا
فاضربه ألف سوط، فإ هو إلا أن جرد وهُد، فأحضر الدنانير على حالتها فأعلم
المنصور بذلك، فعدا صاحب الدنانير وقال : أرايتك إن رددت عليك متاعك بعينه
أتحكمني فى أمر أتك ؟ قال : نعم ! قال : خذ دنانيرك وقد طلقتُ أمر أتك وخبره
الخبر .

ودخل شريك بن عبد الله القاضى على المهدي فأراد أن يخبره فقال لخادم : آت
القاضى بعود، فذهب بجاء بالعود الذى يُلهى به، فوضعه فى حجر شريك، فقال شريك :
ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن
يكون كسره على يد القاضى، فقال شريك : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به
الأرض فكسره ثم أفاضوا فى حديث آخر حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك :
ما تقول فيمن أمر ويكأله أن يأتى بشيء بجاء بغيره قلّيف ذلك الشيء ؟ فقال :
يضمن يا أمير المؤمنين، فقال لخادم : أضمن ما يلف .

الباب الرابع

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع؛ فأحسنها العُدول عن الكلام القبيح الى ما يدل على معناه في لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعْظَم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنيته ، أو يكنى بأسم أبته صيانةً لأسمه ، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فنها قوله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) أى كَنِيَّاهُ . وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه : بأبى تراب؛ وقال البحرى

يتشاغفن بالصغير المسمى * موضحاتٍ والكبير المكنى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التجميل؛ وقول ابن الرومى

بكت شجوها الدنيا فلما تبيّنت * مكانك منها استبشرت وتفتت
وكان ضئيلا شخصها فتناولت * وكانت تسمى ذلةً فصكّنت

وقال أبو صخر الهذلى

أبى القلب إلا حُبُّه عامرية * لما كنيةً: عمرو، وليس لها عمرو

ومن عادة العرب وشأنهم؛ استعمل الكنايات في الأشياء التى يستحي من ذكرها، قصداً للتخفيف باللسان، كما يُتَخَفَّفُ بسائر الجوارح، قال الله عز وجل ناديا لعباده (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْفُسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) فقرن عفة البصر

بعقة الفرج ؛ وفي القرآن نكياتٌ عُدِلَ بها عن التصريح تترها عن اللفظ المستهجن ،
 كقوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَىِ شِئْتُمْ) وقال أبو عبيد : هو
 نكاية ، شبه النساء بالحَرْثِ ، وقوله تعالى : (وَقَالُوا لِبَلْوَدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) ،
 قيل : هو نكايةٌ عن الفروج ، وفي موضع آخر : (يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
 وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقوله تعالى : (أَمِلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى
 نِسَائِكُمْ) ، وقوله تعالى : (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صَدِّقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على
 عاقبة ما يصير اليه ؛ وهو الحَدَثُ ، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث . ثم قال :
 (أَنْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُكُمْ لِهَؤُلاءِ الآيَاتِ) وهذا من أَلُفِّ النكاية ، ومنه قوله تعالى : (أَوْجَاءَ
 أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَأَسْمُ النِّسَاءِ) فالغائط : المطمئن من الأرض ، وكانوا يأتونه
 لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة . ومن لم ير الوضوء من لمس النساء
 جعل الملامسة هاهنا نكاية عن الفعل .

ومن النكيات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد في الأمثال
 أشبه بالنكاية — منها قوله صلى الله عليه وسلم ” إياكم وخضرَاءُ الدَّمنِ ” يريد بها المرأة
 الحسنة في المنبت السوء ، وتفسير ذلك : أن الرجح تجمع الدَّمنُ ، وهو البعر في البقعة
 من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نبتاً غُضّاً يهتر وتحت الدَّمنُ الخبيث ، يقول :
 فلا تنكحوا هذه المرأة الحسنة الجمالها ، ومنبتها خبيثٌ كاللَّمنِ ؛ فإن أعراق السوء
 تزرع أولادها ؛ وقال زُفَر بن الحارث

وقد ينبتُ المرعى على دَمَنِ الثرى * وتبقى حرازاتُ النفوس كما هي !

وقوله صلى الله عليه وسلم : "حَمَى الْوُطَيْسُ" قاله لما جال المسلمون يوم حُنين، والوطيس : حفيرة تختفر في الأرض شبيهةً بالنور ؛ وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المذلة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلقٌ أكرم على الله منه ، فما سأل الله العافية إلا تعريضا في قوله : (إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكنى عن الفضلة المستقدرة بالألفاظ كلها كتابات، منها : الرَّجِيعُ وَالتَّجْوُّوُ الْبَرَّازُ وَالْفَائِظُ .
وَالْعَذْرَةُ وَالْحُشْ ، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحديث ، وبعضها يراد بها المواضع التي يأتى إليها الحديثُ ، وكذلك استعملوا في إتيان النساء : الجامعة ، والمرافعة ، والمباشرة ، والملامسة ، والمماسّة ، والخلوة ، والإفضاء ، والنشيان ، والنفسى ، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن .

وَحَكِي : أن رجلا من بنى العنبر كان أسيرا في بكر بن وائل ، وعزموا على غزو قومه ، فسألم رسولا الى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلّا بمحضرتنا لئلا تذرهم ، وحي ، بعبد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إني لعاقِل ! قال : ما أراك عاقلا ! ثم أشار بيده الى الليل ، فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ! قال : أراك عاقلا . ثم ملا كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لأدرى وإنه لكثير ، قال : أيما أكثر ؟ النجوم أم النيران ؟ قال : كلٌ كثير ، فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا غلاتنا ،
يعنى أسيرا كان في أيديهم من بكر ، فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العَرَجَ قد أدبى ، وشكّت النساء ، وأمرهم أن يَعرّوا ناقى الحراء ، فقد أطلالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معهم حَيْسًا ، وآسالوا عن خبرى أنى الحارث ؛

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جُنَّ الأعورُ ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملًا أصهبَ ، ثم مَرَّحُوا العبدَ ودعوا الحارثَ فقتلوا عليه القِصَّةَ ، فقال : قد أنذركم ؛ أما قوله : قد أدبى العرجُ ؛ يريد : أن الرجال قد استلأموا ولبسوا

السلح ، وقوله : وشكت النساء ؛ أى اتَّخَذْنَ الشَّكَاةَ للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ؛ ٥
أى أرغملوا عن الدهناء وأركبوا الصَّيَّانَ وهو الجمل الأصهب ، وقوله : بآية ما أكلت

معكم حيسًا أى أخلاط من الناس وقد غزروكم ؛ لأن الحيس يجع القرو والسمن والأقِطَ ، فأمتثلوا ما قال ، وعرفوا الحنَّ كلامه . وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى مجاهد

ابن سعيد عبد الملك بن عمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدثني كل رجل

منكم أحدوثة . وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحدث الحق ١٠
أم حبت الباطل ؟ قال : بل حديث الحق ، قلت : إن أمرأ القيس الى ألبه

أن لا يترَّوح أمرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعين ، فجعل يخطب النساء فاذا سألن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فيبدأ هو يسير في جوف الليل اذا هو برحل يحمل

أبنة له صغيرة ، كأنها البدر لثمه ، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة وأثنان ؟ ١٥
فقال : أما ثمانية فأطبَّاءُ الكلبة ، وأما أربعة فأخلافُ الناقة ، وأما اثنان

فثديا المرأة ، فخطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق اليها مائةً من الإبل ،

وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهدى لها نَحِيًّا من سمن ، ونَحِيًّا من عسل ، وحلَّةً من قصب ، فترى العبد

- على بعض المياه، فنشر الحلة فلبسها فتملقت بسمره فأنشقت، وفتح النحّين فاطعم أهل الماء منهما فتقصا، ثم قدم على حتى المرأة وهم خلوف فسالها عن أيها وأما وأخيها، ودفع إليها هديتها فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بييدا، ويبعد قريبا، وأن آتى ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أنى ذهب يراعى الشمس، وأن سماءكم أنشقت، وأن وعاءيكم نضبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال : أما قولها : أن أبى ذهب يقرب بييدا ويبعد قريبا : فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها : ذهبت آتى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نساء، وأما قولها : ذهب أنى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سرج له يراه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البرد الذى بعث به أنشق ، وأما قولها : أن وعاءيكم نضبا : فإن النحّين قصبا ، فاصدقنى ، فقال : يامولاي !
- ١٠ إلى نزلت بماء من مياه العرب، فسالوني عن نسبي، فأخبرتهم أنى أبى عمك، ونشرت الحلة فلبستها وتجلت بها، فتملقت بسمره فأنشقت، وفتح النحّين فاطعمت منهما أهل الماء . فقال : أولى لك ؛ ثم ساق مائه من الإبل، وخرج ومعه الغلام ليسقى الإبل، فعجز؛ فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذئبها ، ففعلوا؛ فاكل ما أطعموه، قالت : أسقوه لبنا حازرا (وهو الحامض) فسقوه؛ فشرب، فقالت : أفرشوا له عند القرث والدم ، ففرشوا له؛ فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : أريد أن أسالك عن ثلاث، قال : سلى عما بدا لك، فقالت : لم تخرج شفتاك؟
- ١٥

قال : من تقييل إياك ! قالت : لم تختلج نخذك ؟ قال : لتوركي إياك ! قالت : فلم يختلج كشحك ؟ قال : لاكتراي إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ، ففعلوا ، قال : ومزقوم فاستخرجوا أمراً القيس من البئر ، فرجع الى حبه وأستاق مائة من الإبل وأقبل الى أمراءه . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : وافته ما أدري أزوجى هو أم لا ؟ ولكن أنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكبد والسنام والمَّلْعاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : أسقوه لبنا حازرا ، فأبى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصريف والرَّيثة ؟ فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ، فأبى أن يتام وقال : أفرشوا لي فوق التلعة الحمراء وأضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلم شريطتى عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سلفى عما شئت ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشات ؛ قالت : فلم يختلج كشحك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يختلج نخذك ؟ قال : لركض المطهّات ؛ قالت : هذا زوجى لعمري ! فعليكم به ، وأقتلوا العبد قتلوه ، ودخل أمرؤ القيس بالجارية ؛ قال أبى هريرة : حسبكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحداً بأعجب منه ، فقمنا فانصرفا وأمر لي بجائزة .

وقيل : بعث بَشَامَةُ بن الأعور المنبرى الى أهله بثلاثين شاة ونمحي صغيره ممن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس الحى شيئا ، فقال لم الرسول : ألك حاجة ؟ أخبره بها ؟ فقالت أمراءه : أخبره أن الشهر عاف ، وأن جدينا الذى كان يطالعا وجدناه مرثوما ، فأرتجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيءٌ غلاما ، فقدم أبوه ليفديه ، فاشتطوا عليه . فقال أبوه :
 لا والذي جعل الفرقدين يُسميان ويصحبان على جبل طيء ! ما عندي غير ما بذلته ،
 ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه . كأنه قال : ألزم الفرقدين
 على جبل طيء ، ففهم الابن تمريره وطرد إبلًا لم من ليلته ونجما .

- ومن التخليص المتوسط اليه بالكثافة ؛ ما روى عن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي ،
 أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا ؟ أشعر برَّكا يؤتى
 مثل هذا المصر ، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليد فقال على
 المنبر : أنشد الله رجلا سمانى أشعر برَّكا إلا قام ، فقام عدى بن حاتم فقال : أيها
 الأمير ، إن الذي يقوم فيقول : أنا سميكت أشعر برَّكا لجرى ، فقال له : أجلس
 يا أبا طريف ! فقد برأك الله منها ، بخلس وهو يقول : ما برأني الله منها .

١٠

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل اليه
 مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى ، قال مسروق :
 إنه صاحب مرض ، فارجع اليه وأسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر بالوصية
 وينهى عن النوح .

- خطب رجل الى قوم فجاءوا الى الشعبي يسألونه عنه ، وكان به عارفا ، فقال : هو
 والله ما علمت نافذ الطعنة ، ركين الحلسة ، فزوجه ؛ فاذا هو خياط فأتوه فقالوا :
 غررتنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

١٥

وخطب باقلاقي الى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسأله فقال : إنه لعظيم الرمد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتم ؟ فقال أحدهما أنا ابن الذي لا يُزل الدهر قَدْرُهُ * وإن نزلت يوما فسوف تعودُ ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ !

وقال الآخر

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين غزومها وهاشمها
تأتيه بالنذل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها !

ففظنوهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فإذا الأول ابن طبّاخ والثاني ابن حجام . ١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أى الطعام أحب اليك ؟ قال : الزُّبْدُ والكَاؤَةُ . فقال : ما هما بأحب الطعام اليه ، ولكنه يحب الخصب للساكنين .

وقال اتمان لآبته : كُلْ أطيب الطعام ، ونَمْ على أوطأ الفرش ؛ كُنْى عن إكبار الصيام ، وإطالة القيام . ١٥

ومن جيد التورية وغريبها مع توتنى الصدق فى موطن الخوف : قولُ أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رَدِيْهُ عامَ الهجرة، فقيل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وصيةً لرجلٍ قال أمر أن يُخَدَّ به
حصون . فقال : أشترؤا به خيلاً للسبيل ، أما سمعتم قول النخعي

ولقد علمت على تجني الردى * أن الحصون الخليلُ لامدُّ القري

فيل كان البراء بن قبيصة صاحبَ شرابٍ ، فدخل على الوليد بن عبد الملك ،

وبوجه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لي أشقر ، ركبته فكبأ بي ، فقال :
لو ركبته الأشهبَ لَمَا كَبَأ بك ؛ يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ما تاب من الأشماء ! ليس بأسم رجل

ولا امرأة ، قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لي لو كان أسمي الي ، لسميتُ نفسي

زينب ، يُمرَّضُ به ؛ فإنه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ؛

فقال : لا أوسخ نفسي بأبي الذبان .

قال نُمَيْرِي لفقعسي : إني أريد إتيانك فأجد على بابك جروا ، فقال له الفقعسي :

أطرح عليه تراباً وأدخل ، أراد النُمَيْرِي قول الشاعر

ينام الفقعسي وما يُصَلِّي * ويخرى فوق قارعة الطريق

وأراد الفقعسي قول الآخر

ولو وُطئتُ نساءُ بني نُمَيْرٍ * على تُرْبٍ خَلْبَنَ الترابِ

قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمي : أخرجني المَال الذي وضعته

تحت آسِكَ ، فقالت : ما ظننت أن أحداً يلى شيئاً من أمور المسلمين يتكلم بهذا ،

فقال بعض من حضر : أما ترون الخلفَ الذي أشارت إليه ؟ فلما أخذ الحجاج

أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنبَ ما عيبَ على ابن الزبير ، فكُنِيَ عن المعنى فقال لها :

عمدتي الى مال الله فوضعته تحت ذيلك .

ماتت للهذلي أم وليد، فأمر المنصور الربيع بأن يمزيه ويقول له : إن أمير المؤمنين
يوجه اليك بجمارية نفيسة لها أدبٌ وظرفٌ تُسليكَ عنها، وأمر لك بفرسٍ وكسوةٍ وصليَةٍ ؛
فلم يزل الهذلي يتوقعها، ونسيها المنصور، ثم حجَّ ومعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة :
أحبُّ أن أطوفَ الليلة في المدينة، وأطلبَ من يطوفُ بي فقال : أنا لها يا أمير
المؤمنين ؛ فطاف به حتى وصل إلى بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت
عاتكة الذي يقول فيه الأصوص

• يا بيتَ عاتكة الذي أتمزُّلُ •

فأنكر المنصور ذكرَ بيتِ عاتكة من غير أن يسأله عنه ؛ فلما رجع أمرَ القصيدة
على خاطره فإذا فيها

وأراك تضلُّ ما تقولُ وبعضهم - منقُ الحديثِ يقول ما لا يفعلُ
فتذكرُ الموعدَ وأنجزه وأعثر إليه •

اجتمع الشعراءُ بباب أمير من أمراء العرب ، فترجل بيازي فقال رجل من بني
تميم لآخر من بني نمير : هذا البازي ! فقال النمرى : إنه بصيد القطا ؛ عرض
الأول بقول جرير

أنا البازي المطلق على نُمير • أتبع من السماء لها أنصبابا

وأراد الآخر قول الطرقات

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا • ولو سلكتُ طرقَ المكارم ضلَّيتُ

قال عمر بن هبيرة الغزالي لأبيوب بن غليان النمرى وهو يسأله : غَضَّ من بَنِكَ !
فقال : إنها مكتوبة ، أراد بن هبيرة قول جرير

فَغَضَّ الطرفَ إنك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد الفيرى قول ابن دارة

لا تأمنن فزارياً خلوت به * على قلوبك وأكتبها بأسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز الميمني أحد الخلفاء بمصر يلعب بالجمام فتسابق هو وخدام له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة، فبعث الى وزيره ابن كلس اليهودي

يستعلمه عن ذلك فاستحي أن يقول : إن طائر الخليفة سبق، فكتب إليه

يا بن الذي طاعته عصمة * وجبه مفترض واجب

طائرک السابق لکته * جاء وفي خدمته حاجب

جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجي، خير أهل

الأرض إلا رجلاً سبقه لعمل، أو عمل مثل عمله، يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم

النهار حتى يمسي، ثم أخذها الحياء فقالت : أفلنى يا أمير المؤمنين ! فقال : جراك

الله خيراً ! فقد أحسنت البناء، فلما ولت قال كعب بن شؤر : يا أمير المؤمنين لقد

أبلغت اليك في الشكوى، فإنها كنت بذلك عن عدم المباشرة .

الباب الخامس

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الألفاز والأحاجي

١٥

قالوا : وأشتقاق اللفز من اللفز اليربوع ولَفَزَ : إذا حفر لنفسه مستقيماً، ثم أخذ يَمْنَةً

ويسرة ليوارى بذلك ويعتى على طالبه . ولَفَزَ أسماءُ فنها : المأياة، والعويص،

والرمز، والمحاجة، وأبيات المعاني، والملاحن، والمرموس، والتأويل، والكناية،

والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعنى، والممثل، ومعنى الجميع واحد، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فأنك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعابك، أى يظهر إعياءك وهو التعب، سميته : معاياة، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص استخراجه، سميته : عويصا، وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سميته : لُغزاً، وفعلك له : إلغازا، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رَمَزَ، وقريب منه الإشارة، وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجلك أى استخرج مقدار عقلك، سميته : محاجاة، وإذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرة معانيه، سميته : أبيات المعاني، وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئا ويريد غيره، سميته : لحنا وسميت فعلك : الملاحن، وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورأس فهو : المرموس، والرمس : القدر، وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول اليك، سميته : مؤولا، وسميت فعلك : تاويلا، وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يعصرح بفرضه، سميته : تعريضا وكناية، وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سميته : الموجّه، وسميت فعلك : التوجيه، وإذا اعتبرته من حيث إنه مفغلى عليك، سميته : مُعَمَّى .

قال الحكم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ في الميزان

ما واحد مختلف الأسماء ؟ * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أنحس لا من علّة وداء * يُغني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمراء * بالرفع والخفض عن النداء
* يفصح إن علّق في الهواء *

شعر

قوله : مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس ، والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله : يحكم في السماء . وميزان الكلام : النحو، وميزان الشعر : العروض، وميزان المعاني : المنطق، وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقال آخر فيه

- ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء، وُطِّق في الهواء، له عينٌ عمياء، وكُفَّ شلاء، ليس له إن عدل ثواب، ولا عليه إن جار عقاب، خُلِقَ من ثلاثة أجناس، تضعضه الأنفاس، جسمه عارٍ من غير لباس، أنحسُ اللسان، في أذنه نُحْرَصان، مكرّر الذكر في القرآن، ينطوى إذا نام كالصِّل، وفعله المستقبل معتل، وله في الآخرة أكبر عمل.

وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم

- ١٠ ومنكوج إذا ملكته كُفَّ * وليس يكون في هذا مرأه
له عينٌ تَخْلَلُها ضياءٌ * فإن كُحِلَتْ فَلْيَلِيلِ المَاءُ
يظلّ طليمةً للوصل هونا * ولخاشي بزورته آحتاء
وقد أَوْضَعْتُهُ وَأَبْنَتْ عَنْهُ * فَضَّرَّهُ فَقَدْ بَرَحَ الخفاءُ

أراد بقوله : تَخْلَلُها ضياءٌ أى أنها مفتوحة وكلها بالإصبع ، وقد يبعث المحبوب بنجامة علامة للزيارة أورهنا عليها وهو أمانٌ للجاني .

١٥

وقال ابن الرومي في خيلة السراج

ما حَيَّةٌ في رأسها دُرَّةٌ * تسبح في بحر قليل المدى؟
إن غُيِّبَتْ كان العمى حاضرا * وإن بدلت لاح طريق الهدى!

وقال السرى الرقاء فى شبكة الصياد

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عمية ما لم تنغمس فى ماء
وإذا هي أغمست أفادت ربها * ما لا يُنال بأعين البصراء

وقال آخر فى النوم

وحامل يملنى * وما له شخص يرى !
إذا حصلت فوقه * وهو لذيد المتعطى !
سرى لا أدرى أفى * أرض سريت أم سما !

وقال أبو العلاء المعرى فى ركابى السرج

خيلان نيطا فى جوانب مجلس * جداراه قدام له ووراء !
مضى يضع الرجلين ما يشاء عليهما * يزل عنه فى وشك حقا وحفاء !

قوله : خيلان لتشابههما ، والمجلس : السرج ، وجداراه : قريوسه وراذفته ،
والحفا مقصور : وجع الرجل ، وممدود : من مثنى الرجل حافيا بغير فعل .

وقال ابن القاسم عبد الصمد بن نائل فى القفل

مجامع يعقد عقد الكلبة * إن رامه غيرك جر نكبة
ينام كالأمرد لا كالقحبة * حتى إذا شك القمد جنبه
وعالج الجذبة بعد الجذبة * وأتحل بالحقنة لا بالشربة
ألنى جنينا تنجته العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروف المعجم المنكبة * يفيض وهو صادق المحبة
يمتد السلم وينوى حربة * وهو على ذاك طويل الصلبة

شَبَّهَ بالجامع : لدخول القَراش في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : في عُمر المفاارقة ، وإن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما فيه ، ينام كالأمرد : لأنكابه ، والقُمدُ : الذكر وهو المفتاح ، والجنين : القَراش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال في أسم سعيد

- يسم عن أول أسمه حَيّ * ثم بشان حروفه يسبي
 ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى بدا، صورة أسمها تُنبئ
 أربعة نصفها بكملتها * في العد لم تنقص ولم تُربى
 هذا وفيه أسم يوم آتفت * مفانِرُ العُجم فيه والعُرب
 فاعمل الفكر في تأمله * وأركب به كلَّ مَرَكَبٍ صعب

- ١٠ شَبَّهَ السين بالنفر، وثانيه العين وهي تسبي القلوب، والحرفان يد وهي أربعة في العدد وستة في الصورة، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللبوس .

وقال ابن أبي البَقل الكاتب في القلم

- ١٥ اصم عن المنادى لا يجيب * به تخبو وتستعمل الخطوبُ
 ضليل الجسم "أعلم" ليس تخفى * عليه غيوبُ ما تُخفى القلوبُ
 تراه راجلاً لا روح فيه * ويُحييه ويُنطقه الرُكوبُ
 بين لسانه ما كنّ سوداً * معارفه ويُخرسه المشيبُ
 يقسم في الورى يؤسى ونعى * ويحكم والقضاء له عجيبُ
 عجبت لسلطوة فيه وضعف * وكلّ أموره عجبٌ عجيبُ

- ٢٠ أراد بقوله : أعلم : مشقوق الشفة .

وقال أبو العلاء المعزى فى الملح

وبيضاء من سرّ الملاح ملكتها * فلما قضت إرّبى جوت بها صهي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل * تحثّم بعد الطعام على الشرب
قوله : سرّ أى خالصة، والملاح جمع ملح، والإرب : الحاجة .

وقال آخر فى عودى الفناء والبحور

وما شيتان إسمهما سواء * وأصلهما معا عند أنفساي
إذا حضراك بتّ قرير عين * بلا طم يلدّ ولا شراب
وما أن يوجدان النفع إلّا * بضرب أو يضرب من عذاب
معنى أسمهما سواء ظاهر، وأصلهما خشب، والضرب الأول : ضرب العود،
والثانى : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر فى الحرب

ما ذات شوكة لها جناح * يختطف الناس عن قريب
وهى عقيم ترى بنينا * من بين مُريد وبين شيب
ياكل بعض البنين بعضا * طلوع شمس الى غروب
تصحيفها الداء غير شك * قد يُحسم الداء بالطبيب
والدواء معكوسه مكان * يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبا * بالشعر والنحو والغريب

هذا لفرمعى فى الحرب، وشوكها : السلاح، وجناحاها : جانبها، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها، وأكلهم : قتلهم، وتصحيفها : الجرب، وعكسه :

وقال آخر في الندى

وما أخوان مشتهان جدًّا * كما أشنبه الفَراة والفَراة
يَضْمَهُما على مرّ اللبالي * وما أَجتمعا ولا أَقترقا إهابُ
لذلك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شرابُ
يصونهما عن الأبصار دين * ويضرب دون نيلهما حجابُ

هما : ثديا المرأة، ويضمهما إهاب : وهو الجلد .

وقال آخر في الفتح

وما بئت ككفته ودفنته * فقام الى حقّ صحيح فاوثقته

وقال آخر وهو لغز

- ١٠ حلف الحبيب على لا سميته * فكنته ولطفت خوف تقاضيه
ظني ! اذا ما زارني حلّ أسمه * قلبي وذلك من عجب عجائبه
ويكون إن رنمته وخرمته * وقلبت ما تشتهي من صاحبه
ويكون إن صحفت مبداء الذي * أصبحت نهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميّرت في التصحيف مقلوبا أشدّ معائيه
١٥ وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسبه
فاطلبه سادس سادس ثانيه ثا * نيه وثالثه كذلك لطالبيه
وتمامه من بعد مثل حروفه * في البيت صحّ أسم الحبيب لقاليه

هو لغز في فرجة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحرم : حذف الأول ؛ فإذا رخم
ونحرم وقلب بقي : حر ، وإذا قلبت الفاء قافا بقي : قرحة لمين المراقب ، وإذا صحفته
مقلوبا ، وجرمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثتان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعني البيت السادس .

وقال آخر في سلمى

سلم ماهرًا بالفريض والأدب * ما أسم فتاة قعيدة النسب

قد صرح الشعر باسمها فتى * فكُرتَ فيها ظفرتَ بالعجب

الاسم : سلمى ، وهو ظاهر في أول البيت .

وقال آخر في الكوة

ومضروبة تحيا إذا ما ضربتها = وإن تُركت من شدة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن المقلس في السراج

وداع الى نفسه في الظلام * وما سمعتُ أذنه صوته

إذا هو يتض وجه الطريقِ سي سود في وجهه يته

وقال آخر في الصدى

وساكني يسكن في القلاة * ليس من الوحش ولا النبات

ولا من الجز ولا الحيات * ولا الخيام الشعر والأبيات

ولا بذى جسم ولا حياة * كلا ! ولا يدرك بالصفات

بلى ! له صوت من الأصوات * يُسمع في الأحيان والأوقات

وقال ابن المعتز في النخلة

وقائمة أبدا لا تنام * وما قعدت قط مذ قامت
تعيش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها مات

وقال آخر

- ما يقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء، وركض في الهواء، وخيم في اليبداء،
نطق على نفسه فأفصح، وتكلم فين وأوضح، أقر وأغنى، وأما وأجبا، له شوارق
من غير غضب، ورقصات على غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسبقه الطفل
الرضيع، مختلف الألوان، يوجد في كل زمان، ما أكثر لغاته ! وأعم في البشر ذكر
صفاته ! وهو خفيف ثقل، كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غال رخيص،
قوى ضعيف، سريع بطيء، بارد حار، نافع ضار، أبيض أسود أزرق، قريب
بعيد، قديم جديد، متحرك ساكن، ظاهر باطن، يتجسم ويتكسر، ويتعوج
ويتدور، سلطانه في الشمال وبه يذل، وضعفه في الجنوب وبه يعز، نحيل يخفى
جثة الميل في طيه وعطفه، ويتخلل جفن العين الرمد برفقه ولطفه، يمشى على
الحديق فلا يؤلمها، وبطا القلوب فلا يكبلها، على أنه يقطع الطريق، ويخيف
الفريق، كم أهلك من قوم وما راق ولا سفك ! يحمل ألف قطار، ويعجز عن حمل
دينار، وهو ليل نهار، عربي عجمي، برى بحري، سهل جبلي، رومي تومي،
هندي حبشي، صيني جاهلي إسلامي، كان مع آدم في الجنة، وصحب نوحا في السفينة،
وتوسط النار مع إبراهيم، كم له مع موسى من خير ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهر، وما سار في بر ولا بحر، أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من
جسده، وفرقه على صحابته، إذا نطقت به كان بعض أحد خلفاء بني العباس السبعة

وقال آخر

ما شيء وجهه قبر، وقلبه حجر إن ملقته ضاع، وإن أدخلته السوق أبي أن يباع،
وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نصمه هالك، وربما كثر أموالك، وإن حذفت
آخره، وشئت ثانيه، أورتك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر: هو السملج
الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك : أمرأتان ألتقتا برجلين قاتلتهما : مرحبا بابنينا وزوجينا وأبني زوجينا،
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر فهما أبناهما وزوجاهما وأبنا زوجيهما .

رجلان كل واحد منهما عم الآخر وأبن أخيه، وذلك : أن كل واحد من أبيهما
تزوج بأم الآخر، فزوي كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عم الآخر وأبن أخيه .

رجلان كل واحد منهما خال الآخر وأبن أخته، وذلك : أن كل واحد من
أبيهما تزوج بابنة الآخر، فوزي كل واحد منهما ولدا فكل من ولديهما خال الآخر
وأبن أخته .

رجل وأمرأتان هو خال أحدهما، وهي خالته وعم الأخرى، وهي عمته،
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه وأخته لأبيه تزوجت باب أمه،
فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل
الآبيات المنظومة في ذلك

ولي خالة وأنا خالها * ولي عمّة وأنا عمها

رجلان كلّ واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بأخت الآخر، فزوّج كلّ منهما ولدا، فكل من وليهما ابن خال الآخر وابن عمته .

رجلان كلّ واحد منهما عم والد الآخر، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بأم أب الآخر، فكلّ من أولادهما عم أب الآخر .

رجلان كلّ واحد منهما عم أم الآخر، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما بابنة ابن الآخر، فكلّ من أولادهما عم أم الآخر .

رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بابنة بنت الآخر، فكلّ من أولادهما خال أم الآخر .

١٠. رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله، وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر ابنة أبيها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة الأب، هو أخوها وخال أبيها .

رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته، وذلك : أن رجلاً له أخ لأب وأخت لأُم فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأُمته فأولدها ولدا فهما كذلك .

وفيه خمسة أبواب

من هذا القسم

في الاعتذار والاستعطاف .

عز وجل : (الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالْأَنَافُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أصحابي كالنجم بأيهم أقدمت أهدتكم "
وقد أؤلوا الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا رأيتم المذبحين
فاحشوا في وجوههم التراب " قال العتيبي هو المدح الباطل والكذب .

- وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعضد هذا أن العباس بن عبد المطلب
وكعب بن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ، مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابا .

وقيل في حث التراب معنيين : أحدهما التخليط في الرد عليه ، والثاني يقال له :
بفك التراب .

- وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقه حتى إن ذلك أفضى بكثير
منهم إلى الكفر والخروج عن الحد أعذنا الله من ذلك ؛ وقال أبو شروان : من أنثى
عليك بما لم توله فغير بعيد أن يذمك بما لم تحبه . وقال وهب بن منبه : من مدحك
بما ليس فيك ، فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

وأشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هيرم بن سنان

- دع ذا ! وعدَّ القول في هيرم * خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المنثور ليلة القدر
ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والعصير
ولنعم حشو الذرع أنت إذا . دُعيت تزال ولج في الدغير
فقال عمر رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة ؛ قالت عائشة رضى الله عنها
وهو يغمض

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه * ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
فنظر اليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر

ولو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلة * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة * ولو كنت يوماً كنت تربية الفجر
وقال محمد بن هاني

أغير الذي قد خط في اللوح أبنتى : مديحا له إني إذا لنود
وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية في الغابرين شروء

١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمتمم بن نورة صف لي أخاك فإني أراك
تمدحه ، فقال : كان أنى يحبس المزاد بين الصّوحين في الليلة القرة معتقلا للريح
الخطيل ، عليه الشملة القلوب ، يقود الفرس الحرون فيصبح ضاحكا مستبشرا :
الخطيل : الطويل المضطرب ، والقلوب : التي لا تنضم على الرجل لقصرها .

وسأل عبد الله بن عباس صمعة بن صوحان العبدي عن إخوته فقال : أما زيد
فكما قال أخو عباس

١٥

قتي لا يبال أن يكون بوجهه * إذا نال خلان الكرام شحوب

ثم قال : كان والله يا ابن عباس ، عظيم المروعة ، شريف الأبهة ، جليل القدر ، بعيد
الشر ، كهش العروة ، زين الندوة ، سليم جوائح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

ذاكراً لله تعالى في طرقي النهار وزلفاً من الليل، الجوع والشَّبع عنده سيَّان، لا منافس في الدنيا، ولا غافل عن الآخرة، يطيل السكوت، ويديم الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق، ليس في قلبه غير ربه، ولا يهجمه غير نفسه، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل سبقه عضو منه إلى الجنة؟ رحم الله زيدا! فابن كان عبد الله منه؟ فقال: كان عبد الله سيداً شجاعاً، شيخاً مُطاعاً، خيره وسَّاع، وشرو دِفَّاع. لئن التحيرة، أحوذى الغريزة، لأَيُّهِنَّهُ مُنْهَنهُ عَمَّا أَرَادَ، ولا يركب إلا ما اعتاد، يَمَامُ العدى، فَيَاضُ النَّدَى، صمب المَقَادَةُ، جزل الرِّقَادَةُ. أخو إخوان، وفقى قتيان، ثم أنشد شعر حسان بن ثابت

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل * بمُلْتَقَطَاتٍ لا يرى بينها فصلاً

١٠. قضى فشنى ما في النفوس فلم يدع * لذي إربة في القوم جدّاً ولا هزلاً

ودخل ضَرَارُ بن صَمْرَةَ الْكِنَانِي عَلَى معاوية بن أبي سفيان فقال له: صِفْ لِي عَلِيّاً فقال له: أو تصفني؟ فقال: لا أعفيك؟ قال: أما إذ لا بدّ، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتطلق الحكمة نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويخاطب نفسه، يحسبه من اللباس ما قَصُرَ، ومن الطعام ما خَشُنَ، كان والله كأحدنا يديننا إذا أتينا، ويميّتنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبةً له، فإن تبسم فمن مثل ثورٍ منظوم، يُعْظَمُ أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطعم القوىُّ في باطله، ولا يياس الضعيف من ضلله.

وذكر عمرو بن مديكرب بن سليم قال : بارك الله على حى بنى سليم ما أصدق
في الهيجاء لقاعاً ! وأثبت في النوازل بلاعاً ! وأجزل في الثابتات عطاعاً ! والله لقد
قابلتهم فما أجبتهم ، وما جيتهم فما ألغمتهم ، وسالتهم فما أبجلتهم .

وقال بعض العرب : فلان حثف الأقران غداة التزال ، وربيع الضيفان عشيّة
التزل .

وقال آخر : فلان ليت إذا غدا ، وبدا إذا بدا ، ونجم إذا هدى . وسَمَ إذا أردى .
ودخل على النعمان بن المنذر بن أمريئ القيس ابن عمرو بن عدى القحطى لحياه
بحبة الملوكة ثم قال : أيفانرك ذوقائش وأنت سانس العرب ، وعروة الحسب
والأدب ، لأمسك أين من يومه ! ولعبذك أكرم من قومه ، ولقفاك أحسن من
وجهه ، وليسارك أجود من يمينه ، ولظنك أصدق من يقينه ولوعذك أثلج من
رفده ، ونخالك أشرف من جدّه ، ولنفسك أمنع من جُنده ، وليومك أزهر من
دهره ، ولفترك أبسط من شعبه ، ثم قال

أخلاقُ مجدك جَلَّتْ ما لها خطر ۖ في البأس والجود بين الحِلْمِ والخَفَرِ

مُتَوَجِّعٌ بالمعالي فوق مَسْرِقِهِ ۖ وفي الوغى ضيغم في صورة القمرِ

إذا دجا الخطب جلاه بصارمه ۖ كما يُحِلُّ زمانُ المحل بالمطرِ

فتهل وجه النعمان سروراً ، ثم أمر أن يُحشى فوه دزاً وكُسي أبواب الرضى وكانت
حجاب أطواقها الذهب بقصب الزمرد . ثم قال النعمان : هكذا فليمدح الملوكة .
وذوقائش : هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يَحْصَب بن مالك وكان النافذة

- متصلاً به قبل اتصاله بالنعان ، وله فيه مدائح كثيرة فاقص الله تعالى من النعان
 ابن المنذر بعد ذلك لما حكي أنه دخل حسان بن ثابت على الجفني فقال : أنعم
 صباحاً أيها الملك ! السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي ووالدتي فداؤك ،
 أني ينافسك ابن المنذر؟ فوافقه لفضلك أحسن من وجهه ، ولأتمك خير من أبيه ،
 ولظلك خير من شخصه ، ولصمتك أبلغ من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه ، ثم قال
 • قذالك أحسن من وجهه * وأتمك خير من المنذر
 ويُسرَى يدك إذا أسرَتْ * كيُنَى يديه فلا تمسرى
 أخذ المعنى الحسن بن هاني فقال

بأبي أنت من غزالٍ غرير * بذَّ حسنَ الوجوه حسنٌ قفاكا

- ونظر بعض الشعراء الى هذا المعنى فقال يمدح زُبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر
 ١٠ المنصور أم الأمين

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لرائك المُناب

تعطين من رجلك ما * تعطى الأكف من الرّغاب

- فلما أنشد ذلك تبادر العبيد ليقوموا به فقالت زبيدة : كفوا عنه فلم يرد إلا خيراً ،
 ١٥ ومن أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب ، إنه سمع الناس يقولون : ففاك
 أحسن من وجه غيرك ، وشمالك أئدى من يمين سواك ، فقدر أن هذا مثل ذاك ،
 أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل ؛ ومثله : مدح شاعر أميراً فقال
 أنت الهام ابن الهما * م الواسع ابن الواسعة

فقال له : من أين عرفتها؟ قال : قد جربتُها فقال : أسوأ من شعرك ، ما أتيت

به من عنرك !

قال دخل خالد بن عبد الله العنبري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فانت قد زيتها ، ومن يكن شرقة فقد شرقتها ، وأنت كما قال الشاعر

وإذا الدر زان حسنَ وجوه * كان للدر حسنُ وجهك زينا

• فقال عمر بن عبد العزيز : أُعطيَ صاحبكم مقولا ، ولم يُعطَ معقولا . ولما دخل عبد الله المأمون ببنداد طقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ! بارك الله لنا في مقدمك ، وزادك في نعمتك ، وشركك على رعيته ، تقيمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك ، وإياست أن تُماين مثلك ، أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعا ندعوك ، ونُثني عليك . خُصِبَ لنا جنابك ، وعُذِبَ شرايك ، وحُصِفَ نُصرتك ، وكُرِّمَ مقدرتك . جبرتَ الفقيرَ ، وفككتَ الأسيرَ ، فانت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

عنيني

مازلت في البذل للنوال وإطلاق لعان يجرمه علي

حتى تمنى البراء أنهم * عندك أمساوا في القُد والحَلقي

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أستكثر كثيرك ، وإن قليك أكثر من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! المديح كله دون قدرك ، والشعر فيك فوق قدرى . ولكنني أستحسن قول العتابي

ماذا عسى مادم يُثني عليك وقد * ناداك في الوحي تهديس وتطهير

فَ المادح إلا أن ألسنا * مستنطقات بما تخفى الضمائر !

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريح المنطق ، جزل الألفاظ ، عريُّ اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشائل ، كثير الطلاوة ، صموتا قولا ، يَهْأ الجرب ، ويداوى الدر ، ويفك المحز ، ويطبق المِفْصَل ، لم يكن بالزمر في مروءته ، ولا بالمهذر في منطقته ، متبوعا غير تابع ، كأنه عَلم في رأسه نار .

- وقيل لبعض الخلفاء : إن شَيْب بن شَيْبَة يستعمل الكلام ليستعده به ؛ فلو أمرت به أن يصعد المنبر فجأته لاقتضج ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأمر المؤمنين أشباها أربعة ؛ فمنها : الأسد الخادر ، والبحر الزائر ، والقمر الباهر ، والريبع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر ، فأشبه منه صولته ومضاؤه . وأما البحر الزائر ، فأشبه منه جوده وعطاؤه . وأما القمر الباهر ، فأشبه منه نوره وضياؤه . وأما الريع الناضر ، فأشبه منه حسنه وبهاؤه ، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بمجانتك ؛ فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ! قال : تكلم بمجانتك ؛ فأنت لا تهدر على مثل هذا المقام في كل حين . قال : والله يا أمير المؤمنين ! ما أستصبر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتم مالك ، وإن عطائك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئ يذلّ اليك وجهه نقص ولا شين ، فأحسن جائزته وأكرمه .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة : ما رأيت وجها أسمع ، ولا حلما أرجح ، ولا بجمية أسمع ، ولا بشرا أبدي ، ولا كفا أندى ، ولا غرة أجمل ، ولا فضيلة أكل ،

ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدًا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا سِتْمًا أوفر، ولا أصلًا أطيب،
ولا رأيا أصوب، ولا لفظًا أعذب، ولا عِرْضًا أُنْقَى، ولا بناءً أُنْقَى، تما خصَّ الله به
ثالث القمرين، وسراج الخالقين، وعماد الثقلين الْمُتَّعِم بالله .

وقال بعض الكتَّاب : إن من النعمة على المُتْنِي عليك أن لا يخفاف الإفراط ،
ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن يلحقه قبيصة الكذب ، ولا يتبى به المدحُ الى
غاية ، إلا وجد في فضلك عَوْنًا على تجاوزها . ومن سعادة جَدُّكَ أنَّ الداعي لك
لا يعدم كثرة المشايين له ، والمؤمنين معه .

وقال آخر : إني فيما أتعاطى من مدحك كالنخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر
الزاهر الذى لا يخفى على كل ناظر ، وأيقنت أنى حيث أتتهى بى القول الى العجز
مقصرٌ عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك الى
علم الناس بك .

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفر فى أولها : حجب الله
عن الحاجب المظفر أعين الثائبات ، وقبض دونه أيدي الحادثات ؛ فإنه مذ كان
أنور من الشمس ضياءً، وأكل من البدر بهاءً، وأندى من الغيث كفاً، وأسمى من
الليث أنفاً، وأسمى من البحر بناً، وأمضى من النصل لساناً، وأنجبه المنصور بغرى
على سنِّه، وأذب فأخذ بسنِّه، وكانت الرياسة عليه موقوفة، والسياسة اليه مصروفة،
قصرت الأوهام عن كنه فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله، غير أن الفضائل
لا بد من نشرها، والمكارم لا عذر فى ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية مما ورد فى المشور فلنذكر ما ورد من المنظوم فى ذلك .

قال أبو هلال العسكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
 امدح بيت قائله العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر
 ألم تر أن الله أعطاك سورة ؟ * ترى كل ملك دونها يتذبذب
 بأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ

• وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة مدح عمرو بن هند
 تكاد تميز الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتبُ
 هو الشمس وافت يوم سعيد فافضلت * على كل ضوء والملوك كواكبُ
 وقال نصيب

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدر المضى كواكبُ

١٠ وقالوا : أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة
 فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المتأى عنك واسعُ
 وقوله : " أخلاقُ مجدك " - الآيات وقد تقدمت - وقد تناول الناس قول النابغة
 * فإنك كالليل الذي هو مدركي *

فقال الفرزدق

١٥ فلو حملتني الريحُ ثم طلبتني * لكنتُ كشيءٍ أدرته مقدرةُ
 وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل
 لا يُمتنع منه بشيء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال
 فانت كالدهر مبثوثا حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
 ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أصرفه * في كل ناحية ما فأنك الطلبُ

وقالوا : أجدوا شئ قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين

قول أبي الصنابة يمدح الرشيد بن المهدي وولده

بنو المصطفى ! هارون حول سريره * تخير قيام حوله وقعود

تُقلَّب الحَاظَّ المهابة بينهم * عيونُ ظباء في قلوب أسود

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطَّمَحَان القِنِي

أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نَفَّامُ الجَزَعِ نَاقِبُهُ

نجوم سماء كَلَبَا أَقْفَضَ كوكبٌ * بدا كوكب يَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

وما زال منهم حيث كان مسودٌ * تسير المنايا حيث سارت كَنَائِبُهُ

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بَجِيرُ بْنُ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ ، أبنَ لَأَمِ الطَّائِي ،

وكان أسيرا في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جرَّ ناصيته ؛ وأول القصيدة

إذا قيل : أى الناس خيرُ قبيلة ؟ * وأصبر يوما لا تَوَارَى كَوَاكِبُهُ ؛

فإن بنى لَأَمِ بن عمرو أرومة ، * علَّت فوق صعبٍ لَأَتَالُ مَرَاتِبُهُ !

أضاعت لهم أحسابهم الأبيات .

ومثله قول أبن أبي السَّمَط

قتى لا يسأل المذلجون بنسوره * الى بابهِ أن لا تضيء الكواكبُ

له حاجبٌ من كلِّ أمرٍ يَسِينُهُ * وليس له عن طالب العُرف حاجبٌ

ومثله قول الحُطَيْيَةِ

نمشى على ضوء أحساب أضأن لنا . * كما أضاعت نجومُ الليل للسارى

ومثله قول الآخر

وجوهٌ ، لو أنَّ المذلجين آغثنوا بها * صدعن الدجى حتى يرى الليلُ يغلي

وقال عيسى بن أوس يمدح الجنيّد بن عبد الرحمن

إلى مستنير الوجه طال بسؤدد * تقاصر عنه الشاهق المتطاوّل
مدحتك بالحق الذي أنت أهله * ومن يمدح الأوهام حقّ وباطل
يعيش الندى مادمت حياً فإن تمت * فليس لحي بعد موتك طائل
وما لأمرئى عندي بحيلة نعمة * سواك وقد جادت على تحائل

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى

فتى، لو ينادى الشمس ألفت قناعها * أو القمر السارى لألقى المقالدا
وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله في الغلو قول طرّنج بن إسماعيل

لو قلت للسيل : دع طريقك والشمج طيه كالهضب يتلج
لأرتد أو ساخ أو لكان له * في جانب الأرض عنك منرج

ومن الغلو قول أبي تمام في المعتصم باقه

يُبْنِ أبى إسحاق طالت يدُ العلى * وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أى النواحي أتته * فلجّته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه * أراد آتقباضا لم تُطعه أنامله
ولو لم يكن في نفسه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وقال العسكري

وكيف بيت الجار منك على صدّى ؟ * وكفك بحر لجنة الجود ساحله

وقال أبو هلال العسكري يرضه الى الأصمى قال : سمعت أعرابياً يقول : إنكم معاشراهل الحضر، لتخطئون المعنى، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس، ولم لا يجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟ ثم قال : والله لأنشدك شعرا يكون لك إماما . ثم أنشدني

• ادا سألت الورى عن كلِّ مكرمة * لم تُلفِ نسبها إلا الى المَوَلِ
قتى جوادا أعار النَّيْلَ نائله * فالتَّيْلُ يشكر منه كثرة النَّيْلِ
والموت يَرْهَبُ أن يُلْقَى مِنِّيهِ * فى شتة عند لَفِّ الخيل بالخيل
لو عارض الشمس ألغى الشمس مظلمة * أو زاحم الصَّمَّ ألباها الى المَيْلِ
أو بارز الليل غطته قوادمه * دون الخوافى كتل الليل فى الليل
أمضى من النجم إن نابته نائبة * وعند أعدائه أبرى من السيل
ومثله قول الآخر

علمَ النيتِ الندى حتى اذا • ما حكاه علمَ الباسِ الأسدُ
فله النيتُ مقرَّباً لندى • وله الليثُ مقرَّباً بالجلدُ

وقال أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدعان

أأذكر حاجتى أم قد كفانى • حياؤك؟ إن شيمتك الحياءُ
كريم لا يغيره صباح • عن الخلق الكريم ولا مساء
فارضك أرض مكرمة بقتها • بنو تيم وأنت لها سماء

ونحوه قوله

لكل قبيلة شرفٌ وعِزٌّ • وأنت الرأسُ تقدمُ كلَّ هادٍ

وقال ابن الرومي

قوم يحلون من مجد ومن شرف * ومن غناء محلّ البيض واليَلَب
حلّوا علّهما من كلّ جُمجمة * ففما ودفعا وإطلا لا على الرتب
قوم هم الرأس إذ حسّاهم ذنب * ومن يمتلئ بين الرأس والذنب

وقال أبو هلال العسكري

فابشر فإنك رأس والعلى جسد * والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم تك للأيام متقبّة * تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وقال علي بن جبلة

لولا أبو ذؤلف لم تحي عارفة * ولم ينؤ نوء مأمول بآمال
يابن الأكارم من عدنان، قد علموا * وتالد المجد بين العم والخال
وناقل الناس من عديم إلى جدية * وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تُقرّل الأيام مترلما * وتُمسك الأرض عن خيف وززال
وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بآمال وأجال
تزوّر سخطا تسمى البيض راضية * وتستهل قبكي أوجه المال

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير

تراه إذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائلة

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل الممدوح يفرح بفرض يناله ، وليس هذا

صفة كبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي

ولئن فرحت بما يُنبئك إنه * بما ينبئك من نداء أفرح

ما زال يعطي ناطقا أو ساكنا * حتى ظننت أبا عَيقِلَ يمزج

ومثله قول أبي تمام

أَسْأَلُ نَصِيرَ لَا تَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ * أَحَقُّ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول الحطيفة

مَنْ تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

وقال القاسم بن حنبل

مَنْ الْبَيْضُ الْوَجْهَ بَنَى سِتَانِ * لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ * وَنُورٌ لَا يَفْنِيهِ الْعَمَاءُ
هُمْ حُلُوفُ مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى * وَمِنْ حَسْبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاعُوا
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجِيدِ * وَمَكْرِمَةٍ دَنَتْ لَهَا السَّمَاءُ

وقالوا أيضا : أمدح بيت قبل قول الأثرى أيضا

قَوْمٌ، سِتَانُ آبَائِهِمْ حِينَ تَنْسِبُهُمْ * طَابُوا وَطَلَبُ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرِيمِ * قَوْمٌ بَعَزَهُمْ أَوْ مَجْلَعَهُمْ قَعْلُوا
مُحْسِنُونَ عَلَى مَا كَانُوا مِنْ نَعِيمِ * لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُمْ حُسْنُوا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في ممن

أبن زائدة

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَانَتْهُمْ * أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانِ أَشْبَلُ
هُمْ الْمَانُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا * لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائَيْنِ مَتَرُ
بِهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ * كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ، إِنْ قَالُوا أَصَابُوا، وَإِنْ دُعُوا * أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزُوا

وقال السكري: وأئند بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال: لو أستعمل
الإصناف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر وهو

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُحمّد الأجودان: البحرُ والمطرُ
وإن أضأت لنا أنوارَ غُرَّتِه * تضاعل النيران: الشمسُ والقمرُ
وإن مضى رأيه أو جدّ عزْمَتِه * تأخّر الماضيان: السيفُ والقدرُ
من لم يكن حَذِرًا من حدِّ صولته * لم يدرك ما المرعجان: الخوفُ والحذرُ
حلّو، إذا أنت لم تَبْعْ مرارته * فإن أمرًا خفّوْا عنده الصبرُ
سهل الخلاق إلا أنه خَشِنٌ * لَيْنُ المهزّة إلا أنه حجر
لا حيةٌ ذكّر في مثل صولته * إنصال يوما ولا الصمصامة الذكّر
إذا الرجال طفّت آراؤهم وعمّوا * بالأمر ردّ إليه الرأي والنظر
الجود منه عيانٌ لا آرتياب به * إذ جود كلّ جوادٍ عنده خبر

وقال: ومن المديح القليل النظير، قول علي بن محمد الأفوه

أوفوا من المحيد والعلياء في قُلَيْلٍ * شُمّ قواعدهنّ البأس والجودُ
سُبُط اللقاء إذا شيمت محائلهم * بُسِل اللقاء إذا صيد الصناديدُ
مُحْسَدون، ومن يلقى بجبلهم * من البرية يصبح وهو محسودُ

وقالوا: أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة في أبي دُلف

إنما الدنيا أبو دُلف * بين بادية ومحتضرة
فاذا ولّى أبو دُلف * ولّت الدنيا على أثره

وهي من القصائد المشهورة، وأولها

فادِرد النّبي عن صدره * وأرعوى، واللّهُ من وطّره

٥

١٠

١٥

٢٠

جاء منها في مدحه

يادواء الأرض إن فسدت * ومجير اليسر من عُسْرِهِ
كل من في الأرض من عَرَبٍ : بين بادية الى حَضْرَةٍ
مستعيرٌ منه مكرمة * يكتسبها يومَ مفتخرِهِ
إنما الدنيا أبو دلف *

قال العسكرى : ومن المديح البارخ قول بشار

ألا أيها الطالبُ المبتغى ، نجومَ السماءِ بسمى أمِّهم
سمعتَ بمكرمةِ ابنِ العلاءِ * فأنشأتَ تطلبها لستَ ثمَّ
إذا عَرَضَ الممُّ في صدره * لها بالعطاء، وضربَ البهمَّ
فقل للخليفة إن جثته * نصيبها ولا حيرَ في المتهمَّ
إذا أيقظتك جسامُ الأمورِ * فنبّه لها عُمرًا ثمَّ تمَّ
فقي، لا يبيت على دِمنة ، * ولا يشرب الماء إلا بدمَّ
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ * فيغدو على نعيمٍ أو نقمَّ

قال ومن المديح القليل النظير : قول أمانة بنت الجلاح الكلبية

إذا شئت أن تلقى قى لو وزنته * بكلّ معدى وكلّ يمانى
وقَ بهمَّ جودا وحلما وسؤددا * وبأساء، فهذا الأسود بن قنان
فقى، كالقناة البكر، يُسفرُ وجهُهُ * كأن تلالى وجهه القمران
أغرَّ أبرأ بنى زار ويعربُ ، * وأوثقهم عقلا بقول لسان
وأوفاهم عهدًا وأطولهم يدا * وأعلامهم فعلا بكلّ مكان .

وأضرِبهم بالسيف من دون جاريه * وأطعْنهم من دونه بِسائِب

كَأَنَّ العَطَايَا والنَّايَا بِكفه * سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مَوْطَفَانِ

ومن المدح البارِع قول أبي تمام

رَأَيْتَ لِمَا يَشْخُلُ خَلَاقَ لَمْ تَكُنْ * لَتَكُنْ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمَهْدَبِ

لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَنْفُضْ * وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ أَمْرُهُ بَرْقَ خُلَيْبِ

أَخْرَجَ عِزَمَاتٍ بِذَلِكَ بِذُلِّ عَمْسِي * الْبِنَا وَلَكِنْ عَذْرُ مَذْنِبِ

يَهْوُكَ أَنْ تَلْقَاهُ فِي صَدْرِ حَفِيلِ * وَفِي نَحْرِ أَعْدَاءٍ وَفِي قَلْبِ مَوْكِبِ

وَمَا ضَيْقُ أَقْطَارِ الْبِلَادِ أَضَافَتِي * إِلَيْكَ وَلَكِنْ مَذْهَبِي فِيكَ مَذْهَبِي

وَهَذِي بَنَاتُ الْمَدْحِ فَأَجْرُ ذِيُولَهَا * عَلَيْكَ وَهَذَا مَرْكَبُ الْحَمْدِ فَأَرْكَبِ

وقد أحسن التَّنْوِخَ فِي قَوْلِهِ

وَنَبِيَّةٌ مِنْ حَيْدَرٍ حُمِرِ النَّظْمِي * بَيَضَ الْعَطَايَا حِينَ يَسْوَدُ الْأَمَلُ

شُمُوسٌ مَجِيدٌ فِي سَمَوَاتِ عُلَى * وَأَسَدٌ مَوْتٌ بَيْنَ غَابَاتِ أَسَلِ

وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أَخِيهَا صَخْرٍ

❦

طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعَ الْعَا * دَسَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا

إِنَّا الْقَوْمُ مَدَّوْا بِأَيْدِيهِمْ * إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا

فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ * مِنَ الْمَجْدِ مَضَى مُضْعِدَا

فَكَفَّهَ الْقَوْمُ مَا عَالِمٌ * وَإِنْ كَانَ أَصْغَرُهُمْ مَوْلَدَا

تَرَى الْحَمْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ * يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

وقال آنر

وَمُضْعِدِهِضِيَّاتِ الْمَجْدِ يَطْلُمُهَا * كَأَنَّهُ لَسُكُونِ الْجَاشِ مُنْعَدِرُ
مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ * لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ مُحْتَصِرُ

وقال إبراهيم بن القباس

تَلَجَّ السُّنُونُ بِيُوتَهُمْ وَتَرَى لَهَا * عَنْ يَتِ جَارِهِمْ أَزُورًا مَنَاقِبَ
وَتَرَاهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَشَفَارِهِمْ * مُسْتَشْرِفِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبٍ
حَامِينَ أَوْ قَارِينَ حَيْثُ لَقِيَتِهِمْ * نَهَبَ الْعَفَاةَ وَنَزَعَهُ لِلرَّاهِبِ

وقال أيضا

إِذَا السَّنَةُ الشَّيْءَ مَدَّتْ سَمَاءَهَا * مَدَدَتْ سَمَاءَ دُونِهَا فَتَحَلَّتْ
وَعَادَتْ بِكَ الرِّيحُ الْعَقِيمُ لَدَى الْقَرَى * لِقَاحًا فَدَنَزَتْ عَنْ نَدَاكَ وَطَلَّتْ

وقال ابن الرومي

كَأَنَّ مَوَاهِبَهُ فِي الْمَحْوِ * لَآرَأَوْهُ عِنْدَ ضَيْقِ الْحَيْلِ
فَلَوْ كَانَ غَيْثًا لَمَّ الْبِلَادُ * وَلَوْ كَانَ سَيْفًا لَكَانَ الْأَجَلُ
وَلَوْ كَانَ يُعْطَى عَلَى قَدَرِهِ * لِأَغْنَى النُّفُوسَ وَأَفْنَى الْأَمَلِ

وقال أبو الحسن بن أبي البغسل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم

ذكر بعضها لأبن أبي طاهر

إِذَا أَبُو قَاسِمٍ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ * لَمْ يُجِدْ الْأَجُودَانُ : الْبَحْرَ وَالْمَطَرُ
وَأِنْ أَضَامَتْ لَنَا أَنْوَارُ غَرَمِهِ * تَضَاعَلِ النَّيِّرَانُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَأِنْ بَدَأَ رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ * تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ : السِّيفُ وَالْقَدَرُ

ينال بالظن ما كان اليقين به * والشاهدات عليه العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده * يدرى عواقب ما يأتى وما يذر

وقال ذو الرمة

يطيب تراب الأرض إن نزلوا بها * ويغثال أن تعملو عليها المنابر
وما زلت تسمو للعالي وتجننى * جنى المجد مذ شئت طلك المآزر
الى أن بلغت الأربعين فألقيت * اليك جماهير الأمور الأكابر
فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هدى الحق جائر

وقال الشريف الرضى

يا غمرس الدهر عن مقالته * كل زمان عليك متهم
شخصك في وجه كل داجية * ضحى وفي كل مجهل لم

وقال أبو الحسن السلمي

إذا زرتّه لم تلق من دون بابيه * حجاباً ولم تدخل عليه بشافعي
كجاء الفرات الجلم أعرض وردّه * لكل أناس فهو سهل الشرائع
تراه إذا ما جتته متهللاً * تهلل أبكار الفيوث الموامع

وقال محمد بن الحسين الأمدى

من القوم لما أستغرب المحمّد غيرهم * من الناس أمسوا منه فوق الغرائب
إذا سالموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جسود متى ما رامت الریح شأوه * كبت دون مرمى خطوه المتقارب
وبحر ندى لو زاره البحر حدثت * عجائبه عن فصله بالعجائب

وقال الأصمى : كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأةً على قبر تبتكي و تقول

فمن للسؤال ومن للتوال * ومن للقـال ومن للخطب ؟

ومن للحُماة ومن للكُماة * اذا ما الكُماة جثوا للرُكب ؟

اذا قيل : مات أبو مالك * قـتى المكـرمات قـريـح العـرب

[فقد مات عز بنى آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب^(١)]

قال : فملتُ إليها، وسألْتُها عنه، فقالت : فديتُكِ ! هذا أبو مالك الجمّام، حتّى
أبى منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال العباد الأصمهانى

حيون يخفون إحسانهم * ويمتذرون كان قد اساموا

اذا أظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطبُ يوماً أضاعوا

بمثلكمُ قد أقرّ الرجال * فمثلكمُ لم تله النساءُ

وللناس من حسن أيامكم * بدولتكم كل يوم هناءُ

وقال ايضا

فَلَا تُطَوِّنْ عَلَى أَغْرِ مُحَجَّل * عَرَضَ الْفَلَاةِ إِلَى أَغْرِ مُحَجَّبٍ

لَيْتَ الْوَعَى غَوَتْ الْوَرَى غَيْثَ النَّدى * بَدَرَ النَّدى، نَهْم ! وَصَدَرَ الْمَوَكِبِ

وَإِذَا أَسْتَوَى فِي دَسْتِهِ مَالَتْ لَهُ * أَعْنَاقُ كُلِّ مَسْجُوعٍ وَمُعْصَبٍ

وَتُيْتِ رَأْفَتُهُ حُقُودَ عِدَاتِهِ * وَتَجَلَّ هَيْبَتُهُ عَقُودَ الْمُتَعَبِ

إِنَّ الْمَمَالِكَ مَا تَرَالُ بِرَأْيِهِ * فِي صَائِبٍ وَيَمُودُهُ فِي صَيْبٍ

(١) الزيادة من أمالى القائل ج ١ ص ٦٣

يحبوك معتذرا اليك فيآله * من محسن تمرره نجمة مذنب

يزهى بأصلي في اللآء محييم * شرقا وفرج بالكلام مطنب

وقال أحمد بن محمد النامي

له سورة في البشر تُقرأ في العلا * وثبتت في مُحفِ العطاء وتكتب

• إذا ما على أمطرلك سماءه * رأيت العلا أنوازها تعلق

وأزهر يبيض الندى منه في الرضا * وتمر أطراف القنا حين يغضب

أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوما للرجال مَرغب

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

سيد شادت علاه له * في العلا آباؤه النجب

• وله بيت يُمد له * فوق مجرى الأنجم الطنب

حسبه بالمصطفى شرقا * وعلى حين يتنسب

رتبة في العز شاعة * قصرت عن مثلها الرتب

(٥٧)

وقال ابن نباتة السعدي

يرى الشمس أما والكواكب إخوة * وينظر من بدر السماء الى رتب

• غنت عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الورى كلهم حسي

فلم اطلب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب؟

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي

لو نيل بالمجد في العلاء منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات

يرى الخطوب برأي يُستضاء به * إذا دجا الرأي من أهل البصيريات

• فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأموني

قد وجدنا خطأ الكلام فإساحا * بلغنا النسيب فيك أمتداحا
وأفضنا ما في الصدور قفاض * الممدوح قبل النسيب فيك آفاساحا
وعمدنا إلى علاك فصفتنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من بيض مساميك بالندى أوضاحا
كم كسير جبرته وفقير * مستمع رددته مُستباحا
وأمان تُرّيس بسطت لها في القول حتى أعلتهنّ فصاحا
وبلاد جوامع رُضتْها بالمزم حتى أنسيتهنّ الجماحا
شهرت منك آل سامان عضا * يُججح السعى غربه إنجماحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستمع رواحا

وقال أحمد بن محمد النامي

أمير العلا إن العوالي كواسب * علامك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول، سيفك في الطل، * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر، فملك للعلا * وقولك للتقوى، وكفك للرفد

وقال أيضا

فتى، قسم الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتلبد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * وبيض يوما بالفضائل والحمد

وقال صاحب بن عباد

أيها الآملون حطوا سرما * برفيع الهاد وارى الزناد

فهو إن جاد نَمَ حاتم طيء * وهو إن قال فل قس إياي
وإذا ما ربا فأين زياد * من علاه وأين آل زياد

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة

فنى مُلكتُ برداه عُلّا * ونُبلا وفضلاً ومجداً وخيراً
إذا ضمته الدُسْتُ ألبتته * صحاباً مطيراً وبدراً مُنيراً
وإن أبرزته وعى خلتته * حُساماً بتوراً ولينا هَصوراً
وطوراً مُعيداً وطوراً مُبيداً * وطوراً مجيراً وطوراً أميراً
ترى في ذراه لسانَ المنى * طويلاً وباعَ الليالي قصيراً
تضمُّ الأسرة منه دُكَاءً * وتحمل منه المذاكي ثبيراً

وقال أبو الطيب المتنبي

يمشى الكرام على آثارِ غيرهم * وأنت تَخْلُقُ ما تاتى وتبتدعُ
من كان فوق محلَّ الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريجة

قد حلَّ في مدرجِ العلياء مرتبةً * مطامحُ الشهبِ عن غاياتها تحفُ
أغرى بوصفِ معاليه الورى شغفاً * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
إن ناصبته العدا فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالجحد معترف

وقال السلاحي شاعر اليتيمة

يزور نائلُك العاني وصارمك السعاصي فتحويهما أيدٍ وأعناقُ
في كلِّ يومٍ لبيت المجد منك غنى * وثروةٌ وليت المال إملاقُ
كم خضتَ من لجةٍ للضع زاحرة، * ماءُ المنون بها - حاشاك - دقاقُ

وقال المتنبي

أنت الجوادُ بلا منٍّ ولا كديرٍ * ولا مطالٍ ولا وعيدٍ ولا مألٍ

وقال أبو الفرج البغواء

لا غيثٌ نعامٍ في الوري خَلَبَ الشُّبْرُق ولا وِرْدُ جوده وشُلُّ

جاد الى أن لم يُبقِ نائلُهُ * ما لآ ولم يبقِ للورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر البيتمة

ومَن عودته المكرملتُ شمائلًا * فليس له عنها - ولو شاء - ناقلُ

وإن راسل الأعداء فالجود رُسلُهُ * اليهم وأطراف العوالي الرسائلُ

عظمتُ، فهذا الدهرُ دونك همةٌ، * وجُدتَ فهذا القطرُ عندك باخلُ

وقال مؤيد الدين الطغراني

لودبُّ رأيك في كهوبٍ فتًا * ما مسها طَنَبٌ ولا خلُّ

أو كان ضوءُك للفسالة لم * يحجبُ ضياءَ جبينها الطُّفْلُ

أو كان لطفُك في الحياة لما * طافت بها الأسقام والعللُ

أنت الذي لولا علاه عَفَّتْ * طُرُقُ الهدى وأستهم السُّبُلُ

في كلِّ شُعْبٍ من رويته * شُعْبٌ ومن آرائه شُعْلُ

يرتد عنه جفنٌ حاسده * فكأنه بالنار يكتحلُ

وجهٌ كيوم المصحو مبتسمٌ * ويدٌ كليل الدَّجَنِ تَهْمَلُ

مَسَحَتْ على الأنواء راحته * فانساق منها العارضُ المَطْلُ

إن ضنَّ غيثٌ أو خبا قمرٌ * بغينيه ويمينه البدلُ

وقال ابن الرومي

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات - اذا دجون - نجوم
فيها معالم للهدى ومصايح * تجلّو الدجى والانحرأت رجوم

وقال أبو الطيب المتنبي

- قوم بلوغ الفلام عندهم * طعن نخبور الكاة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم * لا صفر عاذر ولا هرم
اذا تولّوا عداوة كشفوا * وإن تولّوا صنيعة كتّموا
تظن من كثرة اعتذارهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالتسوف حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكم
أشهدوا الحرب لالحق أخذوا * من مهج الدارين ما احتكوا
أوركبو الخيل غير مُسرّجة * فإن أخذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم
أعبدكم من صروف دهركم * فإنه في الكرام منهم
- ١٠

وقال أيضا

- ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يتفقون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمام
- ١٠

وقال أيضا

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى * وأحسن منه كرم في المكرم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة

يروح الى كسبِ الثناء ويتدى * اذا كان هم الناس كسبِ الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجبِ الندى * وحقَّ العطايا كان أول قائم
يزيد آبتها كلبا زار قاصد * كأن به شوقاً الى كل قادم

وقال السلاحي شاعرها

تُشبهه المُنَاح في البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغر خادِم
ففي جيشه خمسون ألفاً كمتير * وأمضى وفي ثرائه ألف حاتم

وقال أبو طالب الماموني من قصيدة

يُعِمْ بالهندى حين يسأله * أسود الوغى بالضرب فوق العائم
فلا ملك إلا ما أمت عروشه * ولا غيث إلا ما أفضت لثام
ولا تاج إلا ما توليت عقده * على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرايك نجم في دجى الليل ثاقب * وعزمك غضب في طلى كل ناجم

وقال المشوق الشامي

ما زال يبنى كعبةً للملى * ويحمل الجود لها ركا
حتى أتى الناس فطافوا بها * وقبلوا راحته اليمنى

وقال الماموني من قصيدة

همام يئس المشرقة ساخطا * ويضحك أباكراً الأمانى راضيا
ولو أن البحر يستطيع ترقياً * إليه لأم البحر جدواه راجيا

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا : أنخر بيت قائته العرب قول جرير

إذا غَضِبْتَ عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

قال : دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل ؟

قال : من الذين قال لهم الشاعر

إذا غضبت عليك بنو تميم ، البيت .

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل

يزيد بنو سعدٍ على عَدَدِ الحصى * وأثقل من وزن الجبال حُلومها

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

بناتُ بني عوفٍ طَهَارَى تقيّة * وأوجههم عند المشاهِدِ غُرَانُ

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

فلا وأبيك ما ظَلَمْتَ قُرَيْعٌ * بأن يبنوا المكارم حيث شاموا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال : أجلس ، لا جلست ، والله لقد خفت أن تفخر على !

وقالوا : أنخر بيت قائته العرب قول الفرزدق

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا * وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا !

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهلي في الافتخار

ونحن الحاكون إذا أطعنا * ونحن العاصون إذا عصينا !

ونحن التاركون لما سخطنا * ونحن الآخذون لما رخصنا !

وقال إبراهيم بن العباس

إما ترينى أمامَ القومِ متبعا ، * فقد أرى من وراء الخليل أتبع
يوما أبيعُ فلا أرى على نسب * وأستبيع فلا أبقي ولا أدع
لا تسألِ القومَ من حى صبحهم * ماذا صنعت ؟ وماذا أهله صنعوا ؟

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة

وما أنا فى نفسى ولا فى عشيرتى * بمهضم حتى ولا قارج سنى
ولا مسلم مولاى عند جناية * ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وأنت فؤادى بين جنبي عالم * بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
وفضلتى فى الشعر واللُب أنى * أقول على علم وأعلم ما أعنى
فأصبحت إذ فضلت مروانَ وأبنته * على اللاس قد فضلت خير أب وأبني

وقال أبو هفان

لعمري لئن بيعت فى دار غريبة * بناتى إذ ضاقت على المآكل
فما أنا إلا السيف يا كل جفته ، * له حلية من نفسه وهو عاطل

قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف فى الاختصار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو

فقل زهير إن شمت سرائنا * فليسا بشتامين للشم
ولكننا نأبى الظلام ونقتضى * بكل رقيق الشفرتين مصم
وتجهل أيدينا ويحمل رأينا * ونشم بالأفعال لا بالكلم

ومن الاختصار قول السموهلى بن عادي من كلمته التى أولها

إذ المرء لم يدنس من التؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وإن هولم يحمل على النفس ضيمها * فليس إلى حسن الثناء سبيل

وقائلة ما بال أسرة عادية * ثأدي وفيها قلة ومحول
 نعيمنا أنا قليل عديدنا * قلت لما إن الكرام قليل
 وما قل من كانت بقاياهم مثلنا * شأب تسمى للعلا وكحول
 وما ضرتنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار إلا كثيرين ذليل
 وأنا أناس لا نرى القتل سبة * إذا ما رآته عامر وسلول
 يُقرب حب الموت أجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فطول
 وما مات منا سيد حنف أمه * ولا طل منا حيث كان قيل
 نسي على حد الطباة قومنا * وليست على غير الطباة نسي
 صفونا فلم نكدر وأخلص سرتنا * إناث أطابت حمنا وفحول
 علونا إلى خير الظهور وحطنا * لوقت إلى خير البطون زول
 فنحن كماء المزن ما في نصابتنا * كهمم ولا فينا يمد بخيل
 ونكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين قول
 إذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فحول
 وما أتمدت نارنا دون طارق * ولا نمنا في النازلين نزل
 وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر معلومة ومحول
 وأسافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارين قول
 معودة أن لا نسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قيل
 سل إن جهل الناس عنا وعنهم * وليس سواء عالم وجهول
 فإن بني الديان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتحول

١٠

١٥

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة

وما ضاع مثل حيث حلت ركابُهُ * على حيث ضاع المجد مثل ضائع
ومثل مخضوع له غير أنه * إذا كان مجهول الفضائل خاضع
ومثل متبوع على كل حالة * فإن ينقلب وجه الزمان فابع

وقال عبد الله بن المعتز

سألتكما بالله هل تعلماني؟ * ولا تكتما شيئاً عندكما خبري
أرفع نيران القسرى لُفَاتها * وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغري
وأسال نيلاً لا يُجَاد بمشله * فيفتحه بشري ويختمه عذري

ومن الأتعار قول بعض الشعراء، ويروى لحسان بن ثابت من قصيدة أولها

أنسيمُ ريحك أم خيارُ العنبر * يا هذه، أم ريحُ مسكٍ أفر؟
قول لطيفك أن يصد عن الحشى * سطوات نيران الأسى، ثم أجمري
وأنتهى رؤاك أن يُصن مقاتلي * فينال قومك سطوة من هشمري
إنّا من النفر الذين جبادهم * طلعت على كسرى برح صرصر
وسأبن تاجى ملك قيصر بالقنا * وأجترن باب التدريب لابن الأصفر
كم قد ولدنا من كريم ماجد * دامى الأظافر أربيع مُطْطِر
خَلقت أمانه لفائِم مُرْهِف * ولينزل مكرمة وذروة منبر
يلقى الرماح بوجهه وبصدره * ويقيم هامته مقام المنفر
ويقول للطرف أصطبر لشبا الفنا * فهدمت ركن الحميد إن لم تصبر
وإذا تأمل شخص ضيف مُقْبِل * مُتسرِّل يربال ثوب أغبر
أوما الى الكؤماء هذا طارق * نخرننى الأعداء إذ لم تُحْصِر

١٠

١٥

٢٠

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

- حقيقة الجود بذل المال ، قال الله عز وجل : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وقال تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزيتوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا عن ذنب السيحى فإن الله عز وجل أخذ بيده كلما عثر وفأخه له كلما أفتقر » وقال صلى الله عليه وسلم : « الجود من جود الله تعالى لجودوا يحود الله عليكم » . « ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بفصل من أذخله الجنة » . « ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة » . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا الأمضياء . وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره . وقيل لمعمر بن عبيد : ما الكرم ؟ فقال : أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متوزعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأهل وإمساك الأكره ، والجود إعطاء الأكره وإمساك الأهل ، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك بشيء ، وهو أشرف درجات الكرم ، وبه استحقوا شاء الله عز وجل عليهم في قوله : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . ومن كلام ينسب إلى جعفر بن محمد : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تعجيله ، وتصغيره ، وسره . الجود زكاة السعادة ، والإيثار على النفس موجب لأسم الكرم ، وقال : لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء
- أعط القليل ولا يمتك قلبه * فكل ما سد قفرا فهو محمود

وقال علي بن الحسين : الكريم يتعج بفضلله ، واللئيم يفتخر بماله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما : آتيا الناس من جَاد سَاد ، ومن بُحْل رُدْل ، وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المال من لا تعرف ، فإنه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن في الكرم ، إلا أنه صفة من صفات الله تعالى ، تَسَمَّى بها فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا " . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل المال ، قال : إن الله عز وجل قد عودني بعادة أن يتفضل علي ، وعودته أن أفضّل علي عباده ، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلب : إنك متلاف ، قال : منع الجود ، سوء ظنّ بالمعبود . قال الله تعالى : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) . وقال أكرم بن صيني حكيم العرب : ذلّوا أخلاقكم للطالب ، وقودوها الى المحامد ، وعلموها المكارم ، ولا تقيموها على خلق تدّمونه من غيركم ، وصلّوا من رغب اليكم وتحلّوا بالجود يُكسبكم المحبة ، ولا تمتدّوا بالبخل ، تتعجلوا الفقر ، أخذه شاعر فقال

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَجَلَّتْ * وَأُتِرَتْ إِنْشَاقُ مَا تَجْمَعُ ؟
فَصُرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى * وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأمخياء يأمره بالإنفاق على نفسه ويخوفه الفقر ، فأجابه : (أَلَشَيْطَانُ يَسُدُّ كُمُ الْفَقْرِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَسُدُّ كُمُ مَغْفِرَةِ مِنْهُ وَفَضْلًا) وإنى أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر الله لا يقع .

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فليفق منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ، إما لمُصلِح ، فلا يقل عليه شيء ، وإما لمفسد ، فلا يبقى له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال

- أسعد بمالك في الحياة فإنما * يبقى خلافاك مصلِح أو مفسد
فاذا جمعت لمفسد لم يُغْنِه * وأخو الصلاح قليله يترد
وقال أبو ذر رضى الله عنه : لك في مالك شريكان ، الحدّثان ، والوارث ، فإن استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حفظاً فأفصل . وقال بزُّجَمهر الفارسي :
إذا أقبلت عليك الدنيا ، فاتفق منها ، فإنها لا تنفى ، وإذا أدبرت عليك ، فاتفق منها ، فإنها لا تنفى ، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال

- ١٠ لا يتبخّن بدينياً وهى مقبلة * فليس ينقصها التّذير والسّرْف
وإن تولّت فاحرى أن تجود بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف
وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ، ولو أن أهل البخل ، لم يدخل عليهم من ضرّ بخلهم ، ومذمة الناس لهم ، وإطباق القلوب على بغضهم ، إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف ، لكان عظاماً أخذ محمود
١٥ الوراق فقال

من ظنّ بالله خيراً جاد مبتدئ * والبخل من سوء ظنّ المرء بالله
وقيل لأبي عَقبيل البلّغ العراقي : كيف رأيت مروان بن الحَكَم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال : رأيتُ رغبته في الإنعام ، فوق رغبته في الشكر ، وحاجته الى قضاء الحاجة ، أشدّ من حاجة صاحِبها .

وقال زياد : كفى بالبخل عارا، أن اسمه لم يقع في حمد قط .
وقال أستاذ بن خارجة : «أحبُّ أن أَرُدَّ أحدا عن حاجة طلبها، لأنه لا يغلو
أن يكون كريما، فأصون له عِرْضَه، أولئها، فأصون عِرْضِي منه .

وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان
لا يحفّ بيده قلم، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال،
وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرتني عن الحالة التي خففت عنك الصَّعب،
وهوت عليك التعب، في القيام بحوائج الناس، ما هي ؟ قال : قد والله سمعتُ
[تفريد الطير بالأصهار، في فروع الأشجار، وسمعتُ خفق أوتار العيْدان ^(١)] وترجيع
أصوات القيان، فما طربتُ من صوت قط، طرَبِي من شاء حسن، بلسان حسن،
على رجل قد أحسن، ومن شُكِرَ لمنمِحَر، ومن شفاعه محتسب، لطالب شاكر،
قال إبراهيم : قلت، لله أبوك ! لقد حشيت كرما . وكان طلحة بن عبدالله بن عوف
الزهرى من أجود قريش في زمانه، فقالت له أمراؤه : ما رأيت قوما الأُم من
إخوتك، فقال لها : له ؟ وأنى قلت ذلك ؟ فقالت : أراهم إذا أيسرت أنوك،
وإذا أعسرت تركوك، قال : هذا والله كرمهم، يأتوننا في حال القوة عليهم،
ويتركوننا في حال المعجز عنهم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم، وكلمه في حاجة وماشاه، فوضع الشيخ
زجَّ عصاه التي يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتى أدماها، فما تأوّه لذلك، وما نهاه،
فلما فارقه، قيل له : كيف صبرت على هذا منه ؟ فقال : خفتُ أن يعلم جِنايته،
فينقطع عن ذكر حاجته .

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

(١١)

والذي انتهى اليهم الجود في الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهريم بن سنان المُرِّي، وكعب بن مامة الإيادي، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا: هو الذي جاد بنفسه، وآثر رفيقه بالماء في المفازة، ولم يشهر له خبر غير هذا. وأما حاتم فأخباره مشهورة

منا: أنه كان إذا أشدَّ البَرْد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا في بقاع من الأرض، لينظر إليها مَنْ ضلَّ عن الطريق، وفي ذلك يقول

أَوْقَدَ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ * وَالرَّيْحُ يَا وَاقِدَ رِيحٍ صَرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ * إِنْ جَلِبْتُ ضَيْفًا فَأَنْتَ حَرٌّ

١٠

قالوا: ولم يك حاتم يمسك غير سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه في سنة أزيمة.

قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة أقشعرت لما الأرض، وأغبر أفق السماء، وضنت المراضع عن أولادها، لا تبصُّ بقطرة، وأهنا بالهلاك، فوافقه، إني لفي ليلة صَبْرَةٍ، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تَصَاغَى صَبِيئَتُنَا جَوْطًا، عبد الله، وعدى، وسفانة،

١٥

فقام حاتم إلى الصبيين، وقت إلى الصبية، فوافقه ماسكوا إلا بعد هذاة من الليل، وأقبل يعلاني، فعرفت ما يريد، فتنلومت، فلما تهوَّرت النجوم، إذا بشيء قد رفع كسر البيت، فقلت: مَنْ هذا؟ فوالى، ثم عاد آخر الليل، فقال مَنْ هذا؟ فقلت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاونون عوى الذئاب، فما وجدتُ مَعُولًا إلا عليك أبا عدى، فقال: أعجلهم، فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين،

ويمشي بجانبها أربع كأنها تمامة حولها رثامها ، فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بمُدية ،
نغر ، ثم كَشَطَ عن جلده ، ودفع المديّة الى المرأة ، وقال : شأنك ، فأجتمعنا على
الحمّ تَشْوِي ، ونأكل ، ثم جعل يأتهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا عليكم بالنار ، وألتفع
بشوبه ناحية ينظر البنا ، لا والله إن ذاق منه مضغة وإنه لأحوج اليه منّا ، فأصبحتنا
وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما تَرَمَّرَعَ ، جعل يُخْرِج طعامه فإن
وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه ، أنه يهلك طعامه ،
قال له : أَلْحَقْ بالإبل ، فخرج إليها ، فوهب له جارية ، وفرسا وقلوها .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحشرج ،
فلما أتى حاتم الإبل ، طَفِقَ يَتَنَى الناس ، فلا يحدهم ، ويأتي الطريق ، فلا يجد عليه
أحدا ، فيبنا هو كذلك ، إذ بَصُرَ برُكْب على الطريق ، فأتاهم ، فقالوا : ياتني ، هل من
قَرَى ؟ فقال : تسألونني عن القَرَى ؟ وقد تَرَوْنُ الإبل ! وكان الذي بَصُرَ بهم ، حَيِّد
أبن الأبرص ، وبُشْر بن أبي خازم ، والناطقة الذبياني ، وكانوا يريدون النمان ، فنحروا
لهم ثلاثة من الإبل ، فقال حَيِّد : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفيتنا بكرة ، إن كنت

لا بد متكلفا لنا شيئا ، فقال حاتم : قد عرفت ، ولكن رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا
متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحد ، فأردت أن يذ كر كل واحد منكم ما رأى ،
إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا آمندحوه بها ، وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت
أن أحسن إليكم ، فصار لكم الفضل على ، وإنى أعاهد الله أن أضرب عراقيب
إيلي عن آخرها ، أو تقوموا إليها فتقتسموها ففعلوا ! فأصاب كل واحد تسعا وثلاثين
بعيرا ، ومضوا على سفرهم الى النمان ، وأن أبا حاتم أو جدّه ، سمع بما فعل ، فقال :

- أين الإبل؟ فقال : يا أبت طوقك بها طوق الحمامة مجدا وكَرَمًا ، لا يزال الرجل يحصل بيت شعر أثنى به علينا عوضًا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أيا بلى فعلت ذلك؟ قال : نعم ، قال : واقع لا أسألك أبدا ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ، ومعه جاريته وفروسه وفلوه . قال : فبينما حاتم يوما قائم ، إذ أنبته ، وحوله نحو مائتي بعير تجول وتحمط بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك ، فقد رزقت مالا ، ولا تعودت الى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنها نهب بينكم ، فأتيت ، ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلحقوا حاتما ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُنتون عليك خيرا ، وقد أرسلوا اليك برسالة ، قال : وما هي ؟ فأنشد الأسديون شعرا ، لعبيد ، وأنشد الليثيون شعرا للناطقة ، ثم قالوا : إنا لنستحي أن نسألك شيئا وإن لنا الحاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : ١٠ صاحب لنا راجل ، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها ، وربطت الجارية فلأوها بثوبها ، فأظت فاتبعته الجارية لترده ، فقال حاتم : مالحقكم من شيء ، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

❦

- وأما هيرم بن سنان ، فن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه قتل مال هيرم ، وكان زهير يتر بالادي وفيه هيرم فيقول : أنعموا صابحا ما خلا ١٥ هيرما ، وخير القوم تركت ، قالوا : وكان عبد آفة بن جُدعان ، حين كبر ، أخذت بنو تميم على يده ، ومنعوه أن يعطي شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه ، قال له : آذن مني ، فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : أذهب فاطلب لطمتك أو ترضى ، قرضيه بنو تميم من ماله ، وفيه يقول الشاعر

والذي إن أشار نحوك لعلما • تبع الظم ثائل وعطاء

- ومن أخبار الكرام : ما حكى أن خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، كان
يكثّر الجلوس ثم يدعو باليد ويقول : إنما هذه الأموال ودائع العرب لابد من تفرقتها ،
فقال ذلك مرة ، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من نخراسان ، فقام ، فقال :
أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفرك ، فقال : ويحك ! إنها ودائع المكارم ، وأيدينا
وكلاؤها ، فإذا أنا المُلقي فأغنيناه ، والظمان فأرويناها ، فقد أدينا فيها الأمانة ، ومّر
يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من صحن عمر بن عبد العزيز ، وهو يريد البصرة ،
فتقدمت له عتزا فقبلها ، ثم قال لابنه معاوية : مامعك من التفقة ؟ قال ثمانمائة دينار ،
قال : أدفعها إليها ! فقال له أبنه : إنك تريد الرجال ، ولا تكون الرجال إلا بالمال ،
وهذه يرضيها اليسير ، وهي بعد لا تعرفك ، فقال : إن كانت ترضى باليسير ، فانا لا أرضى
إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفني ، فانا أصرف نفسي ، أدفعها إليها ، فدفعها إليها . ١٠
قال الأحنف : كثرت على الديّات بالبصرة ، لما قُتل مسعود ، فلم أجدها في حاضرة
تميم ، فخرجت نحو يربن ، فسألت : من المقصود هناك ؟ فأرسلت إلى قبة ، فإذا
شيخ جالس يفثاها ، مؤترد بشملة ، مُحْتَبٍ بجمل ، فسلمت عليه ، وأنشبت له ،
فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : تُوُفِّي ، قال : فما فعل
عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ قلت : مات ، قال : فأى خبر ١٥
في حاضرتكم بعدهما ؟ قال : فذكَرت الديّات التي لزمنا للأزد وربيعة ، قال :
أقم ، فإذا راج قد أراح عليه بالف بغير ، فقال : خذها ، ثم أراح عليه آخر عيئها ، فقال :
خذها ، قلت : لا أحتاج إليها ، فأنصرفت بالآلف ، ووالله ما أدري من هو إلى الساعة .
وروى عن معن بن زائدة ، قال : لما هربت من المنصور ، خرجت من
باب حرب ، بعد أن أقمت في الشمس أياما ، وخففتُ لحيتي وعارضى ، ولبست ٢٠

- جبة صوف غليظة، وركبت جملا، ونحرت عليه لأمضى الى البادية، قال : فقبض
أسود متقلد سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض
على، فقلت : ما شألك؟ فقال : أنت بنية أمير المؤمنين قتلته : ومن أنا حتى
يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال ممن بن زائدة قتلته : يا هذا ! أتى الله وأين أنا من
معن؟ فقال : دع هذا عنك، فانا والله أعرف بك، فقلت له : فإن كانت القصة
كما تقول، فهذا جوهر حملته ممي، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه في نفيه
ولا تسفك دمي، فقال : هاته، فأنحيتُ إليه، فنظر إليه ساعة، وقال : صدقت
في قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، فقلت : قل،
فقال : إن الناس قد وصفوك بالجوهر فأخبرني هل وهبت قط ممالك كله ! قلت :
لا، قال : فنصفه ! قلت : لا، قال : فكله ! قلت : لا حتى بلغ العشر فاستحييت
١٠ وقلت : إني أظن قد فعلت هذا، فقال : ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل، ورزقي
على أبي جعفر، عشرين درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك،
ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود
منك، ولا تعجبك نفسك، ولتَحَرَّ بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن
مكرمة، ثم رمى بالمقدالي، وخلى خطام الجمل وأنصرف، فقلت : يا هذا ! قد والله
١٥ فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت، نخذ ما دفعته إليك، فإني عنه في غنى،
فضحك، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا، ففراقه لا أخذه، ولا أخذ
لمعروف مما أبداً، ومضى، ففراقه لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن جاءني به ماشاء،
فأعرفت له خبراً، وكأن الأرض ابتلته، وكان سبب غضب المنصور على معن
٢٠ ابن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هُبيرة وأبلى في حربه بلاء حسناً.

ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فلدحه فَهَشَ وَهَشَ له وثني له الوِسَادَة وأضافه ورفده وحمله ، فلما أراد الرجل الرحلة ، لم يخدمه أحد من غلمان وهب ، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فتاب بعضهم ، فقال له الغلام : إنا أئمانُين التازل على الإقامة ولا نُعين الراحل على الفراق .

وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأثبته الجراح ، فاستسقى ماء ، فأثبي به ، فلما تناوله ، نظر الى عِكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل حاله ، فرد الإماء على الساق ، وقال : أمض الى عِكرمة بن أبي جهل ، ففضي إليه ، فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكرمة ، فوجده قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سنذكر ما استجدناه منها .
فن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب ، قال : كان ببغداد فتى يُحِبُّ ستة أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : ثعلب ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشدنى فأنشدته

وإذا مررت بشبره فاعقر به * كُومَ المِجَانِ وكلَّ طرفٍ سَابِجٍ
وأنضجْ جوانبَ قبره بدمائها * فكنا يكونُ أبا دم وذُبابِجٍ

ففضحك ، ثم سكّت ساعة ، وقال : ألا قال ؟
أذهباً بي إن لم يكن لكَا عَقْرٌ على تُربِ قبره فاعقراني
وأنضعا من دمي عليه فقد كا * ن دمي من نَدَا لو تعلمانِ
ثم رآني يوما بعد ذلك فأتاني ، وقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

فأنشدته

١٠

١٥

٢٠

أُطَارَ الْجَوْدُ نَائِلُهُ * إِذَا مَا مَالَهُ نَفَسًا
وَأِنْ لَيْتَا شَكَا جُبْنَا * أَمَارَ فَوَادَهُ الْأَسَدَا

فضحك، وقال : ألا قال ؟

عَلَّمَ الْجَوْدَ التَّنْدِي حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدُ
فَلَهُ الْجَوْدُ مَقَرٌّ بِالنَّدَى * وَلَهُ اللَّيْثُ مَقَرٌّ بِالْجَلَدِ

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيرادُه في الشجاعة والكرم
يُجودُ بالنفسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا * وَالْجودُ بالنفسِ أَفْصَى غَايَةِ الْجودِ

وأول من أتى بهذا المعنى طلقمة بن عبدة حيث قال

تَجودُ بنفسِ لَا يُحَادُّ بِمِثْلِهَا * فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْإِقَاءِ خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء ، وبماله
عند العطاء ، فقد جاد بنفسه كليهما . قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية
يمدح العباس بن محمد

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا أَبْنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ "لَا" وَأَنْتَ مَحَلَّدٌ مَا قَالَمَا

إِنَّ السَّامِعَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَمَا

وإِذَا الْمُلُوكُ تَسَارِثُ فِي بِلَدَةٍ * كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَنتَ هِلَالَمَا

فلم يثبه العباس ، فقال

هَزْزْتُكَ هِرَّةَ السَّيْفِ الْمَحْلَى * فَلَمَّا أَنْ ضَرَبْتَ بِكَ أَنْثَيْتُ

فَهَبَهَا مِدْحَةً نَهَبَتْ ضَبَاعًا * كَذَّبْتُ طَلِيكَ فِيهَا وَأَقْرَيْتُ

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن في حنفيه ، قال : فتر

أبو العتاهية بإصحاق بن العباس ، وقال له لإصحاق : أنشدني شيئاً من شعرك فأنشدته

ألا أيها الطالب المستغيث * بمن لا يُفيد ولا يرقد
ألا تسأل الله من فضله * فإن عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤا * ل رد وأحشاؤه ترعد
كأنك من خشية للسؤا * ل في عينه الحية الأسود
فبصر إلى الله من لؤمهم * فإني أرى الناس قد أصلدوا
وإني أرى الناس قد أرقوا * بلؤم الذغال وقد أصدوا

ثم مضى ، فقيل لإسحاق : إن هذا الشعر له في أبيك ، فقال إسحاق : أولى له ،
لم عرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ؟

وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الأبيات ، فقال : أمتدح ربعة الرقي
العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يسبق إليها حسنا ، وهي
طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس : يا ابن محمد * قل "لا" وأنت غلّذ ماقالها
ما إن أعد من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسارت في بلدة * كانوا كواكبها وكنّت هلالها
إن المكارم لم ترل معقولة * حتى حلت براحتك عقالها

قال : فبحث إليه بديارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الديارين ، كاد
أن يحن غضبا ، وقال للرسول : خذ الديارين فهما لك على أن ترد إلى الرقة ، من
حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربعة ، وأمر من كتب
في ظهرها

مدحك مِدحة السيف المحلَّى * لتجري في الكرام كما جريت
 فهبها مِدحة ذهب ضياعا * كذبت عليك فيها وأقريت
 فانت المرء ليس له وقاء * كأنى إذ مدحك قد زينت

(٦٤)

ثم دفعها إلى الرسول وقال : وضعها في الموضع الذي أخذتها منه ، ففعل ، فلما

- كان من الغد ، أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات ، غضب ، وقام من
 وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أميرا عنده يحمّله ويقتمه ، وكان قد هم أن يخطب
 إليه أبنته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ماشائك ؟ قال : هجائي ربيعة الرقي ،
 فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمه أنهجو عمي ، وأثر خلق الله
 عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد آمنتدحته
 بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالفت في الثناء ،
 وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يامر بإحضارها فعل ، فلما سمع
 الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها
 فتلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؟
 فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وأستجدها وأعجب بها ، وقال :
 والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق ربيعة فبر ،
 ثم قال للعباس : كم أثبت عليه ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وغص بريقه ، فقال
 ربيعة : أنا بنى عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة
 عليه ، فقال : بحياتي يارقي كم أنا بك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أنا بنى
 إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوء
 لك ! أيّ حال فعلت بك عن إتابته ؟ أقلّة مال ؟ فوالله لقد نولت جهدى ، أم

انقطاع المال عنك ؟ فواقه ما أقطعتُ بك ، ام أصلك ؟ فهو الاصل الذى لا يدانيه شيء ، ام نفسك ؟ لا ذنب لى ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى فضحت أجدادك وفضحتنى ، وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم ، وخلعة ، وأحمله على بغلة ، ثم قال له : بيجاقى لا تذكره فى شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج اليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

وقال محمد بن هاني

الواهب الألف إلا أنها بدر * والطاعن الألف إلا أنها نسق
تأتى عطاياه شتى غير واحدة * كما تدافع موج البحر بصطفي

وقال الرضى الموصى

رياف والأيام ظمآنه * من الندى تشوان بالإشر
لا يمسك العذل يديه ولا * تأخذ منه نشوة الخمر

وقال أيضا

ذخائره العرف فى أهله * وتخزأت أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبى الصلت التقي يمدح عبد الله بن جلدان

أذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الحياة ؟
وعلمك بالأمور وأنت قرم * لك الحسب المهذب والساء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق السنى ولا مساء
إذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الشماخ بن ضَرَار

تَزُورُ أَمْرًا يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ * وَمَنْ يُعْطِ أَثَمَاتَ الْمُحَامِدِ يُجَمِّدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ، مَنْ تُعْطِهُ الْيَوْمَ نَائِلًا * بِكَفِّكَ، لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْغَدِ
تَرَى الْجُودَ لَا يُدْنِي مِنَ الْمَرْءِ حَقْفَهُ * كَمَا الْبَخْلُ وَالْإِمْسَاكُ لَيْسَ بِجُحْدِ
مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ، إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * تَهَلَّلَ، وَأَهْتَرَأَهْتَازَ الْمَهْنَدُ
مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ
قَالَ : وَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : كَذَبَ ، تِلْكَ نَارُ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقال السري الرفاء

كَالْفَيْثِ وَاللَيْثِ وَالْهَلَالِ إِذَا * أَقْرَبْنَا وَبَهْجَةً وَنَدَى
نَاسٍ مِنَ الْجُودِ مَا يَجُودُ بِهِ * وَذَاكَ مِنْهُ كَلِمَا وَعَدَا
وقال أبو الفرج الوأواء

مَنْ قَاسَ جَدُوكَ بِالْعَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَشْيَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ بِأَكْبَى الْعَيْنِ

وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة
لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَثْقَلَهُ * تَرَكْنِي أَحْصَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي : قَبِحَ اللَّهُ الْمَعْرُوفَ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ أَبْتَدَاءً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ،
فَمَا الْمَعْرُوفُ عَوَضٌ مِنْ مَسْأَلَةِ الرَّجُلِ ، إِذَا بَذَلَ وَجْهَهُ ، فَقَلْبُهُ خَائِفٌ ، وَفَرَاتُصَهُ
تَرَعْدُ ، وَجَبِينَهُ يَرْشَحُ ، لَا يَدْرِي أَيْرِجُ بَشِجِ الْطَلَبِ أَمْ بِسَوْءِ الْمُنْقَلَبِ ، قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ

يتحمل على فراشه، يعاقب بين شقيقه، مرة هكنا، ومرة هكنا، مَنْ حاجته؟ فخطرتُ
بِإِله أنا أو غيري، فقتل أرجاهم في نفسه، وأقربهم من حاجته، ثم عزم على، وترك
غيري، قد انتفع لوته، وذهب دُم وجهه، فلو خرجتُ له بما أملك لم أكافئه، وهو
على أَمْن مَنّى طيه، اللهم فإن كانت الدنيا لما عندي حظٌ فلا تجعل لي حظاً في الآخرة.

وقال أكرم بن صيفي: كلُّ سؤال وإن قل، أكثر من كلِّ نوال وإن جلّ.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إلى منكم حاجة،
فليرضها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.

وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأتلتني رجل قط، إلا سألتته عن حاجته، ثم كنت
من وراثتها.

وقال حبيب

عطاؤك لا ينفى ويستغرق المني * وتبقى وجوه الراغبين بماثا

وقال أيضا

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إذا أفنيت عوص

وقالوا: مَنْ بذل اليك وجهه، فقد وفّاك حق نعمته.

وقال معاوية لمصمصة بن صوحان: ما الجود؟ قال: التبرع بالمال، والعطاء

قبل السؤال.

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه

كريم على العلاتِ جزل عطاؤه * يُبذل وإن لم يُستمد لنوال

وما الجود من يُعطي إذا ما سأله * ولكن من يُعطي بغير سؤال

وقال حبيب الطائي

- لئن مجدُّك ما أوليتَ من كَرِّم * إني لفي اللؤم أمضى منك في الكرم
أنسى أبْسَامُكـ والألوانُ كاسفُك * تبسمَ الصبح، في داجٍ من الظلم
رددتَ رونقَ وجهي في صفيحتَه * ردَّ الصُّقَالِ صفاءَ الصَّارمِ انكحِمْ
وما أبالي— وخيرُ القولِ أصدقه — * حقنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دمي

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

- روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية » .
وقالوا : حدَّ الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة .
وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جيلةٌ نفس أبيّة، قيل له : فما النجدة؟ قال :
ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تمجد بفعلها دون خوف .
وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس : الذي يشدُّ إذا شدوا، والشجاع :
الداعي إلى البراز والمجيب داعية، والبطل : الخاضع لظهور القوم إذا ولّوا .
قال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع
طبقات، تقول : رجلٌ شجاعٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : بطلٌ، فإذا كان فوق ذلك،
قالوا : بهمةٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : اليَس .
وقال بعض الحكماء : جسمُ الحرب : الشجاعة، وقلبها : التدبير، ولسانها :
المكيدة، وجناحها : الطاعة، وقائدها : الرِّفق، وسائقها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالحوارج ، وجه كعب بن معبدان الى
النجاج ، فسأله عن بني المهلب ، فقال : المقيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى يزيد
فارسا شجاعا ، وجواندهم وشيخهم : قَيْصَةُ ، ولا يستحي الشجاع أن يفز من
مُدرك ، وعبدُ الملك : سمُّ نافعٌ ، وحبيبٌ : موتٌ زعافٌ ، ومحمدٌ : ليثٌ غابٌ ،
وكفالك بالمفضل نجدةً ، قال : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال : خلفتهم بخير ،
قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :
كانوا حُماة السَّرح نهارا ، فاذا ألبوا ففرسان الليال ، قال : فأيهم كان أنجده ؟ قال :
كانوا كالحفصة المفرغة ، لا يُدرى أين طرفُها ، قال : فكيف كنتم أتم وعدوكم ؟
قال : كنّا اذا أخذنا ، غفونا ، واذا اجتهدوا ، اجتهدنا فيهم ، فقال النجاج : (إِنَّ أَلْعَابَةَ
لِلْمُتَّقِينَ) .

١٠

وقالوا : أشجعُ بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس السلمي
أشدُّ على الكتيبة لا أبلى * أحنى كان فيها أم سواها ؟
وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلها ، وأوسعوا في ذلك ، فمن ذلك قول المتنبي
شجاعٌ كأت الحربَ عاشقةٌ له * اذا زارها فدته بالليل والرَّجُلِ
وقال أيضا

١٥

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم * تركت جمعهم أرضًا بلا رجلٍ
ما زال طرقتك يجرى في دمائهم * حتى مشى بك مشى الشارب النمل
وقال العباد الإصفهاني

قوم إذا لبسوا الحديدَ الى الوغى * ليس الحديدُ عدوهم في المهربِ
المُصدرون السَّهم عن وِردِ الوغى * سُقرا يُجَلَّلُ بالعجاج الأشهبِ

٢٠

وقال أبو الفرج البيهقي

- واليوم من غَشِيَ النَّجَاجَةَ لَيْلَةً * وَالكَرُّ يَحْرِقُ تَحَقُّقَهَا الْمُدُودَا
وعلى الصَّفَاحِ مِنَ الْكَفَاحِ وَصِدْقِهِ * رَدْعُ أَحَالٍ بِيَاضِهَا تَوْرِيدَا
وَالطَّنُّ يَنْتَصِبُ الْجِيَادَ شِيَاتَهَا * وَالضَرْبُ يَدْحُ فِي التَّلِيلِ وَقُودَا
وعلى القُفُوسِ مِنَ الْجَمَامِ طَلَائِعُ * وَالْخُوفُ يَنْشُدُ صَبْرَهَا الْمَقْهُودَا
وأَجَلُ مَا عِنْدَ الْفَوَارِسِ حُشَا * فِي طَاعَةِ الْمَرْبِ الْجِيَادَ الْقُودَا
حتى إِذَا مَا فَارَقَ الرَّأْيُ الْمَوَى * وَقَدْ الْبَقِيْنُ عَلَى الظُّنُونِ شَيْدَا
لَمْ يَنْفِرْ غَيْرُ أَبِي شَجَاعٍ وَالْعَلَا * عَنْهُ تَسَاحَى النُّصْرُ وَالْتَأَيْدَا



وقال أيضا ورؤي للبحري

- مِنْ كُلِّ مُنْعِجِ الْأَخْلَاقِ مَبْنِمْ * لِلتَّخَطُّبِ إِنْ ضَاقَتْ الْأَخْلَاقُ وَالْحِيلُ
يَسْمَى بِهِ الْبَرْقُ ، إِلَّا أَنَّهُ فَرَسٌ * فِي صُورَةِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ
يَلْقَى الرَّمَاحَ بِصَدْرِ مَنْ لَيْسَ لَهُ * ظَهْرٌ وَهَادِي جَوَادٍ مَا لَهُ كَفْلُ

وقال البحتري

- مَعْتَرِ أَمْسَكْتَ حُلُومَهُمُ الْأَرَّ * ضَ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا
فَإِذَا الْجَدْبُ جَاءَ كَانُوا غَيُوتَا * وَإِذَا التَّغَى ثَارَ ثَارُوا أَسْوَدَا
وَكُنْتُ الْإِلَهِ قَالَ لَهُمْ فِي الشَّعْرِبِ كُونُوا حِمَارَةً أَوْ حَلِيدَا

وقال مسلم

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنَةً * مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
قَوْمَ إِذَا حَمَى الْوُطَيْسُ لَسِيْمُ * جَلُّوا الْجَمَاجِمَ لِلْسَيْفِ مَقِيلَا

وقال آخر

عِقْبَانُ رَوْعٍ وَالسُّرُوجُ وَكُورُهَا * وَلِيُوثُ حَرْبٍ وَالْقَنَا آجَامُ
وبدور تمّ والشواثك في الوعى * هالائها والسابرى غَمَامُ
جادوا بمنوع التلاد وجودوا * ضربا تُخَدُّ به الطُّلَا والمهَامُ
وتجاورت أسيافهم وجيادهم * فالأرض تُمَطَّرُ والسماء تُفَامُ

•

وقال آخر

قوم، شرابُ سيوفهم ورماحهم * في كلِّ معتركٍ دمُ الأشرافِ
رجعتُ إليهم خيلهم بمناشير * كلُّ لكلِّ جسيمٍ أمرٍ كافٍ
يتحننون إلى لقاء مدتهم * كتحنن الأُلفُ للأُلفِ
ويباشرون نُبًّا السيوفِ بأنيس * أمضى وأقطع من نُبِّ الأسيافِ

١٠

وقال ابن حيوس

إنْ تُرَدُّ خُبْرَ حَالِمٍ عَنْ قَرِيبٍ * فَاتَّهِمَ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ زِلَالٍ
تَلَقَّى بَيْضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مَنَارِ الشُّعْمِ، خُضَرَ الْأَخْفَافِ حُمَرَ النَّصَالِ

ومما قيل في الصبر والإقدام

قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسَازَعُوا فَعَشَلُوا وَتَدَّهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُنْهَوُا لِقَاءَ الْمَدَى
وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا وَاصْبِرُوا وَإِنْ جَافُوا وَخَبُّوا فَعَلَيْكُمْ
بِالصَّمْتِ » .

١٥

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ربِّ حياةٍ، سببها التعرُّضُ للموت، وربِّ مَنِيَّةٍ، سببها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مطيَّة النصر .

وقال آخر : الصبر مطيَّةٌ لا تكبو، وإن عَنَّ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شَرِيَّةٌ^(١)، تمرَّأريَّةٌ^(٢) .

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إنك تُلْتَقِي نفسك في المهلاك ، فقال : إن لم آت الموت مسترسلا ، أتاني مستعجلا ، إني لست آتي الموت من حُبِّه ، وإنما آتيه من بغضه ، وتمثَّل بقول الحَصِين بن الحام

تأخَّرْتُ أَسْتَبِقَ الحَيَاةَ فلم أَجِدْ * لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَمُوتَ

وهي قصيدة مشهورة منها

فلسنا على الأعقابِ تَدْمِي كلومنا * ولكن على أقدامنا تَقَطُرُ الدِّمَاءُ

نَفْلَقُ هَامًا مِنْ كَرَامِ أَعَزَّةٍ * علينا، وهم كانوا أَعَقَّ وأَظْلَمَ

ولما رأينا الصبرَ قد جِيلَ دُونَهُ * وإن كان يوما ناكوا كَبِ مُظْلِمًا

صَبْرَنَا، وكان الصبرُ منا بِحِيَّةٍ * بأسِافنا يَقطَعْنَ كَقَفَا وَمِعْصَا

ولما رأيت الودَّ ليس بِنَافِئِي * عمدتُ إلى الأمرِ الذي كان أحرزًا

فَلَسْتُ بِمِيتَاعِ الحَيَاةِ بِسَبَّةٍ * ولا مَرِيقِي مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلْمًا

وقالت العرب : الشجاعة وقاية، والجبنُ مَقْتَلَةٌ . وكذلك : إن مَنْ يُقْتَلْ مَدْبَرًا، أَكْثَرُ مَنْ يُقْتَلْ مَقْبَلًا .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد : أحرص على الموت ، تَوَهَّبْ لَكَ الحَيَاةَ .

وقالت الحكماء : استقبال الموت ، خير من استدباره .

وقال العلوي

عزيمة أكفأل خيل على القنا * ودامية لباتها ونحوها
حرام على أرمحيننا طعن مدر * وتتلق منها في الصدور صدورها

وقال أبو تمام

قلوا ولكنهم طابوا فانبجدم * جيش من الصبر لا يحصى له مدد
إذا رأوا لنا يا عارضا ليسوا * من اليقين دروعا مالها زرد
ناوا عن المصريح الأدنى فليس لهم * إلا السيوف على أعدائهم مدد

وما زالت العرب يتماجدون بالموت قعصا ، ويتسابقون بالموت على الفراش ، ويقولون فيه : مات فلان حنفاً أنفه ، وأقل من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومدح أعرابي قوما فقال

يتحمون الحرب كأنما * يلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب : إن يقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وعمه ، إنا والله لا نموت حنفاً ولكن قعصاً بأطراف الزماح ، وموتاً تحت ظلال

السيوف ، وقال السموأل بن عادياء

وما مات منا سيد في فراشه * ولا طلل منا حيث كان قتيلاً
تسيل على حد الثلابة نفوسنا * وليست على غير الثلابة تسيل

وقال أيضاً آخر

وإنا لتستحل المنايا هوسنا * وترك أخرى مرة ما نذوقها



وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين ، وقد قيل له : أقاتل أهل الشام بالعداء ، وتظهر بالشئ في إزار ورداء ؟ فقال : أبا الموت تحفونني ؟ فوالله ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت علي ؟ وقال لأبيه الحسن : لا تدعون أحدا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فاق الداعي إليها باع ، وللباغي مصرع . وقال رضي الله عنه

« بقية السيف أنمي عددا »

يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونمى .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : عقت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لمهدي به يوم صفين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على شريعة شرذمة من الناس ، يحضهم على القتال ، حتى آتته إلى ، وأنا في كنف من الناس ، وفي أغيلة من بني عبد المطلب ، فقال : يا معشر المسلمين ، تجلبوا السكينة ، وتكلموا اللأمة ، وألقوا السيوف في الأغمار ، وكلفوا بالظبا ، وصلوا السيوف بالخطا ، فإنكم بين الله ، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاودوا الكر ، واستحيوا من الفر ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار في الحساب ، وطيبوا على الحياة أنفسا ، وسبروا إلى الموت سيرا سحبا ، ودونكم هذا الزواق الأعظم ، فاصبروا ، فإن الشيطان راكب صعدته ، قدموا للوثبة رجلا ، وأثروا للتكوص أخرى ، فصمدا صمدا ، حتى يبلغ الحق أجله ، والله معكم ، ولن تركم أعمالكم ، ثم صدر عنا ، وهو يقرأ (قَاتِلُوهُمْ بِسْمِ اللَّهِ) ، وأيديكم ويخزيهم وينصرم عليهم ويسف صدور قوم مؤمنين .

وكان معاوية بن أبي سفيان يمثل يوم صفين بهذه الأبيات

أبت لي شمتي وأبي بلاني * وأخذى الحمد بالثن الربيع

(١) السج بسين : العين السهل .

وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كَلْبًا جَشَاتٍ لِنَفْسِي * مَكَانِكَ تُجْمَدِي أَوْ تَسْتَرْجِي
لَا دَفْعَ عَنْ مَآثِرَ صَالِحَاتٍ * وَأَحْيِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَحِيحِ
وَقَالَ قَطَرِيُّ بْنُ الشُّجَاعَةِ أَمِيرُ الْخَوَارِجِ

وَقَوْلِي كَلْبًا جَشَاتٍ لِنَفْسِي * مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحِكْ لَا تَرَايَ
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا * قَا نَيْلَ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
سَيْلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ * وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ

يَا نَفْسُ إِنِّ لَمْ تُقَتِّلِي تَمَوَّحِي * إِنْ تَسَامَى الْيَوْمَ فَلَا تَفْشَوْنِي
أَوْ تُبَيِّلِي فِطَالًا عُوفِيَّتِ * هَذِي حَيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَالِيَّتِ
وَمَا تَمْنِيَّتِ فَقَدْ لَقِيَّتِ * إِنِّ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ
* وَإِنْ تَوَلَّيْتُ فَقَدْ شَقِيَّتِ *

يريد بقوله

* فَإِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ *

فَعَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَا قُتِلَا فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ بِمَوْتِهِ . وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ يَصِفِّينَ حَتَّى
يَقِفَ بَيْنَ الصَّفِّينِ وَيُنْشِدُ

مِنْ أَى يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْزُ * يَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِّرَ
فِيَوْمٍ لَا يُقَدَّرُ لَا أَرْهَبُهُ * ثُمَّ مِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْخَيْرُ

ومثله قول جرير من قصيدة أولها

* هاجَ الفراق لقلبك المهتاج *

منها

قل للبيان إذا تأخر سرحه * ما أنت من شرك المنية ناجي

وقالت امرأة من جد القيس

أبوا أن يفرّوا والقنا في نحورهم * ولم يخفوا من خشية الموت سلماً
ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة * ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً

وقال حبيب بن أوس الطائي

فأثبتت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أتمحك الحشر
وقد كان فوئ الموت سهلاً فردّه * عليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
فذا غدوة والحمد نسج ردائه * فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
تردى ثياب الموت حمراً فأتى * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وقال

قومٌ إذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسبوا أن المنية تُحلق
أنظر بحيث ترى السيوف لوامعاً * أبداً وفوق رموسهم تتألق

وقال البيهقي

يسعى إلى الموت والقنا قصده * وخيله بالرموس تتملّ
كأنه واثق بأن له * عمراً مقبلاً وما له أجل

وقال كعب بن مالك

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا * قدماً ونلحقها إذا لم تلحق

ومثله لبعض بنى قيس بن ثعلبة

لو كان في الألف متأ واحد فدعوا * مَنْ فارس؟ خالم إياه يصنونا
إذا الحكمة تنحوا أن يصيبهم * حدُّ الطبابة وصلناها بأيدينا

ومثله قول الآخر

• إذا قصرت أسافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فتقارب

ومثله قول ودّك بن نمير المازني

مقاديم وصلون في الرّوع خطوهم * بكلّ رقيق الشّغرتين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم * لأية حرب أم باى مكلن

وقال أبو تمام في سعة الخطو

خطو، ترى الصّارم الهندى متحصرا * به، من المازن الخطى متصفا

وقال آخر

كان سيوفه صيفت عقودا * تجول على التراب والنحو
وسمر رماحه جعلت هموما * فما يحطرون إلا في ضمير

وأجود ما قاله نعت في الصبر قول ابن الرومي

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب * فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب؟
هناك يحق الصبر، والصبر واجب * وما كان منه كالضرورة أوجب
فشدّ امرؤ بالصبر كفا فإنه * له عصمة، أسبها لا تحضب
هو المهرّب المتجى لمن أهدت به * مكاره دهر ليس منه من مهرب
لبوس جمال جنة من شماتة * شفاء أسمى يقى به ويشوب

- فياعجبا للشيء هذى خلاله • وتارك ما فيه من الحفظ أعجب
وقد يتقنى الناس أنت أساهم • وصبرهم فيهم طبع مُرْكَبُ
فإنهما ليسا كشيء مُصَرَّف • يصرفه ذو نكة حين يُنْكَبُ
فإن شاء أن يأسى أطلع له الأسمى • وإن شاء صبرا جاءه الصبر يحلب
وليسا كما ظنهما بل كلاما • لكل ليب مستطاع مسبب
يصرفه المختار منا فتارة • يُراد فيأتي، أو يُراد فيذهب
إذا احتج محج على النفس لم تك • على قدر يُمنى لها لتعجب
وساعدها الصبر الجليل فأقبلت • إليها له طوعا جنائب تُجنّب
وإن هو منها الأباطيل لم تزل • تقاتل بالعتب القضاء وتُقلب
فِيُضِحي جزوا إن أصابت مصيبة • ويمسى هلوا إن تضر مطلب
فلا يمدن التارك الصبر نفسه • بأن قيل : إن الصبر لا يُتَكسب

ذكر ما قيل في وفور العقل

- قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : صبر عن العقل بالقلب، لأنه محله وسكنه، وقال تعالى : (وَلْيَذْكُرْ
أُولُو الْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذْكُرْ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ
فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول ما خلق الله العقل، قال له : أقبل، فأقبل، ثم قال له : أدبر، فأدبر، ثم قال : وعزني وجلالي، ما خلقت خلقا أكرم على منك، بك أأخذ، وبك أعطي، وبك أئيب، وبك أطاقب » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام ، فمن كُنَّ فيه كل عقله ، ومن لم يكن فيه جزء منها ، فلا عقل له » ، قيل : يا رسول الله ، ما أجزاء العقل ؟ قال : حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على أمر الله . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبيد ولا استقام دينه ، حتى يكمل عقله » .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال تميم البارى : ما السؤدد فيكم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك ، فقال كما قلت ، ثم قال : سألت جبريل ما السؤدد ؟ فقال : العقل .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأى شئ يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس إنما يميزون بأعمالهم ! فقال : « يا عائشة ، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل ، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يُميزون » .

وعن سعيد بن المسيب : أن عمرو أبا بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، من أعلم الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : أليس العاقل من طهرت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفته ، وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) إن العاقل هو التقى وإن كان في الدنيا خسيسا دنيا .

ورود في الأثر : « أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياة ، فاختار العقل ، فقبل للدين والحياة : أَرْضَعَا ، قَالَا : لا ، قَالَ : أَفَعَصَيْتُمَا أَمْرَ رَبِّكُمَا ؟ قَالَا : مَا عَصَيْنَا أَمْرَ رَبِّنَا ، وَلَكِنَّا أَمَرْنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْعَقْلَ حَيْثُ كَانَ » .

وقال لقمان لأبنته : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة ، حَسُنُ الْعَقْلُ ، لأن العبد إذا حَسُنَ عقله ، غُطِّيَ ذلك عيوبه ، وأَصْلَحَ مساوئيه ، وَرَضِيَ عَنْهُ خَالِقُهُ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عَقْلاً أَنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ .

وقيل : مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كلُّ شيءٍ يميز إذا قَلَّ ، والعقل كلما كان أكثر كان أَعَزَّ وأَعْلَى ، ولو بيع ، لما اشتراه إلا العاقلُ لمعرفته بفضله ، وأَوَّلُ شرف العقل أنه لَا يُسْتَرَى بِالْمَالِ .

قال أبو عطاء السندی

فإن العقل ليس له إذا ما • تَذَكَّرَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءٍ

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ، فإذا كان قائدٌ بلا سائقٍ هلكَتْ ، وإن كان سائقٌ بلا قائدٍ أخذَتْ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فإذا اجتمعَا أجابت طوعًا أو عُزْرًا .

ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء ، في حد العقل ، قيل : حدّه الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلًا ، وقيل : النظر في العواقب ، وقال المتكلمون : هو آسم لعلوم اذا حصلت للإنسان صحّ تكلّفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته ، وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم ، وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين ، وشرّ الشرين .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمتثلت في جميع الخصال ، بأقوام جملهم أعلاما فيها ، فضرى بها المثل اذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحف ، ومن قيس بن عاصم ، وأجود من حاتم ، ومن كمب بن مامة ، وأشجع من بسطام ، وأمين من سمعان ، وأرجى من ابن يقين ، وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا : أعقل من فلان ، فلمهم لم يستكملوا عقل أحيد ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له : حدّ لنا العقل ، فقال : كيف أحيدّه ولم أره كاملا في أحيد قط .

وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعا في أحيد فأصفه ، وما لا يوجد كاملا فلا حدّ له .

وقالوا : لكل شيء غاية وحدّ ، والعقل لا غاية له ولا حدّ ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

وأختلفوا في ماهية العقل ، كما اختلفوا في حدّه ، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعا وضريرة في القلب ، كالنور في العين وهو البصر ، فالعقل نور في القلب ، والبصر نور في العين ، وهو يتقص ويّزيد ، ويذهب ويّعود ، وكما يدرك بالبصر شواهد

الأمر، كذلك يُدركُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليس الأعمى من يَمَى بصره، ولكن من عَمِيَتْ بصيرته» .

- وقال عبد الله بن عمر بن معاوية عن عمر بن عُتبة المعروف بالعتبي : العقل عقلان، عقلٌ تفردَ الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقلٌ يستفيدة المرء بأدبه وهو الفرع، فاذا اجتمعا، قوى كل واحد منهما صاحبه، تقوية النار في الظلمة للبصر .

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويروى لعل بن أبي طالب رضى الله عنه

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَانِ : * فطَبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

- ١٠ ولا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ * إِذَا لَمْ يَكْ مَطْبُوعٌ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ * وَضُوءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

وأكثر الناس على أَنَّ العقلَ في القلب، ودليله قوله عز وجل : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

- ١٥ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل » .

وقال بعضهم : هو في الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به قليل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه أَرَدَاهُ، ومن أطاعه أُنْجَاهُ .

وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : لم تر عَيْنَايَ أَجَلَ مَنْ فَضِلَ عَقْلٌ يَرُدِّي بِهِ الرَّجُلُ إِنْ
 أَنْكَسَرَ جَبْرُهُ ، وَإِنْ تَصَدَّعَ أُنْعَشَهُ ، وَإِنْ ذُلَّ أَعَزَّهُ ، وَإِنْ أَعْوَجَّ أَقَامَهُ ، وَإِنْ عَثَرَ
 أَقَامَهُ ، وَإِنْ أَفْطَرَ أَغْنَاهُ ، وَإِنْ عَرَى كَسَاهُ ، وَإِنْ غَوَى أَرْشَدَهُ ، وَإِنْ خَافَ أَمَنَهُ ،
 وَإِنْ حَزَنَ أَفْرَحَهُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ صَدَقَهُ ، وَإِنْ أَقَامَ بَيْنَ أَطْهَرِ قَوْمٍ أَعْتَبَطُوا بِهِ ، وَإِنْ
 غَابَ عَنْهُمْ أَسْقَوْا عَلَيْهِ ، وَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ قَالُوا : جَوَادٌ ، وَإِنْ قَبَضَهَا قَالُوا : مُقْتَصِدٌ ،
 وَإِنْ إشارَ قَالُوا : عَالِمٌ ، وَإِنْ صَامَ قَالُوا : مُجْتَهِدٌ ، وَإِنْ أَفْطَرَ قَالُوا : مُعْذَرٌ .

قال بعض الشعراء

يُمَدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمُحْسِبٍ
 وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ * وَمَا عَاقِلٌ فِي بَلَدٍ بِغَيْرِ

١٠ وقال بعض الحكماء : إِذَا غَلَبَ الْعَقْلُ الْهَوَى ، صَرَفَ الْمَسَاوِيَّ إِلَى الْحَاسَنِ ، فَجَعَلَ
 الْبَلَادَةَ حِلْمًا ، وَالْحِلَّةَ ذِكَاةً ، وَالْمَكْرَ فِطْنَةً ، وَالْمَذَرَ بِلَاغَةً ، وَالْيَمْنَ صِحَّةً ، وَالْعُقُوبَةَ
 أَدْبًا ، وَالْجَهْنَ حَذَرًا ، وَالْإِسْرَافَ جُودًا .
 وقيل : لو صُوِّرَ الْعَقْلُ ، لِأَضَاءٍ مَعَهُ اللَّيْلُ ، وَلَوْ صُوِّرَ الْجَهْلُ ، لِأَظْلَمٍ مَعَهُ النَّهَارُ .

قال المتنبي

١٥ لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ * أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
 وَقَدْ تُدَبُّ إِلَى صَحْبَةِ الْمَقْلَاءِ .

قال الزُّهْرِيُّ : إِذَا أَنْكَرْتَ عَقْلَكَ ، فَاقْدَحْهُ بِمَاقِلٍ . قال ابنُ زُرَّارَةَ : جَالِسٌ
 الْعُقْلَاءَ أَعْدَاءُ كَانُوا أَمْ أَصْدِقَاءَ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ .

قال بعض الشعراء

صَلُّوكَ ذُو الْعَقْلِ أَيْقَى عَلَيْكَ * وَأَيْقَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ

وقال آخر

لله دَرُّ العقل من راشِد * وصاحب في السير والسير
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للآثم
وإن شئتاً بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
له قُوَى ، قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

وقال آخر

إذا لم يكن للـء عقل فإنه * وإن كانا قدر على الناس - هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله ، * وأفضل عقل من يتبين

وقال آخر

١٠ العقل حلة غير من تـسرلها * كانت له تشبا يفتى عن النـشـب
وأفضل العقل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة العطـيـب

وقال ابن دُرَيْد

وأفضل قسم الله للـء عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين الفتى في الناس صحة عقله * وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويُزرى به في الناس فلة عقله * وإن كُرمَت أعرافه ومناسبه
١٥ إذا أكل الرحمن للـء عقله * فقد كُلت أخلاقه ومآربه

وقال آخر

ما وهب الله لأمرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى ، فإن صمّا * فإن قـصدَ الحياة أضع به

وقال أئمر

ولم أرَ مثلَ الفقيرِ أَوْضَعَ للفقى * ولم أرَ مثلَ المالِ أَرْفَعَ للنذلِ
ولم أرَ منَ عُدِمَ أَضْرَّ على الفقى * إذا عاش بين الناس من صَدَمِ العقيلِ

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عز وجل مبشرا للصادقين : (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَحْرُوا الصَّدَقَ ، فإنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنْ الْمَرْءُ لِيَتَحَرَّى الصَّدَقَ ، حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قال : الصَّدَقُ ، إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا ، وَإِذَا بَرَّ أَمِينًا ، وَإِذَا أَمِنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ . قال : يا رسول الله ما عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ ؟ قال : الْكُذْبُ ، إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ بَغْرًا ، وَإِذَا بَغَرَ كَفَرًا ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بِمُ يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ ؟ قال : بِوَقَارِهِ ، وَلِينِ كَلَامِهِ ، وَصِدْقِ حَدِيثِهِ . وَمِنْ كَلَامٍ عَلَى رَضَى اللَّهُ عَنْهُ : الْإِيمَانُ أَنْ تَوْثَرَ الصَّدَقُ حَيْثُ يَضُرُّكَ ، عَلَى الْكُذْبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ .

وقال بعض الحكماء : الصَّدَقُ أَزِينُ حَلِيَةٍ ، وَالْمَعْرُوفُ أَرْجَحُ تِجَارَةٍ ، وَالشُّكْرُ أَدْوَمُ نِعْمَةٍ . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس في المنام ، فقلت : أى الكلام أحسن ؟

فقال : ما صدق قائله ، قلتُ : ثمّ ماذا؟ قال : ما استحسنته سامعه ، قلت : ثمّ ماذا؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيقُ الحمارِ بمثله .

وقال الأحف لأبنته : يا بنيّ ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يُقبل قوله في صدقه ، ومن دناءة الكذب ، أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا صدقه ، لكلّ شيء حليّة ، وحليّة المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب السدّوانيّ في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفاً من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعوّده لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنّه ، إلا جاء على ظنّه .

وقالوا : ما السيف الصارم ، في كفّ الشجاع ، بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بمجوز تبع اللبّن ، فقال لها : يا عجوز ، لا تفشّي المسامين ، ولا تسوّي لبنك بالماء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال يا عجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تسوّي لبنك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فكلّمتُ بنتُ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أتماه ، أغشاً وحتّاً جمعتِ على نفسك؟ فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يترّوجها؟ ففعل الله أن يُخرج منها نسمةً طيِّبةً ، فقال ابنه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أمّ عاصم ، تزوّجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر ابن عبد العزيز .

وروي أنّ يبلال لم يكذب منذ أسلم ، فبلغ ذلك بعض من يحسده ، فقال : اليوم أكذبه فسأيره ، فقال له : يا يبلال ما سنُّ فرسك؟ قال عظم ، قال : فما جريه؟ قال :

يُحْضِرُ مَا اسْتَطَاعَ، قَالَ: فَاَيْنَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: حَيْثُ أَضْعُ قَدَمِي، قَالَ: أَبْنُ مِنْ أَنْتَ؟
قَالَ أَبْنُ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: فَكَمْ أَتَى عَلَيْكَ؟ قَالَ: لَيْلًا وَأَيَّامًا، اللَّهُ أَعْلَمُ بِعَسَدِهَا،
قَالَ: هِيَاتِ، أَعَيْتُ فَيْكَ حَيْثِي، مَا أَتَعَبُ بِعَدِ الْيَوْمِ أَبَدًا.

ذِكْرُ مَا قَبِلَ فِي الْوَفَاءِ وَالْمَحَافَظَةِ وَالْأَمَانَةِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) . وَقَالَ تَعَالَى:
(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) . وَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَى أَهْلِهَا) . وَقَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) .

وَرَوَى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
عَلَيْكَ بِصَلَةِ الْحَدِيثِ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ .

كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّيْزِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، حَتَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنَتِهِ زَيْنَبَ، تَاجِرًا تَضَارِبُهُ قَرِيْشٌ بِأَمْوَالِهِمْ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ سَنَةَ
الْهِجْرَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ، عَرَضَ لَهُ الْمَسَامُونَ، وَأَسْرَوْهُ، وَأَخَذُوا مَا مَعَهُ، وَقَدَّمُوا بِهِ
الْمَدِينَةَ لَيْلًا، فَلَمَّا وَصَلُوا الْفَجَرَ، قَامَتِ زَيْنَبُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَجْرَيْتُ أَبَا الْعَاصِ وَمَا مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
قَدْ أَجْرَيْتَا مِنْ أَجْرِي وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ مَا أَخَذُوهُ مِنْهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَبَى، وَخَرَجَ
إِلَى مَكَّةَ، وَدَعَا قَرِيْشًا، فَاطْمَعَهُمْ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ وَفَيْتُ؟
قَالُوا: نَعَمْ، قَدْ أَذَيْتَ الْأَمَانَةَ وَوَفَيْتَ، قَالَ: أَشْهَدُكُمْ جَمِيعًا، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَمَا مَعْنَى أَنْ أَسْلَمَ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: أَخَذَ أَمْوَالَنَا، ثُمَّ
هَاجَرَ، فَاتَّخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّكَاحِ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ .

(١) اتَّخَذَ: الْعَهْرَ أَوْ كُلَّ مَنْ كَانَ بَيْنَ قَيْلٍ وَالْمَرْءِ كَالْأَبِ وَالْأَخِ وَجِهَهُ: اخْتَنَانٌ .

- وقيل لما قوى أمرُ بني العباس وظهور، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى كاتبه : إنا نريد في الكتب، أن هذا الأمرُ زائل عنا لا محالة ، وسيظهر إليك هؤلاء القوم ، يعني ولد العباس ، فصر إليهم ، فإني لأرجو أن تمكن منهم ، فتتغنى في غلتي ، وفي كثير من أمورى ، فقال : وكيف لي بلم الناس جميعا أن هذا عن رأيك ، وكلهم يقول : إني غدرت بك ، وصرت الى عدوك ؟ وأنشد
- أسرَّ وفاءً ثم أظهرُ غدرَةً * فنلى بعذري يوسع الناسَ ظاهرُهُ

ثم قال

ولو لمُ ظاهرٌ لا شكَّ فيه * للائمةِ وعذرى بالمعيبِ

- فلما سمع مروان ذلك ، علم أنه لا يفعل ، ثم قال له عبد الحميد : إن الذى أمرتني به ، لأفعلُ الأمرين لك ، وأقبحهما بي ، ولك على الصبر معك ، الى أن يفتح الله عليك ، أو أقتل معك .

- والعرب تضرب المثل فى الوفاء بالسمول بن عدياء الأزدي ، وقيل : إنه من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان من خبره ، أن أمراً القيس بن مُحَجَّر ، أودعه أدراما مائة ، فأتاه الحارث بن ظالم ، ويقال الحارث بن أبى شمر الغساني ، ليأخذها منه ، فتحصن منه السمول ، فأخذ أبنا له غلاما وناداه : إما أن أسلمتَ ١٥ الى الأدرع ، وإما أن قتلت أبنتك ، فأبى أن يسلمها ، فقتل أبنته بالسيف ، ففى ذلك يقول

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِتْدِيِّ ، إِنِّى * إِذَا مَا الْقَوْمُ قَدْ غَدَرُوا وَفَيْتُ

وَأَوْصَى عَادِيَا يَوْمًا بِأَنْ لَا * تُهَمُّ بِاسْمِمْوَلٍ مَا بَيَّنْتُ

وفيه يقول الأعشى

كن كالسمومل إذ طاف الملم به * في بحفلي كسواد الليل جرار
الأبلى الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير غدار
قد سامه خُطفتي خشف فقال له : * قل ما بدا لك إني سامع حار
فقال : ثكل وغدر أنت بينهما * فأختر وما فيهما حظاً مختار
فأر غير طويل ثم قال له : * أقتل أسيرك إني مانع جارى

ومن وفاء العرب، ما فعله هاني بن مسعود الشيباني، حتى جرّ ذلك يوم ذى قار، وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده في يده، فأودع ماله وأهله عند هاني، ثم أتى كسرى فقتله، وأرسل إلى هاني يطلبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملي، فابعث إلى بوديعة، وإلا بعث إليك يمينود تقتل المقاتلة وتُسبي النّزيرة، فبعث إليه هاني: أن الذي يلذك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين، إما رجل استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها، ولن يسلم الخزائنته، أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي للذك أن يأخذه بقول عدوّ، فبعث كسرى إليه الجند، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء والأساورة^(١)، فلما ألتقوا، قام هاني بن مسعود، وحرص قومه على القتال، وجرى بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسنذكرها إن شاء الله في وقائع العرب، فانتصر هاني وانتهمت الفُرس، وكانت وقعة مشهورة، قيل : وكان مرداس في يمين عبيد الله بن زياد بن أبيه، فقال له السجّان : أنا أحب أن أوليك حسنة، قال : فإن أذنت لك في الانصراف إلى دارك أفتدبج علي؟ قال : نعم، فكان يفعل ذلك به،

(١) الأساورة جميع أسوار الفهم والكسر وهو قائد الفرس .

- فلما كان ذات يوم، قتل بعض الخوارج صاحب شرطة آبن زياد، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك حارجا، فقال له أهله : أتقى الله في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال : ما كنت لأتقى الله غادرا، وهذا جبار، ولا آمن أن يقتل السجّان، فرجع وقال للسجّان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقك منه مكروه، فقال له السجّان :
- خذ أى طريق شئت، فاتح بنفسك .

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب^(١) الى بعض جبايين الشام، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكي، جاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب سليمان من حسنها : يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت الى القبر، وقالت

١٠

فإن تسألاني عن هوائى فإنه * يحسوماء هذا القبر يا فتين
وإني لأستحييه والترُّبُ بئتنا * كما كنتُ أستحييه وهو يراني

- ومن أحسن الوفاء، ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردته، وقالت : ما يعجب الرجال مني؟ قالوا : شياك، فكسرت شياها، وبعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء كلب . وامرأة هذبة لما قُتل زوجها، قَطَعَتْ أنفها وشفتيها، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرغب فيها .

- وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة، فلنذكر بيعة خليفة ويمن، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهى : تباع عبد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار ورضا واختيار وأعتقاد وإظهار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق من نيتك،

٢٠

وأنسراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائعا غير مُكره، ومتقادا غير مُجبر، مقرا
 بفضلها، مُدعيا بحقها، ومعتبرا بركتها، ومُعتمدا بحسن عائلتها، وطليبا بما فيها،
 وفي توكيدها من صلاح الكفاة، واجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشعث، وأمن
 العواقب، وسكون الذمماء، وعز الأولياء، وقبح الأعداء، على أن فلانا عبد الله
 وخليفته المفترض طيعك طاعته، الواجب على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام
 بحقه، والوفاء بعهده، لا تُشكّ فيه، ولا ترتاب به، ولا تُداهن من أمره، ولا تميل،
 ولكلك وليّ أوليائه، وعدوّ أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، وحاضر
 وغائب، متمسك في بيعته بوفاء العهد، وذمة العقد، سريرتك مثل علايتك،
 وضميرك فيه وفق ظاهرك، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها
 في عتقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، وأستقامة من عزيمتك،
 واستمرار من هواك ورأيك، على أن لا تناقل عليه فيها، ولا تسمى في تقض شيء
 منها، ولا تقعد عن بصرة له في الرءاء والشدة، ولا تدع النصّح له في كل حال راهنة
 وحادثة، حتى تلقى الله موفا بها، مؤذيا للأمانة فيها، إذ كان الذين يبايعون ولاة
 الأمر وخلفاء الله في الأرض (إِمَامًا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَرَأَيْنَا
 يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) عليك بهذه البيعة التي طوقتها عتقك، وبسطت لها يدك،
 وأعطيت ما شرط عليك فيها، من وفاء، ونصّح، وموالة، ومشايعة، وطاعة،
 ومواقفة، واجتهاد، ومبالغة، عهد الله إن عهده كان مسئولا، وما أخذ الله على
 أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عبادته من وكالات مواثيقه،
 ومُحَكَّمات عهوده، وعلى أن تمسك بها، فلا تُبدل، وتستقيم، فلا تميل، وإن نكثت
 هذه البيعة، وبطلت شرطا من شروطها، أو عقيت رسما من رسومها، أو غيرت

- حكماً من أحكامها، معلناً أو مسراً، محتالاً أو متاولاً، أو زُفَّتْ عَنِ السَّبِيلِ التي يسلكها من لا يحترم الأمانة، ولا يستحل الغدر والخيانة، ولا يستجيز حل العقود والمهود، فكل ما تملكه من عين أو ورق، أو آنية أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة، والأموال المدخرة، صدقة على المساكين، يحزم عليك أن ترجع شيئاً من ذلك إلى مالك، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج من مخرج الإيمان، فكل ما يهيئه عمرك من مال يقل خطره أو يحل فتلك سبيله إلى أن تنفك [مبتك]، أو يأتيك أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يوم يلزمك الحنث وما تروج بعد من مدة بقاءك طوالق ثلاثاً، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة، وعليك المشي إلى بيت الله الحرام، ثلاثين حجة حافياً راجلاً، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً، وخذلك يوم تحتاج إليه، وبرأك من حوله وقوته، وأجلك إلى حوئك وقوتك والله عز وجل بذلك شهيد (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً) والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

- قال الله تبارك وتعالى : (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) . وقال الله تعالى لنيه صلى الله عليه وسلم : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُخَضَّبِينَ) قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعاً .

(١) الكلام الذي ينتهي بهذا المربع يقبى في صحيفة ٢٥٠ يرجع منه وهو ساقط بالأصل ويقع

في صحيفة (٧٢ و ٧٤) وقد قلنا من النسخة الراجية .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُتِنَ على حمار، خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن المفلول لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفُوا عَنكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفْعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فصمتوا يذككم الله » . وقال عمرو بن الزبير: التواضع أحد مصابيد الشرف ، وفي لفظ "سَلَمَ الشرف" . وقال جعفر بن محمد : رأس الخير التواضع ، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تُسَلِّمَ على من لَقِيت ، وأن تترك المِرَاءَ وإن كنت مُحِقاً .

وعن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاءَ فيه وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة، وثمره التواضع المحبة، وقيل: التواضع نعمة لا يظن لها الحاسد ، وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يتمتع فيها قطرها وقطر غيرها . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكِن ماءً .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحداً تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع الماثور ما روي : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويده على المَعْلَلِ بن الجارود فلقبته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كما نَفِرَكَ مرّةً عُثَيْرًا ثم صرْتَ بعدَ عُثَيْرٍ عُمرَ ثم صرت بعد عمرَ أمير المؤمنين فاتقِ الله يا بن الخطاب، فانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد ، قرب عليه

البيد ، ومن خاف الموت ، خشى الفوت ، قال لها الملقى ، إيهآ ، إليك يا أمة الله
لقد أبكيت أمير المؤمنين ، فقال له عمر أتعري من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت
حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فصرأ أخرى أن يسمع قولها ويقتدى به . وقال
عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ، قال : ذلك أبعد من الكبر
وأمرع الى الحاجة . وقال عمر رضى الله عنه وقد قيل له مثل هذا : أنجح للحاجة
وأبعد من الكبر . أما سمعت قوله عز وجل ؟ (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ)

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فن ذلك قول أبي تمام حبيب
متبذل في القوم وهو مبجل * متواضع في الحى وهو معظم

وقال آخر

متواضع والنبل يحرس قدره * وأخو النباهة بالنباهة يتبذل

وقال البحرى

ذنوت تواضعا وعلوت مجدا * فشأنك انحذار وأرتفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسامى * ويدنو الضوء منها والشعاع

وقال أبو محمد التيمى

تواضع لما زاده الله رِفْعَةً * وكل رفيع قدره متواضع

وقال آخر

ذنوت تواضعا وعلوت قدرا * فبيك تواضع وعلو شان

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة

جاء في تفسير قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القناعة مال لا ينفد " . وقال عليه السلام :
 " مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ " . ومن كلام مل رضى الله عنه : كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن
 الخلق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس ، وعز القدرة طرح مؤونة
 الاستكثار والتعب لأهل الدنيا ، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان ، إما متقلل
 يريد أجر الآخرة ، أو كريم يتتره عن آثام الدنيا .

وقال الراضى : القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا ، والشير لا يعيش إلا تعباً
 نصباً في خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عز الزاهة أحب الى من فرح الفائدة ، والصبر على العسرة
 أحب الى من احتمال المنة . وقال أبو ذؤيب الهذلي
 والنفس رغبة إذا رغبها * وإذا تردد الى قليل تنقع

وقال سالم بن وامضة

غنى النفس ما يكفيك في سد فاقة * فإن زاد شيئا عاد ذاك الذى فقرا

وقال أبو هلال العسكري

ألا إن القناعة خير مال * لذى كرم يروح بغير مال

وإن يصبر فإن الصبر أولى * بمن عثرت به قُوبَ الليالى
تَجَمَّلُ إن بُليت بسوء حالٍ * فإن من التجميل حسن حالٍ .

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما يوجب
الزيادة .

وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : لا يُرْهِدَكَ فى المعروف من لا يشرك
عليه ، فقد يشرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر ،
أكثر مما أضاع الكافر ، (وَأَلَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ومما تعزیه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة لأنه يبقى وتلك تنفى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفكّه إلا المكافأة أو الشكر ، وقال : قلّة الشكر
تُرْهِدُ فى أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطّل لسانك بالشكر . وقيل : للشكر
ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر
أفادتكم التّعماء منى ثلاثة * يدي ولسانى والضمير المحجّب

وقال يحيى بن زياد الحارثى بن كعب

حلفت ربّ العيس تهوى برّكها * الى حرّم ما عنه للناس معيلُ
لما يبلغ الإنعام فى النفع غاية * على المرء إلا مبلغ الشكر أفضلُ
ولا بلغت أبدى المتيسلين بسطةً * من الطول إلا بسطة الشكر أطولُ

وَلَا ثَقُلَتْ فِي الْوِزْنِ أَعْبَاءُ مِنَّةٍ * عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا مِنََّةُ الشُّكْرِ أَهْلُ
لَمَنْ شَكَرَ الْمَعْرُوفَ يَوْمًا فَقَدْ اتَى * أَخَا الْعَرْفِ مَنْ حُسْنِ الْمَكَافَاةِ مَنْ عَلُ
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ ضَعْفَانَ

الشُّكْرَ أَفْضَلَ مَا حَاوَلْتَ مَلْتِمَسًا * بِهِ الزِّيَادَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
وَقَالَ أَبُو بَيْحَلَةَ

شَكَرْتُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ الثَّقَى * وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً بِغَضَى
وَنَبِهْتُ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا * وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرَانِ مِنْ بَعْضِ
وَقَالَ آتَمُ

مَا شَكَرْتُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي * أَبَادِي لَمْ تُنَمِّنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَقِي غَيْرَ مُحْجُوبِ الْبَنَى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرِ الشُّكْرِ إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا * فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ

كَمْ نِعْمَةٍ مِنْكَ تَسْرِبُلْتُهَا * كَأَنَّهَا طُورَةٌ بُرْدٍ قَشِيبِ
مَنْ اللَّوَاتِي إِنْ وَفَى شَاكِرٌ * قَامَتْ لِمُسْلِمِهَا مَقَامَ الْخَطِيبِ

وَقَالَ أَبُو عِيْنَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عُثْبَةَ الْمُهَلَّبِيُّ

يَا ذَا الْيَمِينِ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَنًّا * تَقَرَّى هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى مِنَ الْمَنِّ
وَلَسْتُ أَطْلِعُ مِنْ شُكْرِ أَحْيٍ بِهِ * إِلَّا أَسْتَطَاعَةَ ذِي جِحْمٍ وَذِي بَدْنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مِثْلَهُ * أَوْفَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
أَخْلَصْتُهَا لَكَ مِنْ قَلْبِي مُهْدَبَةً * حَذَّوْا عَلَى مِثْلِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

قالوا وأجود ما قيل في عِظَم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طَرْيَح

ابن إسماعيل

سِعْتُ أَبْنَاءَ الشكرِ فَمَا صَنَعْتَ لِي * فَفَقَرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ
لَأَمَّكَ تُولِيْسِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَافِرُ
فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بَالِي * لَمَّا أَوَّلُ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَأَخْرُ

وقال دَعِيل

هَجَرْتُكَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَّاتُ * وَلَا لِقَلِّ أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ
وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ رَاغِبًا * فَأَفْرَطْتُ فِي بَرٍّ تَحْزَنُ عَنْ الشَّكْرِ
فَلَأَنَّ لَا آتِيكَ إِلَّا تَعْدُّرًا * أَزْوَدَكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا وَفِي الشَّهْرِ

وقال البحرى

هَاتِكِ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فِي نَصَبٍ * مِنْ الْعَلَا وَالْعَلَا مِنْهُمْ فِي نَصَبٍ
أَبْتُ شَكْرِي فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ * أَقْصَرُ فَمَا لِي فِي جَدِّكَ مِنْ أَرْبٍ
لَا أَجْبُلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ * شَكْرِي وَلَوْ كَانَ يُسَدِّدُهُ إِلَى أَبِي
لَمَّا سَأَلْتُكَ وَأَقَانِي تَدَاكَ عَلَى * أَضْعَافِ شَكْرِي فَلَمْ أَظْفَرْ وَلَمْ أَخْبِ

وقال أيضا

إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذْ هَجَرْتُكَ وَخَشَنَةً * لَا السَّوَدُ يَنْهَعُهَا وَلَا الْإِبْدَاءُ
أَعْجَلَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ * مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْبِدُ الْبَيْضَاءُ
وَقَطَعْنِي بِالْجُودِ حَتَّى إِنِّي * مُتَحَوِّفٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ
صِلَةً غَدَتِ لِلنَّاسِ وَهِيَ [قَطِيعَةٌ] * عَجَبًا وَرِ رَاحَ وَهُوَ جَفَاءُ
لِيَوَاصِلَتِكَ رَكْبُ شَعِيرٍ سَائِرٍ * يَرْوِيهِ فَيْكَ لِحْسِنِهِ الْإِعْدَاءُ

حتى يَتِمَّ لك الثناءُ مَحَلًّا * أبدا كما تَمَّتْ لك النِّعَاءُ
فَتَظَلَّ تحسُّدُكُ الملوكُ الصَّيْدِي * وتَظَلَّ تحسُّدُني بك الشُّعْرَاءُ

وقال الحسن بن هاني

قد قُلْتُ للعباسِ معذِرًا * من عَظُم شُكْرِي ومَعْتَرَفًا
أنتَ أَمْرُو جَلَّتْني نِعْمًا * أو هَتَّ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
لا تُسَيِّدَنَّ إلَيَّ عَارِفَةٌ * حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِهَا سَلَفًا

وقال الحسين بن الضحَّاك اللواتي من أبيات

إذا كُنْتُ من جَدِّواك في كُلِّ نِعْمَةٍ * فلا كُنْتُ إن لم أَفِي عُمْرِي بِشُكْرِكَا

وقال البحرى

إذا أنا لم أَشْكُرْ لِنِعْمِكَ جَاهِدًا * فلا نَلْتُ نِعْمِي بِمَدْحِهَا تُوجِبُ الشُّكْرَا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إني لَشَاكِرُ أَمْسِي وولِيَّهُ * في يومه ومُؤَمِّلٌ عنه غَدَا

وقال آخر

وكيف أنساك ؟ لا تُنْياك واحدة * عندى ولا بالذى أوليت من قَدَمِ

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكل ، فقال لى : قد هممتُ أن نَصَلِّكَ ،

فتدافعتُ الأمور ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمةً ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهل

لأشْكركَ مصروفًا هممتَ به * إن أهتَمَّكَ بالمعروفِ المعروفِ

ولا ألومُكَ إن لم يُخَيِّضْ قَدْرُ * فالشيءُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ

وقال ابن الرومي

كم من يدٍ بيضاء قد أسديتها * تثنى إليك عَن كلِّ وِدَادٍ
شَكَرَ الإلهُ صنائعاً أوليتها * سَلَكْتَ مع الأرواح في الأجسادِ

وقال آخر

• وأحسنُ ما قالَ أمرؤُفِك مِنحة * تَلَقَّتْ عليها مِنَّةٌ وقَبُولُ
وشَكَرُ كانَ الشمسَ تَمَيُّ بنشره * ففى كلِّ أرضٍ مُخْبِرٌ ورسولُ

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعته اليها ، أو ثروة أفدته ليأها ، فإن شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحُشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكته ، وقت بين التَّف و بينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ يَتَمَيُّ إليه ، ومدى توقّف عليه ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فانت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كلَّ قدر ، وأنت من وراء كلِّ غاية ، وردت عنّا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، تلجأ منها الى ظلّ ظليل ، وكثيف كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغُ جهد المجهود .

وقال الشريف الرضى

١٥ ألبستنى نِعمًا على نعيم * ورفعت لى علما على عِلْمٍ
وعلوت بى حتى مشيتُ على * بسُط من الأعناق والقَمَمِ
فلاشكرنُ بديك ما شكرت * خُضِرُ الرِّياضِ مَصانِعِ الدِّيمِ
فالحمدُ يُبقي ذِكْر كلِّ قَيّ * ويُبينُ قَدْرَ مواجِعِ الكَرَمِ
والشكر مَهْرٌ للصّبيحة إن * طَلَبْتَ مُهُورَ عَفائِلِ النِّعمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي:

سا شكر نعماك التي أنبسطت بها * يدي ولساني فهو بالجد ينطق
وأعني بما أوليتني من صنعة * ومن منية تفدو على وتطرق
وكل أمرئ يرجو نذاك موفق * وكل أمرئ يئى عليك مصدق

وقال ابن رشيق القيرواني

خُذْ ثَنَاءَ عَلَيْكَ غِبُّ الْأَيْدَى * كَثَنَاءِ الرَّبِّ عَلَى الْأَمْطَارِ
سَقَطَ الشُّكْرُ وَهُوَ مُوجِبٌ نَعْمًا * لَكِ سُقُوطُ الْأَنْوَاءِ بِالْإِمْتَارِ

ومن المتعممين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، أبلغ منه بالنطق باللسان،
وعاقب على ذلك بالجرمان .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري يستعمله إلى العتيق قال: أراد جعفر بن يحيى حاجة
كان طريقه إليها على باب الأضمعي، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف دينار
وقال: إني سأزول في رجعتي إلى الأضمعي، ثم سجدتني ويضحكني، فإذا ضحكك،
فضم الكيس بين يديه، فلما رجع، ودخل إليه، رأى حبا مكسورا الرأس، وجرّة
مكسورة العتيق، وقصعة مشعبة، وجفنة أعشارا، وراه على مصل بال، وعليه برنكان^(١)
أجرد، فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأضمعي شيئا مما
يضحك التكلان والفضبان إلا أوردته عليه فلم يتيسم، ثم خرج، فقال لرجل يسايره:
من أسرع الذئب ظلم، ومن زرع السبحة حصد الفقر، إني والله لما علمت أن
هنا يكتم المعروف بالفعل، ما حفلت بنشره له باللسان، وأين يقع مدح اللسان

(١) الحب : الجرّة الضخمة . (٢) البرنكان على وزن زفران : ضرب من الأكبة .

من آثار الريان؟ إن اللسان قد يكذب، والحال لا تكذب، وقه در نصيب حيث يقول

فما جوا فانتوا بالذي أنت أهله • ولوسكوا اثنت عليك الحقايب

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زهير لآل سنان ؟

وقالت الحكماء : لسان الحال، أصدق من لسان الشكوى .

(٦٦)

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال

حالي تبوح بما أوليت من حسني • فكل ما تدعيه غير مردود

كلّ هجاء، وقتل لا يحلّ لكم • فما يداويكم مني سوى الجود

وقالوا : شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

رؤي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وعد المؤمن كأخذ باليد » .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الوعد مرض في الجود، والإنجاز دواءه .

ومن كلامه : المستول حُرّ حتى يعدّ، ومستترق بالوعد حتى يُجوز .

وقال الزهري : حقيق على من أزهى بالوعد، أن يُثمر بالفعل .

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سَهل حاجة، فقال : أشرّك

اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول : المواعيد

شبكة من شبك الكرام، يصيدون بها عمائد الأحرار، ولو كان المعطى لا يعد،

لأرغضت مغامر إنجاز الوعد، وقص فضل صدق المقال .

وقال الأبرش الكلبي لمشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلى معروف

حتى يئدني، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد ، إلا هان على قدره ، وقل مني

شكره، فقال له هشام : لئن قلت ذلك ، لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني :
النجحُ المعروف في القلوب ، وأبرده على الأبدان ، معروف منتظر من وعد لا يكدر
بالمطل .

وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجة إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تعطى ولا تمد ، فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفسح
به البصر ، وينشر فيه الأمل ، وتطيب بذكره النفس ، ويرتخي به العيش ، وترجع به
المدح بالوفاء .

قيل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عنده عني قضاءها ،
قال : وما يدعوك أعزك الله الى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول
من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إن لم تستدسها بوعده ينتظر به
تجسسها ، لم تتجاذب الأنفس بسرورها ، ولم تتلذذ بتأملها ، وإن الوعد تعلم ، والإنجاز
طعام ، وليس من فاجأه طعام ، كن وجد رائحته ، وتمطلق له وتطعمه ، ثم طعمه ،
فدع الحاجة تحتم بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع اليه حسن موقع ، ولطف محل .

وقال عيسى بن ماهان : إني أحب أن أحب بلا وعد ، وأحب أن أعده ، لأخرج
من جملة الخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثر عني كرم المنجزين ، فإن من
سبق فعله وعده ، ووصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال ذكر العباس المأمون فقال : إنه ألقح معروفه عندي بالوعد ، وتجه بالنجح ،
وأرضعه بالزيادة ، وشيئه بالتمهد ، وهرمه باستتمامه من جهاته ، وهناه بترك
الامتنان به .

وشكا رجلٌ جعفرَ بن يحيى لأبيه : أنه وعده وعدا ومطله به ، فوقع : يا بُنَيَّ ، أتم معاقل الأحرار ومظان المطالب ومعايد الشكوى ، فكونوا سواءً في الأثوال والأفصال ، فإن الحرَّ ، يذخر وعدَ الحرِّ ويستفدُه وينفقُه قبل ملكته ، فإن أخفق أمله ، كان سببا لذمه وأثامه وسوء ظنه ، حتى يوارى قُبْحُ ذلك حُسْنَ يقينه ، فأنجز الوعد ، وإلا فاقصِر القول ، فإنه أعذر والسلام .

قال : كَلَّمَ المأمون في الحسين بن الضحاك الخليج أن يردَّ عليه رزقه ، فقال : أليس هو القائل في الأمين

فلا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

فما زالوا يتلففون معه في القول ، إلى أن أذن له أن يُنشد ، فأنشد

- ١٠ أَرِنِي لِي فَاِنِي قَدْ ظَلِمْتُ إِلَى الْوَعْدِ * مَتَى تُجِيزُ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْمَهْدِ ؟
أَعَيْدُكَ مِنْ صَدِّ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى * تَقْطَعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
فَمَا لِي شَفِيعٌ عِنْدَ حَسَنِكَ غَيْرِهِ * وَلَا سَبَبٌ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالْوَدِّ
أَيَعْمَلُ فَرْدُ الْحُسَيْنِ فَرْدَ صِفَاتِهِ * عَلَيَّ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ يَهُوَى وَحْدِي
رَأَى اللَّهُ عَبْدَهُ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلَتَكُنْهُ وَاهِقُهُ أَعْلَمُ بِالْمَبْدِ

- ١٥ فقال له المأمون : هذه بتلك ، وقد عفونا عنك فقال : يا أمير المؤمنين ، فأنجب فؤك إحسانك ، فأمر بردَ أرزاقه عليه ، وكانت في كلِّ شهر تَحْسِيَانَةِ دِينَارٍ ، فقال المأمون : لولا أَنِّي نَوَيْتُ عَفْوَ عَنْهُ ، وَجَعَلْتُ ذَلِكَ وَعْدًا لَهُ مِنْ قَبْلِ ، مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّمَا ذَكَرُ الْوَعْدَ فِي تَشْبِيهِهِ يَذْكُرْنِيهِ .

وقال بعض ملوك العجم : البخل بعد الوعد ، يَضْمَعُ قَبْضَهُ عَلَى الْبَخْلِ قَبْلَهُ ،

فما قولك في أمرٍ ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه * وأنتَ أمرؤٌ لا تُخلفُ البهرَ موعداً
وعودتى أن لا تزالُ تُظِلُّني * يدُ منك قد قلمتَ من قبلها يداً
فلو أن مجداً أو ندَى أو فضيلة * نُحِلِّدُ شيتاً كنتَ أنتَ المخلِّداً

وقال بشر

وعد العكريمُ بحثُ نائله * كالغيثِ يسبقُ رعدُه مطره

وقال ابن الرومي

يَقْطَعِي البِدَاءَ عمداً الى البَدْءِ * لِ كَسْحِ الحَيَا بلا إِمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل : (مَنْ يَشْعُرْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهد كما يسأله عن عمره ، فيقول له : جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ، أو قمت به ظلماً ، أو أعنت به مكروباً ؟ » وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له » وقال : « الخلق عيال الله ، فأحبهم إليه ، أنفهم لبياله » .
وقال : « الشفيعُ جناحُ الطلب » .

وقيل : قصد ابن السكك الواعظ رجلاً في حاجةٍ لرجلٍ سألَه الشفاعةَ فيها ، فقال ابن السكك : إني أتيك في حاجةٍ ، وأن الطالب والمطلوبَ إليه عزيران إن قضيت الحاجة ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ، فأختر لنفسك عزَّ البذل ، على ذلِّ المنع ، وأختر لي عزَّ النجح ، على ذلِّ الردِّ ، فقضى حاجته .

قال أبو تمام

وإذا أمرؤ أسدى إليك صنيعة * من جاله فكأنها من ماله
وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون إليك بغيرك، يسألون معروفك،
ويشكرون غيرك، وأنا أتوسل إليك بك، ليكون شكري لك لا لغيرك .

قال بعض الشعراء

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعتي * فلا خير في ود يكون بشايع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعة من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح، كالحمدوني
في تذكرته، وغيره، فلذلك أضفته إليه، وجعلته من فصوله . قال الله عز وجل :
(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اعتذر إليه أخوه
المسلم، فلم يقبل، لم يرد على الحوض » .

وقال علي رضي الله عنه : أوتى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة . وقال :
العفو زكاة الظفر . وقال : إذا قدرت على عدوك، فاجعل عفوك عنه شكر
المقدرة عليه .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لا تعاجل الذنب بالعقوبة، وأجعل بينهما
للاعتذار طريقاً . وقال : أوسع ما يكون الكرم بالمغفرة، إذا ضاقت بالذنب المعذرة .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شفيح المذنب إقراره، وتوبة المجرم الاعتذار .
وقالوا ما أذنب من اعتذره ولا أسى من استغفر .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يا بني لا يعتذر اليك أحد من الناس ، كأننا من كان ، في أي جرم كان ، صادقا كان أو كاذبا ، إلا قبلت عذره ، فكفك بالاعتذار برأ من صديقك ، وذلا من عدوك .

قال بعض الشعراء

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا ترمذن عند التجاوز في الأجر

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الاعتذار ذلة ، ولا بد منه ، لأن الإصرار على الذنب ، فيما بينك وبين خالقك هلكة ، وفيما بينك وبين صديقك فُرقة ، وعند سائر الناس مثلبة وهجنة ، فليك به ، اذا وقعت الذنب ، وقارفت الجرم ، ولا تستنكف من خضوعك وتذلل فيهِ ، فربما استنير العزم من تحت الذلة ، وأجني الشرف من شجرة النذلة ، ورب محبوب في مكروه ، والمجدد شهيد يحتج من حنظل .

قال : وما خص به الاعتذار أن الحق لا يثبت لباطله ، والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتعميه ، وأن رده لا يسع مع الكذب اللائح في صفحاته . وقالوا : لا عذر في رد الاعتذار ، والمعتذر من الذنب ، كن لا ذنب له ، وهذه خصلة لا يشرك فيها غيره .

قال بعضهم : كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن توبة ، نسختها : قد فتحت للظلم بابك ، ورفعت عنه حجابك ، فانا أحاكم الأيام الى عدلك ، وأشكو صروفها الى فضلك ، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك ، وحسن ملكك ، فإنها تؤخرني اذا قدمت ، وتحرمني اذا قسمت ، فإن



أعطت أعطت يسيرا، وإن أرتجعت أرتجعت كثيرا، ولم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أعددت الانتصاف منها إلا إلى فضلك، ولى مع ذمام المسألة لك، وحق الظلام اليك، ذمام تأمليك، وقدم صديق في طاعتك، والذي يملأ من النصفة يدي، ويفرغ الحق على، حتى تكون لي حسنا، وأكون بك إلى الأيام مقربا، أن تخطني بخواص خدمك الذين قتلهم من حد الفراغ إلى الشغل، ومن الجمول إلى التباهة واللذكري، فإن رأيت أن تصدني قد استعديت اليك، وتصرني فقد عدت بك، وتوسع لي كنتك قد أويت إليه، وتسمني بإحسانك فقد عولت عليه، وتستعمل يدي ولساني فيما يصلحان له من خدمتك، قد درست كتب أسلافك وهم القدوة في اليان، واستضأت بأرائهم، وأتفتوت آثارهم أفتفاء جعلني بين وحتي الكلام وأنيسه، ووقفني منه على جادة متوسطة، يرجع إليها العلى، ويلحق بها المقصر التالى، فعل إن شاء الله . قال : فعل إن شاء الله ! قال : بفعل عبيد الله يرددها ويستحسنها؛ ثم قال : هذا أحق بديوان الرسائل .

ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلام أقربا بسببه متفاضين، فلما وصل محمد إلى منزله، كتب إلى الحسين رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا على، لا أفضلك فيه ولا تفضلني، وأتى امرأة من بنى حنيفة، وأتتك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ما وفين بأنتك، فإذا قرأت رعتي هذه فألبس رداك ونعليك وتعال لتتراضاني، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام . فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء إلى محمد وترضاه .

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذرا : قد تقدمت طاعتك ونصحتك ، فإن ثبت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين .

وقال شاعر

إرضَ للسائل الخضوعَ وللقا * رف ذنباَ مَنلةَ الاعتذارِ

قال أبو هلال العسكري : لم يُروَ عن أحد قبل النابغة الذبياني الاعتذار شعر ، فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخلُ الشكرُ إلى النعمان ، وزعم أنه غشى المنجردة حظية النعمان ، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال

وإذا لمست ، لمست أخمَ جاعما * متحيزا بمكانه ملءَ اليدِ

وإذا طعنت ، طعنت في مستهلف * رابى المجسة بالبير مقرمِدِ

وإذا تزعت ، تزعت من مستحيف * نزعَ الحزورَ بالرشاء المحصدِ

فقال المنخلُ للنعمان : هذا وصفٌ من ذاقها ، فوَقَر ذلك في نفس النعمان ، ثم وفد عليه رَهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قُرَيْع ، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها ، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة ، فعرفه بذلك عصام حاجب النعمان ، وهو الذي قيل فيه

* نفسُ عصامٍ سودتْ عَصاما *

فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ، ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم ، فحسد لهم عليه وأمنه وراسله في المصير إليه ، فأناه وجعل ينتد رما قذف به ومن مدحه لآل غسان فقال

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيسةً * وليس وراء الله للسر منهبُ

لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستيقى أcha لا تلمه * على شعث! أى الرجال المهذب؟
فإن أك مظلوما، فبعد ظلمته * وإن تك ذا عتبي، فتلك يعتب
يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبا، وفى كرمك ما يفعل ذلك، ولك
العنى والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعمان

أأنى أبيت اللعن ! أنك لمنى * وتلك التى تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناه * وذلك من تلقاء مثلك رائع
فبت كأتى ساورتى ضييلة * من الرقيش فى أنيابها السم نافع
لكففى ذنب امرئ وتركته * كذى العريوى غير وهو رائع

الى أن قال

فإن كنت لا ذوالضن عنى مكذب * ولا حلقى على البراءة نافع
ولا أنا مامون بشئ أقوله : وأنت بأمر لا محالة واقع
فإنك كالليل الذى هو مدرى * وإن خلت أن المتأى عنك واسع

وقال أيضا

أنبت أن أبا قابوس أوعدى * ولا قرار على زار من الأسد
مهلا، فداء لك الأروام كلهم، * وما أئمر من مال ومن ولد
لا تمذنى بركن لا كفاء به * وإن تألفك الأعداء بالرقد^(١)
ما قلت من سئ مما أنبت به * إذا فلا رفعت سوطى الى يدي
قال : نخل عليه النعمان خلع الرضى، وكثر حبرات خضرا مطرقة بالجوهر .

(١) أى لم يبرح تفريك .

قال العسكري : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحري ، فن
اعتناراته قوله في قصيدته التي أولها

* لوت بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها

(١٧١)

فدينك من أي خطب عري * ونائبه أوشكت أن تبوا
وإن كان رأيك قد حال في * وأوليتني بعد شر قطوبا
يربئني الشيء ثاني به * وأكبر قدرك أن أستريا
وأكره أن يتحدى على سبيل أغشترار فالقي شعوبا
أكتب نفسي بأن قد مخطت * وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولولم تكن ماخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا
أصبح ودّي في ساحتك طرفا ومرمى ^(١) محلا جديا
وما كان مخطك إلا القراق * أفاض السموع وأشجى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبالما كا * ن خالفتي الشك في أن أتوبا
صاصرحتي ألقى رضا * ك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح * وأنظر عطفك حتى يشوبا

وقوله

عذيري من الأيام رقت مشربي * ولقيتني نحسا من الطير أشاما
وأكسبتني مخط أمري بث موهنا * أرى مخطه ليلا مع الصبح مظاما
تبليج عن بعض الرضى ، وأنطوى على * بقية عتب شارفت أن تصرما
إذا قلت يوما : قد تجاوز حلتها * تلبث في أعقابها وتلوما
وأصيد إن نازعته الطرف رده * قليلا ، وإن راجعته القول جمعا

(١) اللق : الماء الذي غرضه الإبل ويؤلف فيه .

- ثناه العدا غنى، فأصبح مُعْرِضًا * ووهمه الواشون حتى توهموا
 وقد كان سهلا واهنا فتوَعَّرت * رباه، وطلقا ضاحكا فتهتما
 أمتخذُ عندى الإساءة عَسْنُ * ومتهم منى أمرؤ كل منما
 ومكتسبٌ فى الملامة ماجد * يرى الحمد غنًا والملامة مغرما
 يخوفنى من سوء رأيك معشر * ولا خوف إلا أن تجور وتظلما
 أعينك أن أخشاك من غير حادث * تَيَّنَ، أو جُرم إليك تهلما
 الست الموالى فيك نظم قصائد * هى الأنجم أقتادت مع الليل أنجما؟
 أعذ نظرافيا تسخطت، هل ترى * مقالا دينيًا أو فعلا مذمما؟
 وكان رجائى أن أووب مملكا * فصار رجائى أن أووب مسلما
 حياء فلم يذهب بى النى منها * بعيدا، ولم أركب من الأمر مُعْظَما
 ولم أعرف الذنب الذى سؤتى له * فاقفل نفسى حسرة وتسلما
 ولو كان ما خُبرته أو ظننته * لما كان غروا أن ألوم وتكرما
 أذكرك العهد الذى ليس سؤددا * تناسيه، والودَّ الصحيح المسلما
 وما حل الركان شرقا ومغربا * وأنجد فى أعلى البلاد وأتهما
 أقر بما لم أجنه متنصلا * اليك، على أنى إخالك ألوما
 لى الذنب معروفًا. فإن كنتُ جاهلا * به، فلك العتبى على وأنعما
 ومثلك، إن أبدى الفعل أعاده * وإن صنع المعروف زاد وعمما
 وقال سعيد بن حميد

- لم آت ذنبا، فإن زعمت بأن * أتيت ذنبا، فغير معتمد
 قد تطرّف الكف عین صاحبها * فلا يرى قطعها من الرشد

وقال آخر

وكنْتُ إذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرّةً * إلى بها في سالف الدهر تنظرُ؟

وقال آخر

اغضُرْ لِي لُحُوزَ فَضْلٍ لا * مفعو عني ولا يفوتك أجرِي
لا تَكُنْ لي إلى التوسّلِ بالعذ * ر لعلّ أن لا أقوم بعذري

وقال بعض فضلاء الأندلس

إني جنيتُ ولم يزلْ أهلُ النوى * يهبونُ للجنانين ما يحنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فتونها * فاجمع من الصّبح الجميل فتونه
من كان يرجو عفو مَنْ هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذي هو دونه

الباب الثاني

من القسم الثالث من الفن الثاني

في الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلاً

ما قيل في الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل في الحسد .

ما قيل في السعاية والبغى .

ما قيل في الغيبة والنميمة .

ما قيل في البخل واللؤم وأخبار البخلاء وأحجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة.

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في الغدر والخيانة .

ما قيل في الكبر والعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في العي والحصر .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

١٠

قال الله تعالى : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ أَلمَ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث

١٥

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغفلة^(١) قد برح الخفاء
مجوت عدا ، فأجبت عنه ، * وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوهُ ولست له بكفٍ * فتر كما لخبركم الفداء

(٨٠)

(١) يقال رسالة مغفلة : أى محمولة من يد إلى يد .

لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تذكره الدلاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي * لمرض عجد منكم وفاء

ويستحق الهجاء من أتصف بسوء الخصال، وأتسم بأخلاق الأرزال والأندال،
وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وطائه ودنائه، وسأذكر جماع ما أتصفوا به من
سوء الفعل، وأتسوا ببيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر، واعتقاد الغدر،
وغيبة الأحرار، وإساءة الحوار .

وسأل عبد الملك بن مروان المجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكا عليه وأبى أن
يخبره فأقسم عليه فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد اتحل الشر بمخافيره،
ومرق من جميع خلال الخير، وتأتق في ذم نفسه، وتجرّد في الدلالة على لؤم طبعه،
وأفرط في إقامة الحجّة على كفره، ونرج من الخلال الموجهة رضى ربه .

قال أبو تمام

تأنت بنميم الفعل طلعت * تأنت المقلة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة، من كن فيه فهو منافق،
من اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا عاهد غدر، واذا أؤتمن خان » .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرصد . وقالوا : اللئيم اذا أستغنى
بطر، واذا أقتصر قنط، واذا قال أخش، واذا سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن

أَسَدَى إِلَيْهِ صَنِيعٌ أَخْفَاهُ، وَإِنْ أَسْتَكْتَمَ سِرًّا أَفْشَاهُ، فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَعَدُوُّهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ^(١).

وَأَنَّ لِلشَّعْرَاءِ وَالْبُلْغَاءِ فِي النَّفَمِ وَالْمُجَاجَاةِ نَظْمًا وَشَرًّا سَنُورِدُ مِنْهُ طَرَفًا، وَنُشْرِحُ مَا يَجْعَلُ ضَوْءَ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدًّا^(٢).

- فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ يُوْسُفَ الْكَاتِبِ فِي بَنِي سَعِيدٍ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ قَتِيْبَةٍ : مُحَاسِنُهُمْ
- مَسَاوِي السُّفْلِ ، وَمَسَاوِيهِمْ فُضَائِحُ الْأُمَمِ ، وَالسُّنَنُومُ مَعْقُودَةٌ بِالْيَمَنِ ، وَأَيْدِيهِمْ مَعْقُودَةٌ
- بِالْبُخْلِ ، وَأَعْرَاضُهُمْ أَعْرَاضُ النَّفَمِ ؛ فَهَمَّ كَمَا قِيلَ
- لَا يَكْثُرُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُمْ • وَلَا تَبِيدُ غَزَائِهِمْ وَإِنْ بَادُوا
- وَذَمُّ أَعْرَابِيٍّ قَوْمًا قِيلَ

- هَمْ أَقْلُ النَّاسِ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ تَجَرُّؤًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ ، يَصُومُونَ
- عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيُفْطِرُونَ عَلَى الْقَضَاءِ •

وَذَمُّ أَعْرَابِيٍّ قَوْمًا قِيلَ : قَوْمٌ سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْمُجَاجَاةِ ، وَدُبِنَتْ جُلُودُهُمْ بِاللُّؤْمِ ،

فَلِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ •

- وَكَانَ عِيْسَى بْنُ فَرْخَانَ شَاهَ يَتَبِعُهُ عَلَى أَبِي الْعَيْنَاءِ حَالُ وَزَارَتِهِ ، فَلَمَّا صَرَفَ عَنِ
- الْوِزَارَةِ لَقِيَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي بَعْضِ السُّكُكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا خَفِيْفًا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ
- لِقَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُو مُوسَى ، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعَانُ بِلْتَهُ وَقَالَ : لَقَدْ
- كَانَتْ أَقْنَعُ بِإِيْمَانِكَ دُونَ بَنَاتِكَ ، وَبِلِحْظِكَ دُونَ لِحْظِكَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ
- حَالُكَ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَخْطَأْتُ فِيكَ النِّعْمَةَ ، لَقَدْ أَصَابَتْ فِيكَ النِّقْمَةُ ؛ وَلَمَّا كَانَتْ الدُّنْيَا
- أَبْدَتْ صَفَحَاتَهَا بِالْإِحْقَالِ عَلَيْكَ ، لَقَدْ أَظْهَرَتْ مُحَاسِنَهَا بِالْإِدْبَارِ عَنْكَ ، وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ

(١) الْفَرَرُ : الْخُرُوجُ لِلْهَلَاكِ • (٢) السَّدُّ : الْغَلَّةُ •

إذ أغنانا عن الكذب عليك، وزرعنا عن قول الزور فيك، وقد واثقه أسأت حمل
النعمة، وما شكرت حق المنعم؛ ثم أطلق يده من عثائه، ورجع الى مكانه فقيل له:
يا أبا عبد الله! لقد بالفت في السب، فما كان الذنب؟ قال: سألت في حاجة
أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: نزلت بذاك الوادى فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد،

إقبال حفظهم، إدبار حظ الكرام؛ ألم بهذا المعنى شاعر فقال

أرى حُللاً تُصَانُ على رجال * وأعراساً تُتَلَّ ولا تُصَانُ

يقولون الزمانُ به فسادُ * وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر،

لثيم التنجر، عظيم الكبر، كثير الفخر.

وذم أعرابي رجلاً فقال: هو عبد البدن، حر الثياب، عظيم الزواق، صغير

الأخلاق، الدهر يرفعه، ونفسه تَضَعُهُ.

وقال آخر: فلان غث في دينه، قدير في دنياه، رث في مروءته، سميج في هيئته،

متقطع الى نفسه، راض عن عقله، بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من

فضله، حلاف لجوِّج، إن سأل الحلف، وإن وعد أخلف، لا يَنْصِفُ الأصاغر،

ولا يعرف حق الأكابر.

وترجم الفتح بن عبد الله القيسى صاحبُ قلائد العقيان في كتابه عن أبي بكر بن

ماجة المعروف بابن الصائغ فقال: هو رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين، أشتهر

بمخفا وجنونا، وهجر مفروضا ومسئونا، فما يشرع، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا

- يُشْرِعُ ، فَاهِيكَ بِهِ مِنْ رَجُلٍ مَا تَطْهَرُ مِنْ جَنَابِهِ ، وَلَا أَظْهَرُ حَيْلَةً لِإِنَابِهِ ، وَلَا أَسْتَجِئِي مِنْ حَدَثٍ ، وَلَا أَتَحْيِي فُؤَادَهُ مُوَارَى فِي جَلَّتْ ، وَلَا أَقْرِبُ بَارِئَهُ وَمُصَوَّرَهُ ، وَلَا فَرْعُنْ تَبَارِيهِ فِي مِيدَانِ تَهْوَرِهِ ، الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِ أَجْدَى مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَالْبَهِيمَةُ أَهْدَى عِنْدَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، نَظَرُ فِي تِلْكَ التَّعَالِيمِ ، وَفَكَّرُ فِي أَجْرَامِ الْأَفْلاكِ وَحُدُودِ الْأَقَالِيمِ ، وَرَفَضَ كِتَابَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ ، وَنَبَذَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، ثَانِي عَطْفِهِ ، وَأَرَادَ إِبْطَالُ مَا لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ٥
- مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْهَيْئَةِ ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيْئَةٌ ، وَحَكَمَ لِلْكَوَاكِبِ بِالتَّدِيرِ ، وَاجْتَرَمَ عَلَى اللَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ، وَاجْتَرَأَ عِنْدَ سَمَاعِ النَّهْيِ وَالْإِبْعَادِ ، وَاسْتَهْزَأَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ الْأَدَى قَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ) فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الزَّمَانَ دَوْرٌ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ نَبَاتٌ لَهُ نَوْرٌ ، حِمَامَةٌ تَمَامُهُ ، وَاخْتِلَافُهُ فِطَامُهُ ، قَدْ حُجِيَ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِ فَالْهَ فِيهِ رَسْمٌ ، وَلَيْسِيَ الرَّحْمَنَ لِسَانُهُ فَمَا يَمُزِلُهُ عَلَيْهِ ١٠
- أَسْمٌ ، وَأَتَمَّتْ نَفْسُهُ لِلصَّلَالِ وَأَنْتَسَبَتْ ، وَتَفَتْ يَوْمًا تُجْزَى فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، قَصَرَ عَمْرَهُ عَلَى طَرَبٍ وَطُوبَى ، وَاسْتَشْمَرَ كُلَّ كَبْرٍ وَزَهْوٍ ، وَهُوَ يَمَكِّفُ عَلَى سَمَاعِ التَّلَاحِينِ ، وَيَقِفُ عَلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ، يَعْلَنُ بِذَلِكَ الْأَعْتِقَادَ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ قَادِمًا إِلَى اللَّهِ فِي أَمْلَسِ مَقَادٍ ، مَعَ مَنَشَلٍ وَخِيمٍ ، وَلَوْ لِمِ أَصْلٍ وَخِيمٍ ، وَصُورَةٍ شَوْهَهَا اللَّهُ وَقَبَحَهَا ، وَطَلْعَةٍ لَوْ رَأَاهَا كَلْبٌ لَنَجَحَهَا ، وَقَذَارَةٍ يُؤْذِي الْبِلَادَ نَفْسَهَا ، وَوَضَارَةٍ يَحْكِي الْحَدَادَ دَنْسَهَا ١٥
- وَفَنَدٍ لَا يَعْمُرُ إِلَّا كَفْهَهُ ، وَلَدَدٍ لَا يُقَوِّمُ إِلَّا الصَّفَادُ جَنَفَهُ .

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد فإني لا أعرف للعروف طريقاً أوعر من طريقه إليك ، لأنه يحصل منك بين حسب دنيء ، ولسان يذئء ، وجهل قد ملك عليك طباعك ، فالعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايتك في المعروف أن تُخَوِّرَهُ ، وَفِي وَلِيَّهِ أَنْ تُكْفِّرَهُ .



ومما قيل في الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أجهى بيت قاله العرب

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلَفْتَ وَلَا كِلَابًا

وَلَوْ وُضِعَتْ قِقْلُحُ بَنَى مُنْمِرٍ * عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابًا

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعرٌ ودُّوا أنهم آقَدُوا منه بأموالهم ، وشعرٌ لم يسرهم به حُرَّ النعم فقال أسماء بن خارجة : نحن يا أمير المؤمنين ! قال : وما قيل فيكم : قال : قول الحارث بن ظالم وما قومي بشعبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوافقه يا أمير المؤمنين ! إني لَأَلْبَسُ الْعِمَامَةَ الصَّفِيقَةَ فَيُخِيلُ إِلَى أَنْ شَعْرُ قَفَايَ قَدْ بَدَا مِنْهَا ، وقول قيس بن الخطيم

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سِرْنَا * مَسِيرَ حُذَيْفَةَ الْخَبَرِ بْنِ بَدْرِ

فما يسرنا أن لنا بها أُوَيْهَ حُرَّ النعم ، فقال هاني بن قبيصة النُمَيْرِيّ : أولئك نحن يا أمير المؤمنين ! قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير

* فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ *

والله لوددنا أننا آقَدُناهُ بأَمْلَانَا ، وقول زياد الأعجم

لِعَمْرُكَ مَا رِمَاحُ بَنَى مُنْمِرٍ * بِطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ

فوافقه ما يسرنا به حُرَّ النعم

قال العسكريّ وذكر أن جريرا لما قال

وَالْتَلَيْتُ إِذَا تَحَنَّنَ الْقِرَى * حَكَ أَسْنَتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَ

قال : قلت فيهم بيتا لو طُمنَ أحلهم في أمته لم يحكمها ! وقالوا : مرت امرأة
بني مُبَيْر فتنازوا إليها فقالت : يا بني مُبَيْر ! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر ،
يقول الله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَنْبَارِهِمْ) ويقول الشاعر
* فَضَّضَ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ مُبَيْرِ *

نفجوا ، وكان التَّمِيرُ إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من مُبَيْر ، فصار يقول :
من بني عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إنَّ أحمى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو

ولو تُرْمَى بِلُؤْمٍ بَنَى كُلَيْبٍ * نُجُومُ اللَّيْلِ مَا وَصَحَتْ لِسَارِي

ولو يُرْمَى بِلُؤْمِهِمْ نَهَارٌ * لَدُنَّ لُؤْمِهِمْ وَصَحَّ النَّهَارُ

وما يَنْقُدُو عَزِيزُ بَنَى كُلَيْبٍ * لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا يَحَارُ

ومثله قول الآخر

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ تَرَى بِلُؤْمَهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أحمى بيت قالته العرب قول الأعشى

يَتَّبِعُونَ فِي الْمَشَا مِلَاءَ بَطُونِكُمْ * وَجَارَاتِكُمْ غَرَقَى يَتَّقْنَ تَحَايَا

وهذا البيت من أبيات ولها سبب نذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا
عن مكانه وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعقمة بن علاثة تنازعا الزمامة
فقال عامر : أنا أفضل منك ! وهى لعمري ولم يمت ، وعمه عامر بن مالك بن جعفر
ابن كلاب وكان قد أُمِر وسقط ، وقال عقمة : أنا أفضل منك ! أنا عفيف ، وأنت

عامر، وأنا وفي وأنت غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى الى ربيعة، فنداعيا الى
 هَريم بن قُطنة؛ ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من الإبل، مائة
 يُطعمها مَنْ تبعه، ومائة يُعطِيا لها كَم، ومائة تُعقر إنا حكم؛ فأبى هَريم بن قُطنة
 أن يحكم بينهما غافة الشر وأبى أن يرتحلا؛ فخلا هَريم بملقمة وقال له: أترجو أن
 ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مُضر؛ أندى الناس كفاً، وأغصهم لقاءً،
 لستانُ ربح عامر أذكر في العرب من الأخوص، وعمه ملاعب الأسنة، وأمه كيشة
 بنتُ عروة الرّحال، وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضّحايا، وأمك من
 النّخع، وكانت أمه مهيبة، وأمّ علانة أخينة من النّخع، ثم خلا بعامر فقال له:
 أعلى علقة تفخر؟ أنت تساونه؛ أعلى بن عوف بن الأخوص؛ أعف بن عامر وأبنيهم
 نقيبة، وأحلمهم وأسودهم وأنت أعور عاقر مشنوم! أما كان لك رأى يزك عن هذا!
 أكنّت نظن أن أحدا من العرب يُنفرك عليه؟ فلما آجتمما وحضر الناس للقضاء
 قال: أتيا كركيتي الجبل قراجما راضيعين.

٥

١٠

قال المسكوى: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ولو قال: أنما
 كركيتي الجبل لقال كل واحد منهما: أنا اليمنى، فكان الشرّ حاضرا؛ قال وسأله عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه بذلك بحين: لمن كنت حاكما لو حكمت؟ فقال: أغضى
 يا أمير المؤمنين! فلو قتلها لمادت جدعة. فقال عمر: صدقت! مثلك فليحكم.

١٥

قال فارتحلوا عن هَريم لما أعيامهم نحو عكاظ فلقبهم الأعشى منعذرا من اليمن،
 وكان لما أرادها قال لملقمة: أعقد لى حبلا فقال: أعقد لك من بنى عامر! قال:
 لا يغنى عني قال: فمن قيس! قال: لا، قال: فما أنا بزائدك، فأتى عامر بن الطفيل
 فاجاره من أهل السماء والأرض فقيل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات

٢٠

وَدَيْتُهُ ، فقال الأعشى لعامر : أظهر أنك حَكَمْتَنِي فَعَمَلٌ ؛ فقام الأعشى ورفع عَقِيرَتَهُ (أي صوته) في الناس فقال

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ * أبلج مثل القَمَرِ الزاهِرِ
لا يأخذ الرِّشْوَةَ في حُكْمِهِ * ولا يسألُ خُسْرَ الخاسِرِ
• طقم لالستَ إلى عامر السَّنَاقِضِ الأوتارِ والواتِرِ
واللائسِ الخليلِ بجيلِ إذا * نارُ عَجَاجُ الكَبَةِ النَّازِرِ
إن تسد الحوصَ فلم تصُدِّهم * وعامِرٌ سادَ بَنِي عَامِرِ
ساد وألْقَى رَهْطَهُ سادَةً * وكأبراً سادوك عن كَأْبِرِ

قال وشذ القوم في أعراض الإبل المائة فعقروها وقالوا: فَرَّ عامر، وذهبت بها

- ١٠ الفوغاء، وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك - فجعل يَهْدِدُ الأعشى فقال
أتاني وعيد الحوص من آل عامر * فإعبد عمرو لو نهيت الأحوصاً
وما ذنبنا إن جاش بحر ابن عَمِّكم * وبحرك ساج لا يوارى الدَّعَامِصَا
كلا أبويكم كان قرعاً دَعَامِيه * ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصاً
تبيتون في المشتا ملاءً بطونكم * وجاراتكم غَرَقَ يَتَنَ نَحَامِصَا
١٥ يراقبن من جوع خِلَالِ مخافة نجوم العِشَاء العائمات القوامِصَا
رمى بك في أنحرهم تركك النَّدَى * ومفضل أقواما عليك مراهِصَا
فعض حديد الأرض إن كنت ساخطاً * بفك وأحجار الكلاب الرواهِصَا

قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكائه زيادة عليه في العار، والعرب

تعبّر بالبكاء؛ قال مهلهل

- ٢٠ يُبْكِي علينا ولا نبكي على أحد : ونحن أغلظُ أجبكدا من الإبل

وقال جرير

بكي دَوْبُلٌ لَا يُرْقُ اللهُ دَمْعَهُ * أَلَا إِنَّمَا يَكِي مِنَ الذَّلِّ دَوْبُلٌ

قال عبد الملك بن مروان لأمية : مالك وللشاعر إذ يقول

إِذَا هَتَفَ الْعَصْفُورُ طَارَ فَوَادُهُ * وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

فقال : أصابه حد من حدود الله فأفنته عليه قال : فهلا درأته عنه بالشُّبُهَاتِ ؟

قال : كان أهون عليّ من أن أعطلّ حدا من حدود الله فقال : يا بني أمية ! أحسابكم

أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا للفصحاء فإن للشعر مواسم لا يزيدنها الليل والنهار

إِلَّا جِدَّةً ، والله ما يسترني أني هجيتُ بيت الأعشى حيث يقول : تَبْتَغُونَ فِي الْمَشَاخِلِ

وَلِي الدُّنْيَا بِحُذَائِهَا وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا كَانَ قَدْ أَخَذَ عَوْضًا لِقَوْلِ

أَبْنِ حُرثَانَ

عَلَى مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَمْتَرِيهِمْ * وَعِنْدَ الْمُقْلَيْنِ السَّاحَةُ وَالْبَدْلُ

وهذا البيت لزهير .

وقالوا أهي بيت قالته العرب قول الخطيئة في الزُّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبُّغِيهَا * وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَامِي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الخطيئة في البخلاء . وقيل : أنفق جماعة

من الشعراء على أن أهي بيت قالته العرب ، قول الفرزدق في جرير

أَنْتُمْ قَرَارُهُ كُلُّ مَعْدَنٍ سَوَاءٌ * وَلِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسِيلُ قَرَارٌ

أخذه أبو تمام فقال

وَكُنْتُ زَفْرَةً ثُمَّ أَطْمَأَنْتُ * كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارٌ

(٨٣)

وقالوا أهى بيت قاله العرب قول الأخطل لحرير

ما زال فينا رباط التحيل مُعَلِّمة * وفي كليب رباط اللؤم والعار

فوم إذا استنبح الأضياف كَلْبَهُم * قالوا لأهمهم : بُولَى على النار

قالت بنو تميم : ما هيئا بنىء ، هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن

وجوها شتى من اللثم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أتهم خادمهم ، يأمرونها

بكشف فرجها ، وجعلهم يحلقون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قتها

تطفى ببولة ، وأغرى بينهم وبين المحوس ، لتعظيم المحوس للنار ، وإهانتهم لها إلى

غير ذلك .

وقالوا أهى بيت قاله العرب قول الطرماح

١٠ تميمٌ يَطْرُقُ اللؤمُ أهْدَى من القطأ - ولو سلكت طُرُقَ المكارم ضَلَّتْ

وقيل أهى بيت قاله العرب قول الأعرابي

اللؤمُ أكرمُ من وَبَرٍ ووالديه - واللؤمُ أكرمُ من وَبَرٍ وما وَلَدْنَا

قوم إذا ما جَنَى جانبهمُ أُنِينُوا - من لؤم أحسابهم أن يُقْتَلُوا قَوْدًا

وقال مسلم بن الوليد يهجو دِعْبِلَ الخُزَاعِي

١٥ أما الهِجَاءُ فَنَقْ عِرْضُكَ دُونَهُ * والمَدْحُ عَنكَ كَمَا عَلِمْتَ جَبِيلُ

فانْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقَ عِرْضِكَ إِنَّهُ * عِرْضُ عِرْزَتِ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دعبيل ما هو فيه

من الحظوة عنده ، فصار إلى مَرَوء وكتب الى الفضل بن سهل

لا تَصْبَأَنَّ بَابَنَ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ - يَمِيكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ يَمَلَالٍ

٢٠ إِنْ الْمُلُولُ إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُهُ - كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَفَىءَ ظِلَالٍ

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دجبل وهو غلام أمرد يُفسق به ؟ فقال : لا، قال : كان يُلقَّب بِمَيَّاس، وكتب إليه مَيَّاسُ قُلُوبِي : أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى ؟ لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء النح، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال
فكُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَقُلْ مَا شِئْتَ * وَأَبْرِقْ بَيْنَا وَأَرِضْ شِمَالَا
نَجَا بَكَ لَوْمُكَ مَنَجَا الدُّبَابِ * حَتَّى مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا

وأنشد الجاحظ

وَوَقِفْتُ أَنْتَ لَا تُسَبُّ * حَمَاكَ لَوْمُكَ أَنْ تُتَالَا

وقال الآخر

بِنَلَّةٍ وَالِدِيكَ كَيْبَتَ عِزًّا * وَبِالْوَمِ اجْتَرَأَتْ عَلَى الْجَوَابِ

وقال آخر

دَنَاءَةُ عِرْضِكَ حِصْنٌ مَنِيعٌ * يَفِيكَ إِذَا سَاءَ مِنْكَ الصَّنِيعُ
قَلِيلٌ لِمَدُّكَ مَا تَشْتَهَى * فَانْتَ الْمَنِيعُ الرَّفِيعُ الْوَضِيعُ

وقال أبو نُوَاسٍ

مَا كَلَفَ لَوْ لَمْ أَهْجُهُ غَالِبٌ * قَامَ لَهُ هَجْوِي مَقَامَ الشَّرَفِ
يَقُولُ : قَدْ أَسْرَفَ فِي هَجْوِنَا * وَإِنَّمَا سَادَ بِذَاكَ السَّرَفُ
غَالِبٌ، لَا تَسْعَ لِنَهْيِ الْعَلَا، * بَلَغْتَ مَجْدًا بِهَجَائِي، فَقِفْ
قَدْ كُنْتَ مَجْهُولًا وَلَكِنِّي * تَوَهَّتُ بِالْمَجْهُولِ حَتَّى عُرِفَ

وقال أبو هلال العسكري

أهنتُ بجاني يابنُ عُروّة، فانتقى * على ملام الناس في البعد والقريب
وقالوا : أتتهجو مثله في سقوطه؟ * ققلت لهم : جربتُ سبني في كلب

وقال ابن لنتك

وعصية لما توسّطهم * صارت على الأرض كالظلم
كانهم من سوء أفهامهم * لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إبليس سرورا بهم - لأنهم عارٌّ على آدم

وقالوا أهي بيت قاله محنت قول الآخر

فَبَحَّتْ مَنَاطِرُهُمْ، فحين خبرتهم، . حُصِنَتْ مَنَاطِرُهُمْ لِقَبْحِ الْخَبِيرِ

وقال العسكري : ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأَوَّلِ

إن يفجّروا أو يفدروا * أو يخلّوا لم يخلّوا
وغدوا عليك مُرَجِّلِينَ كأنهم لم يفعلوا!

ومن البليغ قول حسان

أبناء حار، فربّ تلقى لهم شبا * إلا التّبوسَ على أكتافها الشّعْرُ
إن نافروا نُفِرُوا، أو كانوا كُثِرُوا، * أو قامروا الرّيحَ عن أحسابهم فُورُوا
كأن ريحهم في الناس إن نرجوا * ريحُ الكلاب إذا ما مسّها المطرُ

وقال أيضا

أبوك أبو سوء وخالك مثله * ولست بخير من أبيك وخالك
وإن أحقّ الناس أن لا تلوّمه * على اللّوم من أباة كذلكا

وقال الآخر

سلي الله ذا المن من فضله * ولا تسألن أبا وائله
فما سأل الله عبداً له * نخباب ولو كان من باهله

وقال آخر

ولو قيل للكلب : يا باهلي * لأعول من فوج هذا النسب !

وقال زياد : ما هجيت بيت قط أشد على من قول الشاعر

فكرت ففى ذاك إن فكرت معتبر . هل نلت مكرمة إلا بتامير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن أبنا من قريش فى الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس

ولما رأيتك لا فاسقا . ثهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقى . وليس صديقك بالحامد
أتيت بك السوق سوق الهوان . فناديت : هل فىك من زائد ؟
على رجل غادر بالصدى . كفور لنعمائه جاحد
فما جاءنى رجل واحد . يزيد على درهم واحد
سوى رجل حان منه الشقاء . وحلت به دعوة الوالد
فبعثك مه ملا شاهد . مخافة ردك بالشاهد
وأبت الى منزلى سالما . وحل البلاء على الناقد

وقال الصكرى

إن كنت شكلك غير متفقى . فكذا خلاك غير مؤتمن
صورت من نطف قد اختلفت . فأت خلاك وهى مختلفة

من عصية شئ إذا اجتمعوا * شبهت داركم بهم عرفة
فورثت من ذا قُبْحَ مَنْظَرِهِ * وورثت ذاك خناه أو صلفه

(٨٩)

وقال الحسن بن مطران شاعر البتيمة

كم غصتُ في مدحك فكرا على * در نفيس غير مثقوب
ولم ينض رأيت يوما على * برى، ولا رأى لمكذوب
إن كان موعودك في الجود لى * أكذب من موعود عُرقوب
فإن أخبارك في مدحتي * أكذب من ذنب ابن يعقوب

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة

بليت بقوم ما لم في العلاء يد * ولا قدم تسي لبذل الصنائع
إذا فطرت عيني اليهم تجسست * برؤيتهم طهرتها بالمدايع

وقال المتنبي

إن أوحشتك المطالي * فإنها دار غربة
أو آتستك المخازي * فإنها بك أشبه

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن المجاج

ولقد عهدتك تشهى * قربي، وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا * مثل القسا بعد البخور
يا خربة العدس الصحاح النّيء والخبز الطعير
في جوف منحل الطيئة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرج سرمه * شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد الشا * بالبيض واللبن الكثير

وفطائر عَجْنَتْ بِلا السِّلجِ الحَرِيشِ ولا الخَمِيرِ
 يَا تَنَ رَائِحَةِ الطَّيِّبِ إِذَا تَغَيَّرَ فِي الْقُدُورِ
 يَا عُشَّ بَيْضِ الْقَمَلِ فَتَرَّخَ فِي السَّوَالِفِ وَالشُّعُورِ
 يَا بَوْلَ صَبِيَانِ الْفِطَا * يَا حَرَامَ فِي الْمَجُورِ
 يَا بَعْضَ تَدَخِينِ الْحَنَّا * فِي الصُّومِ مِنْ تُنَمِّ السُّحُورِ
 يَا حَرَّ قَوْلَجِ الْبَطْوِ * نِ، وَبَرْدَ أَعْصَابِ الظُّهُورِ
 يَا ذِلَّةَ الْمَظْلُومِ أَصْبَحَ وَهُوَ مَعْدُومُ النَّصِيرِ
 يَا سَوْءَ عَاقِبَةِ التَّفَقُّدِ عِنْدَ تَشْبِيهِ الْأُمُورِ
 يَا كَلَّ نَوَى مُتَعَبٍ * مُتَعَقِّدٍ صَعْبٍ عَسِيرِ
 يَا حَيَازَةَ الشَّيْخِ الْأَصَمِّ، وَحَسْرَةَ الْحَنَثِ الضَّرِيرِ
 يَا قَعْدَةَ فِي دِجَلَةٍ * وَالرَّيْحُ تَلْمُبُ بِالْجُورِ
 يَا قَرَحَةَ السَّلِّ الَّتِي * هَتَّتْ شِرَاسِيفَ الصُّدُورِ
 يَا أَرْبَاءَ لَا تَدُو * رَبِّهِ عَحَافَاتُ الشُّهُورِ
 يَا هَذَّةَ الْحِطَّانِ تُثَقِّضُ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمُرُورِ
 يَا قَرَحَةَ فِي نَاطِرٍ * غَلْظُوا عَلَيْهَا بِالذَّرُورِ
 فَتَسَلَخَتْ مَعَ مَا يَلِيْثُهَا فِي الْجَفُونِ مِنَ الْبُثُورِ
 يَا خِيَةَ الْأَمَلِ الَّذِي * أَمْسَى يُعْلَلُ بِالْفُرُورِ
 يَا ظُلْمَةَ الْمُتَخَذِرَا * تِ وَرَاءَ أَبْوَابِ الْقُصُورِ
 يَا وَحْشَةَ الْمَوْتِ إِذَا * صَارُوا إِلَى ظُلَمِ الْقُبُورِ
 يَا مَجْرَةَ الْمَحْمُومِ بِالشُّذُوبَاتِ مِنْ مَاءِ الشَّعِيرِ

٥

١٠

١٥

٢٠

يا شؤم إقبال الشتاء * يا أضر بالشيخ الفقير
يا دولة الحسن التي * خُصِفَتْ بِأَيَّامِ السُّرُورِ .
يا صِبْغَةَ الضَّجْرِ المَصْنُوعِ بالتنازع والشُّرُورِ
يا عِثْرَةَ القلم المرشَّش بين أنباء السُّطُورِ
يا لَيْلَةَ العُرْيَانِ غِبْ عِشِيَّةَ اليَوْمِ المَطِيرِ
يا نَوْمَةً في نَمَسٍ آ * بَ عَلَى التُّرابِ بلا حَصِيرِ
يا بَغَاةَ المَكْرُوهِ في السُّبُومِ العَبُوسِ القَمَطِيرِ
يا نَهْمَةَ الكَلْبِ الرَضِيعِ ونَكْهَةَ اللَّيْلِ المَحْصُورِ
يا عِيشَ عَانٍ مَوْثِقٍ في القَيْدِ مَغْلُولِ أُسِيرِ
يا حِلَّةَ الرِّمْدِ الذي . لا يَسْتَفِيقُ مِنَ القُطُورِ
يا عِيشَةَ الكَلَّاسِ مِنْ . شَمِّ الذَّرَائِرِ والعَبِيرِ
يا حَيْرَةَ العُطْشَانِ وَقَسَتْ الظُّهْرَ في وَسْطِ المَبِيرِ
مَنْ لِي بِأَنْ تَلْقَاكَ خَيْثُ لُ بَنِي كَلَابِ بلا خَفِيرِ
وَأَرَى بَعْنَى لَحْمِكَ المَطْبُوشُوعَ في حَزَرِ المَجِيرِ
في الأَرْضِ ما يَنْبَغِي البَا * عِ وَفِي السَّمَاءِ بَيْنَ النُّسُورِ

وقال المتنبي

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ * تَحْتَ المَلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجِمُ
وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَقَرُّ كَأَنَّهَا . مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حَصِيرُ
وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا . وَيَكُونُ أَكْثَبَ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ

وَإِذَا أَشَارَ مَكَلًّا فَكَانَهُ * قِرْدٌ يُقَهِّهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلِيْمٌ
يَقُلُّ مُفَارَقَةً الْأَكْفَ قَدَالُهُ * حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَمُّ



وَمَا يَذَمُّ بِهِ الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلاً، فَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ

وَهَيْلُ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِ الْمَوْتِ * تَوْمَنُ زَقَرَةُ الْعَذَابِ الْإِلَهِي
لَوْ عَصَتْ رَبُّهَا الْجَحِيمُ لَمَّا كَانَتْ * نَبِيَّ سِوَاهُ عَقُوبَةٍ لِلْجَحِيمِ

وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَشَّارٍ

وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ وَتَدَّ فِي الْأَرْضِ * ضَرْبُ ثَقِيلٍ أَرَبِيٍّ عَلَى نَهْلَانِ
كَيْفَ لَمْ تَحْمِلِ الْأَمَانَةَ أَرْضُ * حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ



وَمَا جِئِي بِهِ أَهْلُ الْوَقْتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ * مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي هِلَالٍ

السَّكْرِيُّ

كَمْ حَاجَةٌ أَنْزَلْتُهَا * بِكَرِيمٍ قَوْمٍ أَوْ لَيْسَ
فَإِذَا الْكَرِيمُ مِنَ اللَّيْسِ أَوْ اللَّيْسُ مِنَ الْكَرِيمِ
سَبْحَانَ رَبِّ قَادِرٍ * قَدَّ الْبَرِيَّةَ مِنْ أَدِيمِ
فَشَرِّفُهُمْ وَوَضِعُهُمْ * سَيَانٌ فِي سَفَةٍ وَلَوْ مِ
قَدْ قَلَّ خَيْرٌ غَنِيَّتِهِمْ * فَفِيهِمْ مِثْلُ الْعَدِيمِ
وَإِذَا أَخْبَرْتَ حَيْدَهُمْ * أَلَيْتَهُ مِثْلَ الْبَيْمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ، فن ذلك قول
أبي عينة لهجوا خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه

أبوك لا غيتُ نعيشُ بفضلِهِ * وأنتَ جرّادٌ ليس يُسقى ولا يذَرُّ
له أثرٌ في المكُرماتِ يَسُرُّنا * وأنتَ تُسقى دائباً ذلك الأثرُ
لقد قُتعتُ حِطْلانُ حزياً بخالدٍ * فهل لك فيه يُحْزَنُ اللهُ يامُضِرُّ؟

وله في قبيصة بن رُوح ، يُفضّل عليه ابن عمّه داود بن يزيد بن حاتم
أَقِيصُ لستَ وإنْ جَهدتَ ببالِغٍ * سَعَى ابْنِ عَمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدِ
شَتَانِ يَبْنُوكَ يَأْقِيصُ وَبَيْنَهُ * إِنِ الْمُدَّمَّ لَيْسَ كَالْحَمُودِ
دَاوُدٌ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُدَّمٌ * عَجَبًا لَذَاكَ وَأَتَمًّا مِنْ عُدُودِ
وَلَرُبَّ عُدُوٍّ قَدْ يُسْقَى لِمَسْجِدٍ * نَصَفًا وَسَائِرُهُ لَحْشٌ يَهُودِي

وقال حسان في أبي سُفيان بن الحارث

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ * وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
فَلَا تَعْبِجَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهَا * فَمَا حَبَّتْ مِنْ فَضِيَّةٍ بِعَجِيبِ

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذم به الرجل ، أن يكون حسودا ، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه
الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد
قال ابن السكيت

أنزل الله تعالى سورة جعلها عِوْدَةً خَلَقَهُ مِنْ صُنُوفِ الشَّرِّ ، فلما آتتهى الى الحسد ، جعله خاتماً إذ لم يكن بعده في الشر نهاية ، والحسد أول ذنب عُصِيَ الله تعالى به في السماء ، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض ، أما في السماء ، حسد إبليس لآدم ، وأما في الأرض ، حسد قابيل لهابيل ، وذهب بعض أهل التفسير في قوله عز وجل إِنْخِبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ (رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنْ آيُنَا وَالْإِنْسَ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِيَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أن المراد بإبليس إبليس ، وبالإنس قابيل ، وذلك أن إبليس أول من سَنَّ الكفر ، وقابيل أول من سَنَّ القتل ، وأصل ذلك كله الحسد .

وقال عبد الله بن مسعود : لَا تُعَادُوا نِعْمَ الله ، فقليل له : ومن يُعَادِي نِعْمَ الله ؟ قال : الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، يقول الله تعالى في بعض الكتب : الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي ، مَسِيخٌ لِقَضَائِي ، غيرُ راضٍ بِمَسْمُوعِي .

وقالت الحكماء : إذا أراد الله ، أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى عَبْدٍ عَدُوًّا لَا يَرْجُوهُ ، سَلَّطَ عَلَيْهِ حَاسِدًا .

وكان يقال في الساء على الرجل : طلبك من لا يَقْصِرُونَ الظَّفر ، وحسدك من لَا يَنَامُ دُونَ الشَّقَاءِ .

وقالوا : ما ظنك بعداوة الحاسد ، وهو يرى زوالَ نعمتك نعمةً عليه ؟

قال أبو الطيب المتنبي

سوى وجع الحساد داءٌ فإنه * إذا حَلَّ في قلبٍ فليس يحولُ
ولا تطمعن من حاسدي مودة * وإن كنت تُبَيِّسها له وتُنبِلُ

وقال البيهقي

ومن البلية أن تُداوى حَفْدَ مَنْ . نِعِمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ أَحْقَادِهِ

وقال علي رضي الله عنه

لا راحة لحسود، ولا أخ لملول، ولا محب لسئ الخلق .

وقال الحسن

ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد؛ نفس دائم، وحرز لازم، وعبئة لا تشفد،

ثم قال : لله دَرُ الحسد ما أعدله ! بقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

وقال الجاحظ : من العدل المحض . والإنصاف الصحيح، أن تحط عن الحاسد

نصف عقابه ، لأن ألم جسمه ، قد كفالك مؤونة شطر غيظك عليه .

وقيل : الحسد أن تمنى زوال نعمة عيرك، والقبطة أن تمنى مثل حال صاحبك .

وفي الحديث : « الْمُؤْمِنُ يَقْبُطُ ، وَالْمُتَافِقُ يَحْسُدُ » .

وقال أرسطاطاليس : الحسد حسدان : محمود، ومذموم، والمحمود أن ترى

علماً قستهى أن تكون مثله ، وزاهدا قستهى مثل فعله . والمذموم أن ترى علماً

وافضلاً قستهى أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القدر، والقدر لا يعتبه .

قال منصور الفقيه

ألا قل لمن كان لي حاسدا • أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فضله إذا أنت لم ترض ما قد وهب

وقال المتنبي

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

ومن أخبار الحسدة : ما حكى ، أنه أجمع ثلاثة قمر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما أشتيت أن أفعل بأحد خيرا قط ، فقال الثانى : أنت رجل صالح ، أنا ما أشتيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط ، فقال الثالث : ماى الأرض أفضل سكا ، أنا ما أشتيت أن يفعل بى أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه - وهجاء الحاسد وذمه - قال بعض الشعراء

إن يحسدونى فإنى غير لأثمهم • قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم • ومات أكثرنا عما بما يحسد
وقال آخر

إن الغراب وكان يمتنى مشية • فيما مضى من سالف الاحوال
حسد القطاة ورام يمتنى مشيا • فأصابه ضرب من العقال

وقال آخر

حسدوا ففنى إذ لم ينالوا سعيه • فالتقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجيها • حسدا وبقيا إنه لديم

وقال البحتري

لا تحسده فقبل رنته التى • أعيت عليكم وأفعلوا ليعاله

وقال السرى الرقاء

نالت يداه أقاصى الحميد الذى • بسط الحسود إليه باعا ضيقا

أَعَدُّهُ هَلْ لِلَّهَاجِ جَرِيرَةٌ * فِي أَنْ دَنَوْتَ مِنَ الْحَضِيضِ وَحَلَقًا؟
أَمْ هَلْ لِمَنْ مَلَأَ الْبَدَنَ مِنَ الْمَلَأِ * ذَنْبٌ إِنْ مَا كُنْتَ مِنْهَا مُمْلِقًا؟
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ * يَوْمًا أَنْحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا أَشْتَعَالَ النَّارَ فِيهَا جَاوَرَتْ * مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ
وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ

وَلَنْ يَسْتَيِّنَ الدَّهْرَ مَوْضِعُ نِعْمَةٍ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِدٍ

يَا أَيُّهَا الْعَاجِزُ وَمَا بِي مِنْ * غَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَزْدَجِرُ!
هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتَرْفُطُ لِبُهُ * أَمْ أَنْتَ مِمَّا أَتَيْتَ مُعْتَذِرُ؟
إِنْ يَكُ قِسْمُ الْإِلَهِ فَضْلِي * وَأَنْتَ صَلْدٌ مَا فِيكَ مُعْتَصِرُ
فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّاءُ لَهُ * وَلِلْحَسُودِ التُّرَابُ وَالْجَحَرُ
مَاذَا الَّذِي يَحْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ * يَبْدُو لَهُ مِنْكَ حِينَ يَحْتَسِرُ
إِقْرَأْ لَنَا سُورَةَ تُذَكِّرُنَا * فَإِنْ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّورُ
أَوْ صِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فِرَاقِنَا * مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنَى أَوْ الذِّكْرُ
أَوْ آرُوْهُ فَقَهَا تُرْوِي الْقُلُوبَ بِهِ * جَاءَ بِهِ عَنْ نَبِيِّنا الْأَثَرُ
أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا * فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمُفْتَخَرُ
أَوْ آرُوْهُ عَنْ فَايِسٍ لَنَا مَثَلًا * فَإِنْ أَمَثَلْنَا لَنَا عِبْرُ
أَوْ غَنَّ صَوْتًا تُسَجِّى النُّفُوسَ بِهِ * وَذَنْبٌ مَا قَدْ أَتَيْتَ مُفْتَقِرُ
فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهَلْتَ ذَاكَ وَذَا * فَبَيْتِكَ لِلنَّاطِلِينَ مُعْتَبِرُ

ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنميمة

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ لِيُصْرَفَهُ أَفْه) . وقال صلى : (هَمَازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ مَتَاعٌ لِخَفِيرٍ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن إلينا عورةَ أخيه المؤمن » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يرفع القنات راحة الجنة » . وفي لفظ « لا يدخل الجنة قنات » ؛ والقنات : النمام .

قال بعض الشعراء

فلا تسمى على أحد ببغى ، فإن البغى مضره وبغى

وقال العتاتى

بغيت فلم تقع إلا صريحا ، كذاك البغى مصرع كل باغى

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلو، فقال لأصحابه : إذا شتمتم ، قاموا ، فلما تها الرجل للكلام ، قال له : إياك أن تمدحنى فإنى أعلم بنفسى منك ، أو تكذبى ، فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسمى إلى بأحد ، وإن شئت أقتلك ، قال : اقلنى .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دمشق ، ولم يكن فى بنى أمية ألْب منه فى حداثة سنه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له بالأمور ، وسهسع منا ، فقام إليه رجل ، فقال : أصلح الله الأمير ، عندى نصيحة ، فقال له : يا ليت شعرى ، ما هذه النصيحة التى ابتدأتى بها من غيرى سبقت منى إليك ؟ فقال : جأرتى طامس ، متخلف عن ثغره ، فقال له : ما أتيت الله ، ولا أكرمت أميرك ، ولا حفظت جوارك ، إن شئت ، نظرنا فيما قول ، فإن كنت صادقا ؛

لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا ، عاقبتك ، وإن شئت ، أهلك ، قال :
أقلى ، قال : أذهب حيث شئت ، لا صحبك الله ، ثم قال : يا أهل دِمَشْق ، ما أعظمتم
ما جاء به الفاسق ، إن السَّعَايةَ أَحْسَبُ مِنْهُ بَحِيَّةً ، ولولا أنه لا يبنى للوالى أن
يعاقب ، قبل أن يعاتب ، كان لى فيه رأى ، فلا يأتى أحد منكم بِسَعَايةٍ على أحد ،
فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بها . وسعى رجل برجل إلى عُمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه ، فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا ، فانت من هذه
الآية : (إِنْ جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) وإن كنت صادقا ، فانت من هذه الآية : (هَمَّازٍ
مَّشَاءٍ يَمِيمٍ) وإن شئت عفونا عنك ، قال : العفو يا أمير المؤمنين ، قال : على أن
لا تعود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات : إن قوما صاروا إلى مُتَنَصِّحِينَ ، فذكروا
أن رُسُوما للسلطان قد عَفَتْ ودرَسَتْ ، وأنه توقَّف عن كشفها إلى أن يعرف
موقع رأيها فيها ، فوقع على رُفْعَتِهِ : قرأت هذه الرُّقعة المذمومة ، وسوف السَّعَاةُ
مُكِيدٌ عندنا ، وألسنتهم تَكَلُّ فى أيامنا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخدمهم بما
فى ديوانك ، فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لئُخِي الأعلام الدائرة ،
وجنتى وتجنب قول جرير

١٥

وكنت إذا حللت بدار قوم * رحلت بحزيرة وتركت عارا

قالوا : وكان المفضل بن يحيى يكره السَّعَاةَ ، فإذا أتاه ساع ، قال له : إن صدقنا ،
أبغضناك ، وإن كذبتنا ، عاقبتك ، وإن استقلتنا ، أقتلك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العُتْبِيُّ ، حدثنى أبى عن سعيد القصرى ،

قال : نظر إلى عمرو ابن عتبة ورجل يشتم بين يدى رجلا ، فقال لى : ويلك .

٢٠

وما قال لي ويليكَ قبلها : نَزَّ سمعكَ عن أَسْمَاعِ الْحَمَّاءِ ، كما نَزَّ لسانَكَ عن الكلام به ،
فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمد إلى شَرِّ ما في وعائِهِ ، فأفرغهُ في وعائِكَ ، ولو
رُدَّتْ كلمةُ جاهلٍ في فيه ، لَسَعَدَ رَأْسُها ، كما شَقِيَ قائلُها ، وقد جعله الله تعالى شريك
القائل ، فقال : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّعْتِ) .



ومما قيل في الغيبة والتميمة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « إذا قلت في الرجل ما فيه فقد آخَبْتَهُ وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهَّته » .
اغتاب رجل رجلاً عند قُتَيْبَةَ بن مسلم ، فقال له : أَمْسِكْ عليه أيُّها الرجلُ ، والله
لقد تلمظتَ بمُضْغَةٍ طالما لفظتها الكرام .

وذكر في مجلسه رجل ، فقال منه بعض جلسائه ، فقال له : يا هذا أوحشتنا من
نفسك ، وأياستنا من مودتك ، ودللتنا على عَوْرَتِكَ .

وأغتاب رجل عند بعض الأشراف ، فقال له : قد آستدلتُ على كثرة عيوبك ،
بما تَدْكُرُ من عيب الناس ، لأن الطالب للعيوب ، إنما يطلبها بقدر ما فيه منها ،
أما سمعت قول الشاعر

لَا تَتَّبِعْكَ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَسْتَرُوا - فَيْتَكَ اللَّهُ مَسْتَرَا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ حَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما
أَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعْ مِنْهُ مَا يُحِبُّ أَنْ
يَدَّعِيَنَّكَ مِنْكَ .

وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يا بُنَيَّ لِيَكُنْ أَبْغَضَ رِعِيَّتِكَ إِلَيْكَ ،
 أَشْتَمُ كَشْفًا لِمَا بِيَدِ النَّاسِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَعَايِبَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ،
 وَإِنَّمَا تَحْكُمُ فِيهَا ظَهْرُكَ ، وَاللَّهِ يَحْكُمُ فِيهَا غَايِبُ عَيْنِكَ ، وَأَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُهُ
 لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، مَا يُحِبُّ سِتْرَهُ ، وَلَا تَعَجَلْ إِلَى تَصْدِيقِ
 سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاثٌ . وَإِنْ قَالَ قَوْلٌ نَصِيحٌ .

وَوَشَّى وَاشِ رَجُلٌ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ فَقَالَ لَهُ : أُحِبُّ أَنْ قَبِلَ مِنْكَ مَا قَلَّتْ فِيهِ ،
 عَلَى أَنْ قَبِلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَفَّ عَنِ الشَّرِّ ، نَكَفَّ عَنْكَ .
 وَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : قَبُولُ النِّيمَةِ ، شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ،
 وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ ، كُنْ قَبْلَهُ وَأَجَازَهُ .

قال أبو الأسود الدؤليّ

لَا تَقْبَلْ نِيْمَةً بُلَغَتْهَا : وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَأَكُمَا
 إِنْ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نِيْمَةً . مَسِيئَةٌ عَنْكَ بِمَثَلِهَا قَدْ حَاكُمَا

وقال رجل لعمر بن عُيَيْدٍ : إِنَّ الْأَسَاوِرَ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُكَ ، وَيَقُولُ : الْفَضَالُ ،
 فَقَالَ عَمْرُو ! يَا هَذَا ! وَاللَّهِ مَا رَاعَيْتَ حَقَّ مَجَالِسَتِهِ ، حَتَّى ثَقُلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ ، وَلَا
 رَاعَيْتَ حَقَّ ، حِينَ أَبْلَغْتَنِي عَنْ أُنْحَى مَا أَكْرَهُهُ ، اعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ يَسْمُنَا ، وَابْتَعَتْ
 يَحْشُرُنَا ، وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا ، وَاللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَنَا .

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه ، فَأَنْكَرَهُ الْأَحْنَفُ : بُلَغْنِي عَنْكَ الثَّقَةِ ،
 فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنْ الثَّقَةُ لَا يُبْلَغُ .

قال بعض الشعراء

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوه * ولكننا سبَّ الأميرَ المبلِّغَ

وقال ابن المعتز: الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا: التَّامُّ، شرٌّ من السَّاحِرِ، فإن التَّامَّ، يُفسد في الساعة الواحدة، ما لا يفسده السَّاحِرُ في المدة الطويلة .

وقالوا: النِّيمَةُ، من الخلال الذميمة، تَكُلُّ على نفس سقيمة، وطبيعة لثيمة، مشفوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء: الأشرار يتبعون مساوي الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الأئمة من الجسد، ويترك الصحيحة .

وقالوا: لم يَمْشِ ماش، شرٌّ من واث . والساعي بالنيمة، كشاهد الزور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه .

وقالوا: حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ . وقد لمح الشعراء بتم التمام، وجعلوه من أهاجيم .

قال بعض الشعراء

من نَمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عَفَارُهُ * على الصديق ولم تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ

كالتَّيْلِ بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال السَّيْرِيُّ الرَّقَاءُ

أَتَمَّ بِمَا أَسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ رُجَاةٍ * تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ

وقال محمد بن شرف

وناصب نحو أفواه الوري أذنا * كالقعب يلقط فيها كل ما سقطا
يظلل يلقط الأخبار مجتهدا * حتى إذا ما وعاهما زق ما لقطا

وقال ابن وكيع

٥. يسم بسر مسترعيه لئوما * كما تم الظلام بسر نار
أنتم من النصول على مئيب * ومن صافي الزجاج على عقار

وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسق مجاهر، وإمام جائر، وصاحب بدعة .

وكتب الكسائي الى الرقاشي

١٠. تركت المسجد الجامع والترك له ريبه
وأخبارك تأتينا * على الأعلام مصوبه
فإن زدت من الغيبة زدناك من الغيبة

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل منع الحقوق وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ

١٥. وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) . وقال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُقُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبِخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ » .

وقال بعض السلف : منع الجود، سوء ظن بالمعبود، وتلا (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

• وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء، بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جَنَّةَ عَدْنٍ، قَالَ لَهَا : تَرَبَّيْ قَتْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَظْهِرِي أَنَّهُ أَرْكَ، فَأَظْهَرَتْ عَيْنَ السَّلْسِيلِ، وَعَيْنَ الْكَافُورِ، وَعَيْنَ التَّسْنِيمِ، وَنَهْرَ الْخَمْرِ، وَنَهْرَ الْعَسَلِ، وَنَهْرَ اللَّبَنِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَظْهِرِي حُورَكَ، وَحُلَّكَ، وَسِرْرَكَ وَجَمَالَكَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَكَلِّبِي، فَقَالَتْ : طُوبَى لِمَنْ دَخَلَنِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْتِ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ " . ١٠

وقال سُقْرَاطُ : الْأَغْنِيَاءُ الْبَخْلَاءُ، بِمَنْزِلَةِ الْبَقَالِ وَالْحَمِيرِ، تَحْمِلُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَتَعْتَلِفُ التَّيْنَ وَالشَّعِيرَ .

وقالوا : الْبِخْلُ مِنْ سُوءِ الْفَنَنِ، وَنَحْوِ الْهَيْمَةِ، وَضَعْفِ الرُّوْيَةِ، وَسُوءِ الْإِخْتِيَارِ، وَالزُّهْدِ فِي الْخَيْرَاتِ .

❦

• وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الْبِخْلُ جَامِعٌ لِلْسَاوِي وَالْعِيُوبِ، وَقَاطِعٌ لِلْوَدَّاتِ مِنَ الْقُلُوبِ .

وقالوا : حَدُّ الْبِخْلِ، مَنَعُ الْمُسْتَرْفِدِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى رِفْدِهِ .

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل، ويقول محتجاً لذلك : إِنْ الْبَخِيلَ يَحْمِلُهُ بِخْلُهُ، عَلَى أَنْ يَأْخُذَ فَوْقَ حَقِّهِ، مَخَافَةَ أَنْ يُنْفَنَ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا لَا يَكُونُ مَأْمُونًا .

وقال بشر بن الحارث الخافي : لا غيبة لبخيل ، ولشَرطيَّ سِغى أحبَّ إلى من عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحقَّ اسمَ الحرِّية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

- وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بماله من البخيل ؛ لأنه في الدنيا يَتَمَّ بجمعه ، وفي الآخرة يحاسبُ على منعه . غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج في الآخرة من إثمِهِ ، عيشه في الدنيا عيشُ الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأَهمم يعودُه في مرضه ، فرآه يُصعدُ بصره ويصوبُه إلى صندوق في بيته ، ثم أَلْفَت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أُؤدِّ منها زكاةً ولم أَصِلْ بها رَحِمًا ؟ فقال له : نكثُكَ أملك ! ولم كنتَ تجمعُها ؟ قال لرُوعة الزمان ، وجَفْوَةِ السلطان ، وتكاثر العسيرة ، ثم مات ، فشَهِدَهُ الحسن . فلما فَرَغَ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ، أُنَادِ شيطانَه بخوفِهِ رُوعةَ زمانه ، وجصوة سلطانه . بما آستودعه الله إِيَّاه ، وعمره فيه . انظروا إليه كيف خرج منموما مَذْحُورا ! ثم أَلْفَت إلى وارثه ، فقال : أيها الوارث لا تُخَدِّعَنَّ كما خُدِعَ صَوْبُجُكَ بالأمس ، أُنَاكَ هذا المال حلالا ، فلا يكونُ عليك وبَالا ، أُنَاكَ اغفوا صفوا ، ممن كان له جُمُوعا مَنُوعا ، من باطل جمعه ، ومن حقٍّ منعه ، قطع فيه جُلُجَّ البحار ، ومفاوِزَ القفار ، ولم تَكْدَحْ لك فيه عَيْتٌ ولم يَتَرَقَّ لك فيه جَبِين ، إن يوم القيامة يوم ذو حَصَرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا ، أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيالها حسرة لا تُهَال ، وتوبة لا تُتَال .

ومن أخبار البخلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة ، الحطيئة ، ومُعيد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان ، وقُلت عنهم أمور دلت على بخلهم .

أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرّ به ابن الحمامة ، وهو جالس بيناه بيناه ، فقال له : السلام عليكم ، فقال : قلت ما لا يُتكر ، فقال : إني خرجتُ من أهلي بغير زاد ، قال : ما صنعتُ لأهلك قَرَأَك ، قال : أفتأذن لي أن آتي بظلّ بيتك فأنصّب به ؟ قال : دونك الجبل يغيّ عليك ، قال أنا ابن الحمامة ، قال : آنصرف وكن ابن أوى طائر شئت . قال : وأعرضه رجل وهو يرعى غنما ، فقال له : ياراعى الغنم ، وكان بيد الحطيئة عصا فرفضها ، وقال : تجرأه من سلم ، فقال الرجل : إنما أنا ضيف ، فقال : للأضياف أعدتها . وكان الحطيئة أحد الحمقى ، أوصى عند موته ، أن يُجمل على حمار ، وقال : لمليّ إن حملت عليه ، لا أموت ، فإني ما رأيت كريما مات عليه قط . وقال : لكلّ حديد لذة ، إلا حديد الموت ، فإني رأيته غير لذيذ . وقيل له : أوص ، فقال : أوصي أن مالى للذكور دون الإناث ، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك . قال : لكنى أهوله . وقالوا له : قل لا إله الا الله ، فقال : أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .

ومن أخباره : أن الزّبرقان بن بدر ، لقيّه في سفر ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا حسب موضوع ، أنا أبو مليكة ، فقال له الزّبرقان : إني أريد وجهها ، فصّر إلى منزلي ، وكن هناك ، حتى أرجع . فصار الحطيئة إلى امرأة الزّبرقان ، فأنزلته وأكرمته ، فغسده بنو عمه ، وهم بنو لاي ، فقالوا للحطيئة : إن تحولت إلينا ، أعطيناك مائة ناقة ، ونسّد إلى كلّ طُئب من أطناب بيتك حلة تحويه ، وقالوا

لامرأة الزبرقان : إن الزبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته ، فقدح ذلك في نفسها ، فلما أراد القوم النجعة ، تخلف الحطيئة ، فتناقلت عنه امرأة الزبرقان ، فاحتمله المريسيون ووقوا له بما قالوا ، فدحهم ، وهجا الزبرقان ، فقال

أزمتُ يأساً مُبيناً من نوالكم * ولا يرى طارداً لحر كالإيس

- دج المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعد فإناك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحكهم عمر . حسان ابن ثابت ، قال حسان : ما هجاه ولكن سألح عليه ، فحبس عمر الحطيئة ، فقال يستعطفه

- ١٠ ما ذا تقول لأفراخ يذى صرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر ؟
أقيت كاسهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأخرجه عمر ، وجلس على كرسي ، وأخذ بيده شفرة ، وأومأ أنه يريد قطع لسانه ، فضج ، وقال : إني والله يا أمير المؤمنين ! قد هجوت أبي وأمي وأمرأتي ونفسي ، فبسم عمر ، ثم قال : ما الذى قلت ؟ قال : قلت لأبي وأمي

❦

ولقد رأيتك فى النساء فسوتني * وأبأ بينك فساءنى فى المجلس

وقلت لأبي خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تيم * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقلت لأُمِّي خاصة

تَحَيَّيْ وَأَجْلِسِي مَنِّي بَعِيدَا * أَرَاهُ أَنَّكَ الْعَالِمِينَا؟
أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا * وَكَأَنُوتَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا؟

وقلت لأُمْرَأَتِي

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آتِي * إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَّاعِ

وقلت لنفسِي

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا * بِسَوْءٍ فَمَا أُدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهُ اللَّهُ خَلْقَهُ * فَكَبَّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبَّحَ حَامِلُهُ

نَحَلْتُ عَمْرَ سَبِيلِهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَهْجُو أَحَدًا، وَجَعَلَ لَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ اشْتَرَى

بِهَا مِنْهُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ يَذْكُرُنِيهِ إِيَّاهُ عَنِ الْمَهْجَاءِ وَيَتَأَسَفُ

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ * شَمًّا يَبْصُرُ وَلَا مِدْبَحًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتِي عَرَضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخَفْ * شَمِّي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَخْزَعُ

وَأَمَّا حَمِيدُ الْأَرْقُطِ : فَكَانَ هَجَاءً لِلضَّيْفِ، فَنَاشَأَ عَلَيْهِ، فَتَزَلَّ بِهِ ضَيْفُ ذَاتِ

الَيْلَةِ، فَقَالَ لَأَمْرَأَتِهِ : نَزَلَ بِكَ الْبَلَاءُ، قَوِي فَأَعِدِّي لَنَا شَيْئًا، فَفَعَلْتُ، فَجَعَلَ

الضَّيْفُ يَا كُلَّ وَيَقُولُ : مَا فَعَلَ الْمَجْهَاجُ بِالنَّاسِ؟ فَلَمَّا فَرَّغَ، قَالَ حَمِيدُ

يُخْرِجُنِي عَلَى الْأَطْنَابِ مِنْ جَذَلِ بَيْتِنَا * هَجَفَ^(١) لِمُخْزَوْنِ التَّجِيَّةِ بِأَذَلِّ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَايِسَ لِلْقَرَى * أَرِنِي لِي مَا الْمَجْهَاجُ بِالنَّاسِ فَاعِلُ؟
قُلْتُ : لَعَمْرِي مَا لِهَذَا أَتَيْتُنَا * فَكُلُّ وَدَعِ الْأَخْبَارُ مَا أَنْتَ آكِلُ

تَدَبَّرْ كِفَاهُ وَيَخْدَرْ حَقُّهُ * إِلَى الصَّدْرِ مَا حَازَتْ عَلَيْهِ الْأَنَابِلُ
أَنَا وَلَمْ يَمِدِّهِ تَحِيَّانُ وَانْثَلِ * بَيَانًا وَعَلَمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ * مِنْ الْبَيْتِ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقِلُ

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرًا وهجاء، وأدعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال

بَاتُوا وَجُعِلَتْ^(١) الصُّهْبَاءُ حَوْلَهُمْ . كَأَن أَظْفَارَهُمْ فِيهَا السَّكَائِكُ
فَاصْهَرُوا وَالتَّوَى مَلَقَ مَعَرِّسِهِمْ * وَلَيْسَ كُلُّ النَّوَى أَلْقَى الْمَسَاكِينَ

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم : طامأ سرت
في البلاد، أما والله لأطيلن حبسك، ولأدينن بك . وقيل له : مالك لا تنفق ،
فإن مالك عريض ؟ فقال : الدرهم أعرض منه، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
الدرهم كله، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه ، فكان ربما أكل
عليه فلا يناله المجتاز ، فتر به أعرابي على جمل ، فعرض عليه أن يأكل معه ، وظن
أنه لا يناله ، فاناخ الأعرابي بعيره ، حتى وازى الدكان ، وأكل معه . فما جلس
بعد ذلك على الدكان ، وكان يقول : لو أطينا المساكين في أموالنا ، كنا أسوأ حالا
منهم . وقال لبنيه : لا تَطْمِعُوا الْمَسَاكِينَ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْتَعُونَ مِنْكُمْ ، حَتَّى
يَرَوْكُمْ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ . ووقف عليه أعرابي وهو يتفقد ، فسلم عليه ، فرد عليه ، ثم
أقبل على الأكل ، ولم يعرض عليه . فقال الأعرابي : أما إني قد مررتُ بأهلك ،
قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال :

وأمر أهلك حُبْلَى، قال : كذلك كان عهدى بها، قال : ولدتُ، قال : ما كان بذلها
 أن تَلِدَ، قال : ولدتُ غلامين، قال : كذلك كانت أمها، قال : مات أحدهما،
 قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين، قال : ثم مات الآخر، قال : ما كان
 ليبقى بعد أخيه، قال : وماتت الأم، قال : جَزَعًا على ولديها، قال : ما أطيب
 طعَامَك ! قال : ذلك جزائي على أهله، قال : أف لك ما أَلَمَك ! قال : من شاء
 سَبَّ صاحبه .

ونظير هذه الحكاية : ما حكى أن أعرابياً مرَّ بآخر، فقال : من أين أقبلت
 يا بن عم ؟ قال : من التَّيَّة، قال : فهل أتيتنا منها بخبر؟ قال : سل عما بدا لك،
 قال : كيف علمك يبيي ؟ قال : أحسن العلم، قال : هل لك علم بكلِّي قَنَاع ؟
 قال : حارس الحَيِّ، قال : فبأَمِ عثمان ؟ قال : نَحْجُ نَحْجُ، ومن مثل أمِ عثمان ! لا تدخل
 من الباب إلا منحرفة بالثياب الْمُعْصَفَرَات، قال : فبعثان ؟ قال : وأبيك فإنه
 جَرَّو الأسد ويلعب مع الصبيان، وييده الكِسْرَةُ، قال : فبجملنا السَّقاء ؟ قال :
 إن سنامه ليَخْرِج من الغيظ، قال فبالدار ؟ قال : وأبيك، إنها لخصيبة الجَنَاب،
 عاصرة الفَنَاء، ثم قام عنه، وقَعَد ناحية يَأْكُل فلا يدعوه، فتركب، فصاح به،
 وقال : يا بن عم، أين هذا الكلب من قَنَاع ؟ قال : يا أَسْفَا على قَنَاع ! مات، قال :
 وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجبل السَّقاء، فَاغْتَضَّ بَعْظِمٍ منه فَمَات، قال :
 إنا لله، أو قد مات الجبل ! فما أماته ؟ قال : عثر بقبر أمِ عثمان، فانكسرت رِجْلُهُ،
 قال : ويملك ! أمات أم عثمان ؟ قال : إى والله، أماتها الأسف على عثمان، قال :
 ويملك ! أمات عثمان ؟ قال : إى وعهد الله ! سقطت الدار عليه، فرمى الأعرابي



بطعامه وشره وأقبل ينفض لحينه ويقول: إلى أين أذهب؟ فيقول الآخر إلى النار، وأقبل ينفض الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك، ويقول: لا أرغم الله إلا أنف اللئام.

وكان أحيحة بن الجلاح من البخلاء، وكان إذا هبت الصبا، طلع أظمة، ينظر إلى ناحية هبوبها ثم يقول: هُي هبوبك، فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعاً من عَجْوَة، أدفع إلى الوليد منها، نحس ثمرات، فبردة على منها ثلاثاً، أى لصلابتها بعد جهد ما يُلوكُ منها.

والعرب تضرب المثل في اللؤم بمآدر، تقول: هو الأمام من مآدر، ويزعمون أنه بنى حوضاً وسقى إليه، فلما أصدرها سلح في الحوض، لثلاثين غيره فيه.

وكان عمر بن يزيد الأسدي مبغلاً جداً، فأصابه القولنج فحنقه الطبيب بذهن كثير، فأنحل ما في بطنه، فلما أبرزه، قال للغلام: ما تصنع به؟ قال أصبه، قال: لا ولكن ميز الدهن منه وأستصيح به.

وقال سلم بن أبي المعافى: كان أبي متنجساً عن المدينة، وكان إلى جنبه مزرعة فيها قثاء، وكنت صبياً لجاناً صبيان أقران لي، فكلت أبي ليهب لي درهماً اشتري لهم به قثاء، فقال لي: أنصرف حال الدرهم؟ كان في حجر في جبل، فضرب بالمعاول، حتى أخرج، ثم طحن، ثم أدخل القدر وصب عليه الماء، وجمع بالزئبق، ثم صفي من رق، ثم أدخل النار فسبك، ثم أخرج فضرب، وكتب في أحد شقيه: لا إله إلا الله، وفي الآخر: محمد رسول الله، ثم حمل إلى أمير المؤمنين، فأمر بإدخاله بيت ماله، ووكّل به عوّج الفلانس صُهب السبال، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة، وأنت والله أنجح من قرد، أو رزقه رجلاً شجاعاً وأنت والله أجبن من صرد، فهل ينبغي

لك أن تَمَسَّ الدرهم إلا بنوب؟ ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل :
هينى ما لآ مَرَزِيَّةَ عليك فيه ، قال : وما داك ؟ قال : درهما واحدا ، قال : يا بن أخی
لقد هَوَّنَت الدرهم ، وهو طاب الله في أرضه ، والدرهم ويحك عَشْرُ العشرة ، والعشرة
عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عَشْرِيَّةُ المُسْلِم ، ألا ترى يا بن أخی
كيف آتَهِ الدرهم الذى هَوَّنَتْه ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مُزَاحِم ، وقد وقع بيده درهم ، فجعل يقلِّبه ، ويقول : فى شِقِّ ،
لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفى شِقِّ ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، ما يبنى لهذا إلا أن يكون
تَمَوِّدًا أَوْ رُقِيَّةً ، ويرمى به فى الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : أبى وأُمى أنت ، كم من
أرضٍ قطعْتَ ، وكيس خرقْتَ ، وكم من حامل رَفَعْتَ ، ومن رفيع أُنحَلْتَ ، لك
عندى أن لا تَعْرِى ولا تَضْحَى ، ثم يلقيه فى كيسه ، فيقول : أَسْكِن على أَسْمِ الله ،
فى مكان لا تَرَوُل عنه ، ولا تَرَجَّج منه .

ومن البخلاء "مُرَبِّدٌ" وله حكايةٌ نذكرها ، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة
مُفَنِّئَةٌ ، يقال لها : "بَضْبُص" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاهما ، فاجتمع يوما
عنده محمد بن عيسى الجعْفَرى وعبد الله بن مُصْعَب الزُّيْرى فى جماعة من الأشراف ،
فتذاكروا أمر مرَبِّد وبخله ، فقالت الجارية : أنا أخذ لك من درهما ، فقال لها
مولاهما : أنت حرة إن فعلتِ إن لم أَسْتِرْلك تحفة بمائة دينار وثوب وشى
بمائة دينار ، وأجعل لك مجلسا بالمعيق أَسْحَرُ فيه بَدَنَةً ، فقالت : بى به ، وأرفع
النِّتَّةَ ، حتَّى أَفْهَل ، فقال : أنت حرة إن منعتك منه ، ولأعاونته عليك إن جصَلت .

- منه الدرهم ، فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به ، قال عبد الله : فصليتُ
 الفداء في المسجد ، فإذا أنا به قد أقبل ، فقلتُ : يا أبا إسحاق ، إنَّ أحبَّ أن نرى
 بصبص ؟ قال : بلى والله ، وأمرأته طالق إن لم تكن له سنة يشتهي أن
 يلقاها ، فقلت له : إذا صليتَ العصر ، فاتى ها هنا ، فقال : أمرأته طالق إن
 برح من ها هنا الى العصر ، قال فانصرفتُ في حوائجى ، فلما كان العصر جئتُ
 فوجدته ، فاخذتُ بيده ، وأتيتهم به ، فاكل القوم وشربوا حتى صليتُ العتمة ،
 ثم تساكروا وتناوموا ، فأقبلتُ بصبص على مُزبد ، فقالت له : يا أبا إسحاق كأتى
 وافقه في نفسك تشهى أن أُغنيك الساعة

لقد حثوا الجمال ليشرُّوا مِنَّا فلم يثلوا

- فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ ، ففتته إياه ،
 ثم قالت له : كأتى بك تشهى أن أقوم من مجلسى فأجلس الى جنبك فتدخل يدك
 فى جلبابى ، فقال : أمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام ، وما تكسب
 الأنفس غنا قالت : قم ، فقام وجلس الى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم
 أنك تشهى أن أُغنيك

- أنا أبصرتُ بالليل * غلاماً حسنَ الدلِّ
 كفصن البان قد أصبَّحَ مسقياً من الطلِّ

فقال لها : أمرأته طالق أن لم تكونى نيةً مُرسلةً ، ففتته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا
 إسحاق ، هل رأيت قط أنذل من هؤلاء ؟ يدعونى ويدعوك ، ويخرجونى اليك
 ولا يشترىون قُلاً ولا رِيحانا ، كأتى بك وفى جييك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه ،

وأعطىها إياه، وتشترى به ما تريد، فقام من جنبها وقال : أخطأت آسُك الحُفرة،
وأقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحية ، فأتته القوم ^(١) وعَطَمُوا عليها وعلموا
أن حيلتها لم تَمُتْ، ونرج من عندهم ولم يُعَد إليهم .

وقال بعضهم : بُتُّ عند رجل من أهل الكوفة من المومنين ، وله صبيان نيام ،
فرأيتُه في الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحتنا سأله عن ذلك ،
فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيمريهم الطعام، ويصبحون
جوعا ، فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا يَنْهَضَ ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة، وكان فيه بُحْلٌ وجفاء، فأهدى
إليه كاتب له سِلَالًا فيها أطعمة، وقد تَنَوَّقَ فيها فوائده وقد تَنَدَّى، فقال : ما هذه ؟
قالوا : غداء بعته فلان الكاتب ، فغضب، وقال : بيعت أحلم الشيء في غير وقته،
يا خَيْثَمُ بن مالك ! يريد صاحب شُرطته، أدع لى أهل الصُّفَّة يأكلون هذا ، فبعث
خَيْثَمُ الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذى جاء بالسِّلَال : أصلح الله الأمير، لو
أمرت بهذه السِّلَال تُفْتَحَ ويُنْظَر ما فيها، قال : آكشفوها فإذا طعام حسن من
دجاج وفراخ وجداءٍ وسمك وأخِيصَة وحَلَوَاء فقال : أرفعوا هذه السِّلَال ، وجاء أهل
الصُّفَّة ، فأخبرهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خَيْثَمُ ! أخبرهم عشرة أسواط، فإنه
بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الخلفاء من يُنسب الى البخل ، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب
بَرْنَجِج الجحر ولبن الطير لبخله .

(١) السَّلَط : ثنايع الأموات واختلاطها أو حكاية صوت الجبان إذا قالوا : يبطِيطُ وذلك إذا علموا قوما .

وَمِنْهُمْ هِشَامُ ابْنُهُ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي بَيْعِ الْمَهْدَايَا الَّتِي تُهْدَى إِلَيْهِ . حُكِيَ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَكَلَ عِنْدَهُ فَرَضَ الْقُتْمَةَ إِلَى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : فِي لَقْمَتِكَ شَعْرَةٌ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : وَإِنَّكَ تَلَاخِظُنِي مَلاحِظَةً . مَنْ يَرَى الشَّعْرَةَ ، وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ عِنْدَكَ أَبَدًا ، ثُمَّ قَامَ وَأَنْصَرَفَ .

- وَمِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ كَانَ يَلْقَبُ بِأَبِي الدَّوَانِيقِ ، لُقِّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا بَنَى مَدِينَةَ بَغْدَادَ كَانَ يَبَاسِرُهَا بِنَفْسِهِ وَيَحَاسِبُ الصَّنَاعَ ، فيَقُولُ لِهَذَا : أَنْتَ نَمَتِ الْقَائِلَةُ ، وَلِهَذَا : لَمْ تُبَكِّرْ ، وَلِهَذَا : أَنْصَرَفْتَ قَبْلَ أَنْ تُكْمَلَ الْيَوْمَ ، فَيُسْقِطُ لِهَذَا دَاثَهَا ، وَلِهَذَا دَائِقِينَ ، فَلَا يَكَادُ يَعْطَى لِأَحَدٍ أَجْرَةً كَامِلَةً ، وَكَانَ يَقُولُ : يَزْعُمُونَ أَنِّي بَخِيلٌ ، وَمَا أَنَا بِبَخِيلٍ ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ النَّاسَ عَمِيدَ الْمَالِ ، فَمنَعْتُهُمْ عَنْهُ ، لِيَكُونُوا عَمِيدًا لِي . وَيُحْكِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَطِبَاحُهُ : لَكُمْ ثَلَاثَةٌ وَعَلَيْكُمْ آتْنَانِ ، لَكُمْ الرُّيُوسُ وَالْأَكَارِعُ وَالْجُلُودُ ،
- وَعَلَيْكُمْ الْحُبُوبُ وَالتَّوَابِلُ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى بَخْلِهِ : أَنَّ صَاحِبَهُ الرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ قَالَ لَهُ يَوْمًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الشُّعْرَاءَ بِيَابِكَ وَهُمْ كَثِيرٌ ، وَقَدْ طَالَتْ أَيَامُهُمْ وَنَفَدَتْ نَفَقَاتُهُمْ ، فَقَالَ : أَخْرِجْ إِلَيْهِمْ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ ، وَقُلْ لَهُمْ مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ فَلَا يَصِفُ الْأَسَدَ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ مِنَ الْكِلَابِ ، وَلَا الْحَيَّةَ ، فَإِنَّمَا هِيَ دَوِيَّةٌ مَمْنُونَةٌ تَأْكُلُ التُّرَابَ ، وَلَا الْجَبَلَ فَإِنَّهُ حَجَرٌ أَصَمٌّ ، وَلَا الْبَحْرَ ، فَإِنَّهُ عَطِينٌ بَصَرٌ يَلْبَسُ ، فَمَنْ لَيْسَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَلْيَدْخُلْ ، وَمَنْ كَانَ فِي شَعْرِهِ شَيْءٌ مِنْهُ فَلْيَنْصَرِفْ ، فَأَبْلَغَهُمْ فَأَنْصَرَفُوا كُلَّهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ هَرَمَةَ فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَارَبِيعُ فَادْخُلْنِي عَلَيْهِ فَادْخَلَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ : يَارَبِيعُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَمْحِيكَ غَيْرُهُ فَانْشُدْ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَنَّا

لَهُ لِحَفَظَاتٍ فِي حِفَافٍ سَرِيرِهِ * إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

- فَأَمُّ الَّذِي أَمِنْتَ أَيْمَنَةَ الرَّدَى * وَأَمُّ الَّذِي خَوَّفْتَ بِالشُّكْلِ نَائِلٌ

فرفع له السَّتر وأقبل عليه وأصنى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بمشقة
آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم ، لا تلتفها طمعا في نيل مثلها متا، فسا كل وقت
تصل إليها، فقال إبراهيم : أفتاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجُهْدُ^(١) .
ودخل المؤمل بن أميل على المهديّ وكان بالريّ، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه
المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهديّ إلا أن فيه . مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما * أنارا يُشكّلان على البصير
فهذا في الضياء سراج عدل * وهذا في الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بالنابر والسورير
وبعض الشمر يخفى ذا، وهذا . منير عند قصصان الثمور

وجاء منها

فإن سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير

١٥

فأعطاه عشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو
ببغداد، فكتب إلى المهديّ يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا
أقام ببابك سنة، أربعة آلاف درهم، وأمره أن يوجهه إليه، فطلب فلم يوجد،
ونوجه إلى بغداد، فكتب إلى المنصور بذلك، فأمر بإرساله فمك، وقيل له أنت
بغية أمير المؤمنين وطلبتة، قال المؤمل : فكاد قلبي ينخلع خوفا وفرقا، ثم أخذ يبدى
وأطلق بي إلى الربيع، فادخلني على المنصور، وقال : يا أمير المؤمنين، هذا المؤمل

(١) الجهد : كآب رسم استخراج المال وقبضه .

- أَبْنِ أَيْمِلْ قَدْ ظَفَر بِهِ، فَسَابَتْ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ، فَسَكَنَ جَائِشِي وَأَطْمَأَنَّ قَلْبِي وَزَالَ رَوْعِي، ثُمَّ قَالَ لِي: أَتَيْتَ غُلَامًا غَيْرًا نَخَدَعْتَهُ فَانْخَدَعَ، قُلْتَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا أَتَيْتُ مَلِكًا جَوَادًا كَرِيمًا، فَدَحْتَهُ فَعَمَلْتُهُ أَرِيحِيَّةً عَلَى أَنْ وَصَلْتِي وَبَرْنِي، فَاعْجَبَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَشَدُّنِي مَا قُلْتَ فِيهِ، فَأَنْشُدْنِي، فَقَالَ: وَاللهَ لَقَدْ أَحْسَنْتَ، لَكِنْ مَا يَسَاوِي عَشْرِينَ أَلْفًا، يَارَبِيعَ، خُذِ الْمَالَ مِنْهُ، وَأَعْطِهِ مِنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دَرَاهِمَ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِي الْخُلَافَةَ، قَدَّمَ عَلَيْهِ الْمُؤْتَلَّ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، فَضَحِكَ وَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذَ مِنْهُ.

وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة: أن المنصور حجَّ في بعض السنين فحدا به سالم الحادى يوما بقول الشاعر

- أَبْلَجُ بَيْنَ حَاجِيهِ نُورُهُ * إِذَا تَغَدَّى رَفِغَتْ سِتْرُهُ
يَزِينُهُ حَيَاؤُهُ وَخَيْرُهُ * وَيُسْكِنُهُ يَسُوبُهُ كَافُورُهُ

- فطَرِبَ الْمَنْصُورُ حَتَّى ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْحِمْلَ، ثُمَّ قَالَ: يَارَبِيعَ، أَعْطَهُ نِصْفَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ سَالِمٌ: لَا غَيْرَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاقِهِ لَقَدْ حَدُوتُ بِهِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَرَنِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَعْطِيَكَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا ذَكَرْتَ، يَارَبِيعَ! وَكُلُّهُ مِنْ يَسْتَخْرِجُ مِنْ هَذَا الْمَالِ، قَالَ الرَّبِيعُ: فَمَا زِلْتُ أَسْفِرُ بَيْنَهُمَا حَتَّى شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْدُوهُ فِي خُرُوجِهِ وَرُجُوعِهِ بِغَيْرِ مَثْوًى، وَكَانَ سَالِمٌ هَذَا يُوَرِّدُ الْإِبِلَ لثَمَانٍ وَلِثَمَسَعٍ وَلِعَشْرٍ، فَيَحْدُو لَهَا فَيُلْهِيُهَا حُدُوهَ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ. وَمِنْ طَرِيفٍ مَا حَكِي عَنْهُ: أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ، كَتَبَ إِلَيْهِ رَقْعَةً بَلِيقَةً يَسْتَمِجِحُ فِيهَا، فَوَقَّعَ عَلَيْهَا: إِنَّ الْغِنَى وَالْبَلَاغَةَ إِذَا أَجْتَمَعَا لِرَجُلٍ أَبْطَرَاهُ، وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَشْفِقٌ عَلَيْكَ، فَاهْتَفَى بِالْبَلَاغَةِ.

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجوا من أتصف به ، فمن ذلك ، وهو أبلغ ما قاله مُحدث ،
قول ابن الرومي

الحابسُ الروث في أعفاج بَنَلَيْهِ * خوفا على الحبِّ من لَقَطِ المصايفِ

وقال العسكري : أبلغ ما قيل في البخل ، قول ابن الرومي

يَقْتَرِ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ * وَلَيْسَ بِيَأَقِ وَلَا خَالِدِ

فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ * تَنْفَسَ مِنْ مَنِيخِرٍ وَاحِدِ

رَضِيَتْ لَتَشْتَيْتُ أَمْوَالِهِ * يَدِي وَارِثِ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

وقال أبو تمام

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ فَذَاكَ الْبَرُّ مِنْ قَسَمِهِ

وَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ فَاتَّقُكْ بِخُبْرَتِهِ * فَإِنْ مَوَقَعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

قَدْ كَانَ يُسَجِّئُ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ * عَلَى جَرَادِهِ كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ

وقال دِعْبِل

اسْتَبَقِ وَدَّ ابْنِ الْمَقَا : تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ

سَيَأْتِ كَثْرُ رَغِيْفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ

وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْيِيلِ بِهِ يُرْوَعُ فِي مَنَامِهِ

وقال أبو هلال العسكري

خُبِرَ الْأَمِيرُ عَشِيقُهُ * يَنْدُو عَلَيْهِ يُلَاعِبُهُ

وَإِنَّا بَدَأَ بِالْجَلِيسِ * أَفْضَى إِلَيْهِ يُعَابِيهِ

وَتَحَوَّلَ حَرَّاسُهُ * وَتَدَبُّ عَنْهُ كَتَائِبُهُ

فَالزُّورُ يُصَفِّعُ عَنْدهُ * وَالضَّيْفُ يَنْتَفِ شَارِبُهُ

وقال آخر

قى لرغيفه قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وإكليلان من دُرٍّ وَشَدِيرٍ
 إذا كُئِرَ الرَغِيفُ بَكَى عليه * بَكَاءَ الْخَسَاءِ إِذْ حُمِتْ بِصَخِيرٍ
 ودون رغيفه قَلْعُ الثَّنايا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةٍ يَوْمَ بَدْرٍ

وقال آخر

إن هذا القى يصون رغيفا * ما إليه لا كلٌّ من سَبِيلٍ
 هو في سُفْرَتَيْنِ من أَدَمِ الْعَلا * ثَفٌّ فِي سَلَّتَيْنِ من زَنْبِيلٍ
 حُجِمَتْ كُلُّ سَلَةٍ بِرِصَاصٍ * وَسُيُورٌ قُبْدَدَنَ من جِلْدِ فِيلٍ
 في جِرَابٍ في جوفِ تابوتِ موسى * والمفاتيح عند ميكائيل

وقال السكري

قُلْ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ * فِضَاءٌ كَعُذْبِهِ
 كَأَدَمِنِ خَشْيَةِ الْقِرَى * يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازٌ فِي اللُّؤْمِ حَذَهُ * كَأَيْبِهِ وَعَمَهُ
 كَأَدِ يُمْدِيكَ لَوْمُهُ * لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ

وقال ايضا

لَكَ بَرْمَسَةٌ تَزْهَتَا * مِنْ أَنْ تُدَسَّ بِالنَّسَمِ
 بِيضَاءُ يُشْرِقُ نُورُهَا * كَالْبَدْرِ فِي غَسَقِي الظُّلَمِ
 لَوْ كَانَ عِرْضُكَ مِثْلَهَا * كُنْتَ الْمُمْدَحَّ فِي الْأُمِّ
 أَوْ كَانَ فِعْلُكَ مِثْلَ قُو * لَكَ كُنْتَ تَارِيخَ الْكَرَمِ

وقال أيضا

ضفتُ عمرا بفانى برغيف * زادنى أكله على الجوع جوعاً
ثم ولَّى يقول وهو كئيب: * لَهَفَ نَفْسِي عَلَى رَغِيفٍ أَضْيَعاً
كان خُدَاعَةَ الضيوف ولكن * ربما أصبح الخلدوع خَدِيعاً
كُنْتُ أَتَزَلُّهُ مَخْلّاً رَفِيعاً * ففدا ذلك الرفيع وَضِيعاً
عَجَباً مِنْهُ إِذْ أُبِيحَ حِمَاهُ * كيف لم يمتنع وكان مَنِيحاً

وقال آخر

أرى ضيفك في الدار * وكرب الموت يَشْتَاهُ
على خُبْرِكَ مَكْتُوبٌ: * «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ»

وقال بشار

وضيفُ عمرو وعمرو يَسْهَرَانِ مَعاً * عمرو لِبَاعْتِهِ وَالضَّيْفُ الْجُوعُ

وقال آخر

نَوَالُكَ دُونَهُ خَرَطَ الْقَتَادِ * وَخَبْرُكَ كَالثُّرَيَّا فِي الْبَعَادِ
ولو أبهرت ضيفا في منام * لحزمتَ المنامَ إِلَى التَّنَادِ
أرى عُمَرَ الرَغِيفِ يَطُولُ جِدَا * لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْمِ عَادِ
وما أهجوك أَنَا كُفْءُ شِعْرِي * وَلَكِنِّي هَجَوْتُكَ لِلْحَسَادِ

وقال العسكرى

قد كان المال رِبَاً * فصار بالبخل عبدة
ومَحَفَّ الصَّيْفِ ضَيْفَاً * فراح يَلْطُمُ خَدَهُ

وقال أبو نُوَاسٍ في إسماعيل بن نُوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نُوَاسٍ، فبلغت ثقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك

خَبِرُ إسماعيل كالوشى إذا ما شُقَّ يُرْفَا

عجبا من أثر الصنعة فيه كيف تُخْفَى؟

إِنَّ رَقَاءَكَ هَذَا * أَلْطَفَ الْأَمَةِ كَفًّا

فإذا أَلْصَقَ بالنصيف من الجُرْدَقِ نَصْفَا

الطف الصنعة حَتَّى * ما ترى مَطْلَعِ إَشْفَى^(١)

مثل ما جاء من التُّنُورِ ما غادر حَرَقَا

وله في الماء أيضا * عَمَلٌ أَبْدَعَ ظَلَمًا

مَرَجَه الْعَذْبَ بِمَاءِ السَّيْرِ كِي يَزْدَادَ ضَعْفَا

فهو لَا يَسْقِيكَ مِنْهُ * مثل ما يشرب صِرْقَا

وقال فيه

على خبز إسماعيل واقيةُ الْبَحْلِ * قد دخل في دار الأمان من الأَكْلِ

وما خبزه إلا كهتاء مُشْرِيب * يُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الثَّنَلِ

يَحْدُثُ عَنْهَا الْبَاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ * سَوَى صُورَةٍ مَا إِنْ يُجْرُ وَلَا يُحْلِلِ

وما خبزه إلا كَأَوَى يَرَى أَبْنَاهُ * وَلَمْ يَرِ آوَى فِي الْحُزُونِ وَفِي السَّهْلِ

وما خبزه إلا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ * لِيَالِي يَتَحَيَّ عِزَّهُ مَتَيْتَ الْبَقْلِ^(٢)

(١) الإشْفَى : الإسكان .

(٢) هكذا في الأصل . وفي ديوان أبي نواس : ومن كان الخ ولله الصواب .

وَإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبْ خَصْمَانِ عِنْدَهُ * وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِحَدٍّ وَلَا هَزَلٌ
فَإِنْ خَبِرُ إِسْمَاعِيلَ حَلَّ بِهِ الَّذِي * أَصَابَ كُلِّيًّا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ دُلٍّ
وَلَكِنْ قَضَاءٌ لَيْسَ يُسْطَاعُ رُدُّهُ * بِحِيلَةٍ ذِي مَكْرٍ وَلَا تَغْيِي ذِي عَقْلِ

وقال ابن الرومي

بِخَيْلٍ يُصَوِّمُ أَضْيَافَهُ * وَيَحْتَلُّ عَنْهُمْ بِأَجْرِ الصَّيَامِ
يَدُسُّ النَّفْلَامَ فَيُولِيهِمْ * هَوَانًا فَيَشْتَمُّ مَوْلَى النَّفْلَامِ
فَهُمْ مُفْطِرُونَ وَهُمْ صَائِمُونَ * وَمَا يُطْعَمُونَ وَهُمْ فِي أَثَامِ
فَيَحْتَالُ بِخَلَا لَأَنَّ يُفْطِرُونَ * عَلَى رَقَّتِ الْقَوْلُ دُونَ الطَّعَامِ

وقال أحمد بن كُثَّاحٍ

صَدِيقٌ لَنَا مِنْ أَرْبَعِ النَّاسِ فِي الْبَخْلِ * وَأَفْضَلُهُمْ فِيهِ وَلَيْسَ بِذِي فَضْلِ .
دَعَانِي كَمَا يَدْعُو الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ * بَغْتَةً كَمَا يَأْتِي إِلَى مَنْثَلِهِ مِنْ بَخْلِي
فَلَمَّا جَلَسَا لِلطَّعَامِ رَأَيْتُهُ * يَرَى أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ أَكْلِي
وَيَنْتَظِرُ أَحْيَانًا وَيَشْتَمُّ عَبْدَهُ * وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغِيظَ وَالشَّتْمَ مِنْ أَجْلِ
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَلُّ الْفِدَاءَ مَخَافَةً * وَالْحَظَازِ عَيْنِهِ رَقِيبٌ عَلَى فِئْلِ
أَمَدَ يَدِي سِرًّا لِأَتَرَقَّ لُقْمَةً * فَيَحْفَظُنِي شَرًّا فَاغْتَبْتُ بِالْبَقْلِ
إِلَى أَنْ جَنْتُ كَفِّي لِحَفَى جَنَائِهِ * وَذَلِكَ أَنْ الْجُوعَ أَعْدَيْتَنِي عَقْلِي
بَغَرَّتْ يَدِي لِقَيْنَ رَجُلٍ دَجَاجَةٍ * بَغَرَّتْ كَمَا بَغَرَّتْ يَدِي رَجُلَهَا رَجُلِي
وَقَتَّمَنِي مِنْ بَعْدِ الطَّعَامِ حَلَاوَةً * فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِيهَا أَمْرًا وَلَا أَحْلِي
وَقَتُّ لَوْ أَنَّي كُنْتُ يَتُّ نَيْبَةً * رِيحَتْ ثَوَابَ الصَّوْمِ مَعَ عَدَمِ الْأَكْلِ

وقال آخر

تراهم خشية الأضياف نُرْسًا * يُقيمون الصلاة بلا أذان



احتجاج البغلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

• قالت الحكماء : لتكن عنايتك بحفظ ما آكتسبته ، كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : لا تجاودوا الله ، فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن يُنفي الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بني تغلب ، إني لن أصلك حتى أحرِم من هو أقرب إلى منك ، وإنه لم يبق من مالى وعرضي ١٠ وأهل إلا ما منعه من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم ، قال لابنه : يا بُنَيَّ ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما : دِرْهِمَكَ لمعاشك ، ودينَكَ لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكك ما تبذل ، خير من طلبك ما يبذل غيرك ، وأنشد ١٥ يلومونني في البخل جهلا وضلة * وللبخل خير من سؤال بخيل

ونظيره قول المتألمس

وحبس المال أيسر من بقاء * وضرب في البلاد بنير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال الجاحظ : قلت للزاي : يا بخل ! قال : لا أعدنى الله هذا الاسم ، لأنه لا يقال لى : بخل إلا وأنا ذو مال فسلم لى المال ، وسميتى بأى اسم شئت ، قلت : ولا يقال لك : بختى ، إلا وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ، وجمع لذلك المال والذم ، فقال : بينهما فرق عجيب ، وبون بعيد ، إن فى قولهم : بخل ، سببا لمكث المال فى ملكى ، وفى قولهم : بختى ، سببا لخروجه عن ملكى ، وأسم البخل فيه حزم وذم وأسم السخاء فيه تضييع وحمد ، وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وعيرى ظهوره وضاع عياله وشتت به عدوه .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ، أن لا يقيم عليك ، ومن احتاج إليك أن لا يزول من عندك ، ومن حُبك لصديقك وصنك بمودة أن لا تبذل له ما ينيه عنك ، وأن تتلطف له فيما يُحوجه إليك .

وقد قيل فى مثل هذا : "أَجْعُ كُلَّكَ يَتَبَعَكَ ، وَتَمْتَنَ بِأَكْلِكَ" ، فمن أغنى صديقه فقد أغناه على القدر ، وقطع أسباب الشكر ، والمعين على القدر شريك للغادر ، كما أن المزين للفجور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمن لا يوصون ماله ليصون به عرضَه ، ويصل به رحمه ويستغنى به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتز

أَعَاذَ لَيْسَ الْبَخْلُ مَنَى سَجِيَّةً • وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلٍ
لَمَوْتُ الْفَقْرِ خَيْرٌ مِنَ الْبَخْلِ لِلْفَقْرِ • وَالْبَخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤْلِ الْبَخْلِ

وكان داود بن علي يقول : لَأَنْ يَرْكَ الرَّجُلُ مَالَهُ لِأَعْدَائِهِ ، خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ فِي حَيَاتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ؛ قال الشاعر

مَالٌ يُخَفِّفُهُ الْفَقَى * للشامتين من العِدَا

خير له من قصده * إخوانه مستقرنا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَأَنْ أُخْلَفَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَحْسَبُ عَلَيَّ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ ؛ وقال : كَانَ الْمَالُ فِيَا مَضَى يَكْرَهُ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يَزِينُ الْمُؤْمِنَ ؛ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَمَسَّكَ هَذِهِ الدِّنَانِيرُ ! فَقَالَ : ٥
أَسَكْتُ ، فَلَوْلَاهَا لَتَمَتَّدَتْنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ ، وَلَكِنْ مِنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَلْيَصْلَحْهُ ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِنْ أَحْتَاجٍ فِيهِ كَانَ أَوَّلُ مَا يُبْدَلُ دِينُهُ .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميمي : إِنَّكَ لَسَيِّدٌ لَوْلَا جُودُكَ فَيْكَ ، فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لِأَجُودُ فِي الْحَقِّ ، وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ .

١٠ وكان محمد بن الجهم يقول : مَنْ وَهَبَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ ، فَهُوَ مَجْنُونٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ مَلُوكِهِ أَوْ مِيرَاثِهِ ، فَهُوَ مَغْنُولٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ كَسْبِهِ وَمَا اسْتَفَادَهُ بِحِيلَةٍ ، فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْمَاخُودُ بِبَصَرِهِ وَسَمْعِهِ .

وسأل رجل زياد بن أبيه ، فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : صَاحِبُ الْبِرَاقَتَيْنِ أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي دِرْهَمًا ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّمَا رَزَقَ أَخْصَ عِبَادَهُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُمْ لَدِيهِ التَّمْرَةُ وَاللَّقْمَةُ ، وَمَا يَكْبُرُ عِنْدِي أَنْ أَصَلَ رَجُلًا بِمِائَةِ أَلْفِ ١٥
دِرْهَمٍ ، وَلَا يَصْغُرُ أَنْ أُعْطِيَ سَائِلًا رَغِيْفًا ، إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَعَلَ ذَلِكَ .
قال الشاعر

يَأْتِبُ جُودَ جُرَّ قَسَّرَ أَمْرِي * فقام للناس مقام الذليل

فأشدد عُمرى مالِكَ وَأَسْتَبْقِيَه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وقال الشريف بن المبارك

لأَصُونَنَّ ذِمَّتِي * فهو لا شكَّ صائِنِي
لم يُعْنِ أَبْنُ والِدِي * ومُحِيحِي أَغَاثِي

وقال أيضا

هـ
فَهْ دَرِّ دَرَاهِمِي * فَهِيَ الَّتِي أَعْلَتْ مَكَارِي
لَوْلَا الْفِتْنَى عَنْ صَاحِبِي * لَأَحْلَقْتُ دَارَ الْمَوَانِ

وقال آخر

كُنْ بِمَا أَوْثِقَتْهُ مُغْتَبَا * تَسْتَدِيمُ عَيْشَ الْقَنُوعِ الْمُكْتَفِي
إِنْ فِي نَيْلِ الْمُنَى وَشَكَّ الرَّدَى * وَأَجْتَنِبُ الْقَصْدَ عَيْنَ السَّرَفِ
كِرَاجُ دُعَاهُ قُوَّةٌ لَهُ * فَإِذَا غَرَّقَهُ فِيهِ طُنْفِي

١٠

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها واحتج فقال: أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال الأحف بن قيس: يا بني تميم، لا تُسرِعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلهم حياة من الفرار، وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب بحمة، فتأمل عيًّا با فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبح أن تنهى مرشدا أو تُقرئ مُشَفِّعا، وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم وصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فأخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيتكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشيرنا به في الآفاق دونكم، ثم تحول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: (وَمَا أُرِيدُ

١٥

- أَنْ أَخَافِكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فما كان أحقكم في كريم حرمنا بكم أن ترعوا حق قصداً بذلك إليكم، على مارعيناه من واجب حقكم، فلا المنر المبسوط بلغتم، ولا بواجب الحرمة قتم، ولو كان ذكر العيوب رُأ وتغفرا، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلا،
- عَبْتُمُونِي بقولي لخادمي : أجبدي العجين فيكون أطيب لطحمه، وأزيد في ريسه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أملكوا العجين فإنه أحد الرعين، وعبتموني حين ختمت على سَلِّ عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة تقيسة، ومن رطبة غربية، على عيد نعيم، وصبي جشع، وأمة لكهاء، وزوجة مضبغة، وليس بين أهل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوى —
- ١٠ في نهس المأكول، وغربب المشروب، وغيث الملبوس، وخطير المركوب — التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوى مواضعهم في المجالس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، ومن شاء أطعم كلبه الدجاجة السمينة، وعَلَفَ حماره السَّمِيمَ الْمُقَشَّرَ، وعبتموني بالحنم، وقد ختم بعض الأئمة على مُدَّ سَوِيقٍ، وختم على كيس فارغ، وقال طينة خير من ظنة، فامسكتم عن ختم على لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء، وعبتموني أيضا، أن قلت للغلام : إذا زدت في المرق، فزد في الإنضاج، ليجتمع مع التأدم بالحم طيبُ المرق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا طَبَخَ أَحَدُكُمْ لِمَا، فَلْيَزِدْ مِنَ الْمَاءِ، فَمَنْ لَمْ يَصِبْ لِمَا أَصَابَ مَرَقًا، » وعبتموني بِمُخَصَّفِ النمل، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوصة من النمل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضييع، والاجتماع مع الحفظ،

وقد كلف النبي صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ ، وَيَقْلَعُ أَصَابِعَهُ ، ويقول : «لَوْ أُهْدِيَ لِي كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ» وقال صلى الله عليه وسلم «مَنْ لَمْ يَسْتَحْيَ مِنَ الْخِلَالِ ، خَفَتْ مَوْتُهُ ، وَقُلُّ كِبَرُهُ» . وقالت الحكماء :

لا جديد لمن لم يَلْبَسِ الْخَلْقَ ، وبعث يزيد رجلا يرتاد له مُحَدَّثًا ، وأشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأناه به مواقها ، فقال له : أكننت به ذا معرفة ؟ قال : لا ،

ولكنني رأيته في يوم قافظ ، يلبس خَلْقًا ، ويلبس الناس جديدا ، فنفقست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخلق في موضعه ، مثل الجليد في موضعه ،

وقد جعل الله لكل شيء قَدَرًا ، وسمى له موضعا ، كما جعل لكل زمان حالا ، ولكل مقام مقالا ، وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالفناء ، وأغص بالماء ، وقتل

بالدواء ، وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسيين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين ، وقد جبر الأحف بن قيس يد عتر وأسر مالك بن أنس بفرك البعر ،

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، وليس سالم بن عبد الله جلد أُنْحِيه ، وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدي لك

دجاجة ، قال : إن كان لابد ، فاجعلها بيوضا ، وعبتوموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الفالي ،

وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشف من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في أوائله لخرج أوله على

كفاية آخره ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعبتموني بذلك وشنعتموه علي ، وقد قال الحسن وذكر السرف : أما إنه ليكون في الماء والكلأ ، فلم يرض

•

١٠

١٥

٢٠٠

- بذكر الماء حتى أردفه بالكلا، وعبثوني أني قلت : لا يفتن أحد بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوته، وأن يرى دخله أكثر من رزقه فيدعوه ذلك الى إنحراج ماله من يده ، وتحويله الى ملك غيره، أو تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه، فلعله أن يكون معمرًا وهو لا يدري وممدودا له في السن وهو لا يشعر، ولعله أن يُرزَق الولد على اليأس، وتحدث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله ، ولا يدركه غفله ، فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب ، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبثوني بذلك، وقال عمرو بن العاص : أعمل لديك عمل من يعيش أبدا ، وأعمل لآخرتك عمل من يموت غدا، وعبثوني بأن قلت : إن التلف والتبذير إلى مال الموارث، وأموال الملوك، وإن الحفظ الى المال المكتسب ، والغنى المحتلب، وإلى ما يعرض فيه ١٠
- بذهاب الدين ، وآهتضام العرض ، ونصب البدن، وآهتاهم القلب أسرع ، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر، وطاب نفسا بالذل ، وعبثوني بأن زعمت أن كسب الحلال، مُضمَّن بالإففاق في الحلال، وأن الخبيث يتزع إلى الخبيث ، وأن الطيب يدعو إلى الطيب ، وأن الإففاق في الهوى ، حجاب دون الحقوق ، ١٥
- وأن الإففاق في الحقوق حجاب دون الهوى ، فعبثت على هذا القول، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبذيرا قط ، إلا وإلى جنبه حق مُضَيِّع ، وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا في أى شيء ينفقه ، فإن الخبيث إنما يفتن في السرف ، وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن النظر مني إليكم ، أتم في دار الآفات، والجوائح غير مأمونات، فإن أحاطت بمال ٢٠

أحكم آفة، لم يرجع إلى همة، فاحذروا النثم، باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجري في الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد، والأمة، والشاة، والبعير: فزقوا بين المنايا، وأجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين [لبعض البحرين^(١)]: كيف تصنمون في أموالكم؟ قالوا: نفرقها في السفن، فإن عطب بعض، سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر، ما حملنا أموالنا في البحر، قال ابن سيرين: تحسبها تحرقاً وهي صناع، وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم: إن للغي سكرًا، والمال تزوة، فمن لم يحفظ الغنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يربط المال لطوف الفقر فقد أهمله، فعبتموني بذلك، وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحد أقصر عقلًا، من غنى آمن الفقر، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيى ابن خالد

وهوبٌ يَلاد المالَ فيما ينوبه • متوعٌ إذا ما منعه كان أحرماً

وعبتموني حين زعتم، أتى أقدم المال على العلم، لأن المال به يُفاد العلم، وبه تقوم النفس، قبل أن يُعرف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع، فقلتم: كيف هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ فقال: العلماء، قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحق المال، وجعل الأغنياء بحق العلم، فقلت: حالهما هي القاضية بينهما، وكيف يستوى شيء حاجة العلماء إليه، وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بأخذ النثم، والفقراء بأخذ الدجاج، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: إني

(١) الزيادة لازمة من تخلف البخل.

لأبض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك في الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض ، وعبثوني حين قلت : إن فضل الغنى عن القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت ، إن أحتج إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عُدَّةً ، وقد قال الحصين بن المنذر : ودِدْتُ أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء ، قيل له : فما كنت تصنع به ؟
 قال : لكثرة مَنْ كان يخدمني عليه ، لأن المال غنوم ، وقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ، فلوم يكن فيه إلا أنه عزٌّ في قلبك ، وذُلٌّ في قلب عدوك ، لكان الخطأ فيه جسيماً ، والضعف عظيماً ، ولستأ ندع سيرة الأنبياء ، وتأدب الخلفاء ، وتعليم الحكماء ، لأصحاب الهوى ، فلستم على ترقون ، ولا رأي تُفقدون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأذكروا ما عليكم من قبل أن تُدركوا مالكم ، والسلام .

١٠



ومن نوادر البخلاء ، قال رجل لبعض البخلاء : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك جيّد المضع سريع البئع ، إذا أكلت لُقمةً هيأت أخرى ، قال : يا أبا أنى تريد إذا أكلت عندك أن أصلي ركعتين بين كل لقمتين ؟

١٥

وقال آخر لبخيل : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك مُعَلَّق ، وتُسْتَق ، وتُحْدَق ، أى تعمل واحدة في يدك ، وأخرى في شِدْقك ، وتُنظر إلى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصف الليل ، قيل له : ولم ؟ قال يَبْدُ الماء ، ويتقيع الذباب ، وآمنُ بغاة الداخل ، وصرخة السائل .

وطيخ بعض البخلاء قِدْرًا ، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيبَ هذا الطعامَ ! لولا كثرة الزَّحام ، فقالت : وأى زحام وما ثمَّ إلا أنا وأنت؟ قال : كنت أحبُّ أن أكون أنا والقِدْر .

وفال بعض البخلاء لفلانهِ : هاتِ الطعامَ ، وأُغلقِ الباب ، فقال : يا مولاي ، ليس هذا بحَزْم ، وإنما أُغلقُ الباب ، وأُقدِّمُ الطعامَ ، فقال له : أنت حُرُّ لوجه الله .
وعزم بعضُ إخوانِ أشعَبَ عليه ليا كلَّ عنده ، فقال : إني أخاف من قِليل يأكل معي فينقُصُ لذتنا ، فقال : ليس عندي إلا ما يُحبُّ فُضِي معي فيبناهما يا كلان ، إذا بالباب قد طُرق ، فقال أشعَبُ : ما أرانا إلا صرنا لما نكره ، فقال صاحب المنزل : إنه صديق لي ، وفيه عشرُ خصال ، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له ، فقال أشعَبُ : هاتِ ، قال : أوقها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ودعهُ يدخل ، فقد أمانًا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل في التطفيل

ويتصل به أخبارُ الأكلة والمؤاكلة

والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرض إلى الطعام ، من غير أن يدعى إليه ، وسندكر تلو هذا الفصل آدابَ الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد في الطعام ، والعفة عنها ، وما يجرى هذا المَجْرَى ، وإن كان خارجا عنه ، وإنما الشيء يُذكر بالشيء ، والعرب تهول للطفيلي : الوارِش ، والراشِن ، قيل : هو مشتق من الطُفْل ، وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يُدعَ إليه مستترا بالظلمة ، لتلا يُعرف . وقيل : سُمي بذلك ، لإِظلام أمره على الناس ، لا يدرى مَنْ دعاه . وقيل : بل

من الطفل طبعه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة، ولذلك قيل: "أطلق من ليل على نهار"، وأقول من سمى بهذا الاسم: طفيل العرائس، وإليه ينسب الطفيلون، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدكم عرسا، فلا يلتفت تلفت المريب، ويخفف المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام، فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان البواب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهيه من غير أن يُعَفَّ عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال.

- وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَّان الطفيل، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَّان، وأصله مَرْوَزِيّ وأقام ببغداد، وكان قهش حاتم، "مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ". حكى أن رجلا سأله أن يدعوله، فقال: ١٠
- اللهم أرزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، وقواء المصيبة، وأمنه بضرس طحون، ومعدة مضوم، مع السعة والدعة، والأمن والعافية؛ وقال يوصي بعض أصحابه: إذا قعدت على مائدة وكان موضعك ضيقا فقل للذي يليك: لعل ضيقك عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعي واسع، فيتسع عليك موضع رجل؛ وقال له طفيل: أوصني، فقال: لا تصادق من الطعام شيئا، فترغب يدك عنه وتقول: ١٥
- لعل أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووهن، قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزا فيه قلة، فكل الحروف، فإن كان كثيرا فكل الأوساط، قال: زدني، قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصبك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفي، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فكل منه أكل من لم يره قط، وترؤد منه زاد من لا يراه أبدا، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فأجمله زادك إلى الله تعالى، ٢٠

وقال : إذا دعاك صديق لك ، فاقعد يمينه البيت فإنك ترى ما تُحِبُّ ، وتسودهم في كل شيء ، وتسبقهم إلى كل خير ، وأنت أول من يغسل يده والمُنْدِيل جاف ، والماء واسع ، والخلوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أول القنينة ورأسها تشربه ، والنقل منتخب ، يوضع بين يديك ، وتكون أول من يتبخّر ، فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتاج أن تختطّاهم ، وأنت في كل سرور إلى أن تنصرف . قال البديع الممداني في طفليين يشبههم بُنَّان

خَلَقْتُمْ بُنَّاناً فكم من أديب * من القَيْظِ عَصَ عَلَيْكُمْ بُنَّاناً
إذا ما النهار بدا ضَوْؤُهُ * غَدَوْتُمْ نَحْاصاً وَرُحْتُمْ بِطَاناً

ومنها : عثمان بن دُرَاج ، قيل له : كيف تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطعمون فيدخلوني . وحكى أبو الفرج الأصفهاني : أن عثمان هذا ، كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك ، وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل ولى وظيفة راتبة في كل يوم ، فالزمني وكن مدعوا ، أصلح لك مما تفعل ، فقال : يرحمك الله فأين لذة الحديد ، وطيب التنقل كل يوم إلى مكان ؟ وأين هُؤَيَّاك ووظيفتك من احتفال العرس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذا ثبت ذاك : فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتني قال : أما هذا فنعيم ؟ قال : وقال له رجل : ما هذه الصُفُرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين التَّصَمَّتَيْنِ ، ومن خوفي في كل يوم من نفاذ الطعام قبل أن أشبع ، وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان ؟ فقال : إى واقه ، وإنه لجنة الحاضرة في الدنيا ، قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره ، وتقبل

تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتضمض إلا بدماء عراقيب الرجال، وعثمان هذا الذي يقول

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي * وَأَقْسَى لَا تَرَبِّي
أَنْتَ تُشْفِينُ غَلِيلِي * وَتُسَلِّينَ هُمُومِي

- ولم أخبر وحكايات، منها: ما نقل عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال: ٥
كان لي جار طفيل، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس، فيا كل وينصرف، وكان ظيفا عطرًا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجمهر بن القاسم الهاشمي حقُّ دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، فقلت في نفسي: إن تبعني هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءني الرسول، فركبت، وإذا به قد تبعني حتى ١٠
دخل بدخولي، وأرضع حيث أجلس، فلما حضرنا الطعام، قلت: حَتْمًا دُرُسْتُ
أبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل إلى دار قوم بنير إثنهم، دخل سارقًا، ونرج مُغيرًا، ومن دُعي ولم يُجب فقد عصي الله ورسوله»، فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه، فأقبل علي وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف ١٥
لا يهتملون التعريض بالقوم، وقد حَظَرَ الدينُ التعريضَ، وعزَّرَ عليه عمر رضي الله عنه، ووليمة الأمير دعا لأهل مصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية، والرفادة، والمطمعين الأفضلين الذين هَشُّوا التَّريْدَ، وأبرزوا الحَفَانَ لمن غدا إليهما، ثم لا تُوزَعُ وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحذت عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان ٢٠
أبن طارق وهو متروك الحديث بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون

على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يُعزَّرُ على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في جمع فيتناول لُقْمًا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحَدِّثُ حدثًا حتى يخرجَ عنها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « طعامُ الواحدِ يكفي الاثنين، وطعامُ الاثنينِ يكفي الأربعة »، حدَّثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابني تَجَلَّةٌ شديدة ، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبلي ، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب ، فلما رأيته تبغى ، ولم يكلِّني ولم أكلِّه ، إلا أني سمعته يتمثل

وَمَنْ ظَنَّ مِنْ بِلَاقِي الْحُرُوبِ * بَأَنَّ لَا يُصَابُ فَقَدْ ظَنَّ تَجْرًا

وقيل : مرَّ طفيلٌ بسكة النَّخَعِ بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فاقترحم عليهم، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِيَ، فأنكره صاحب المنزل، فقال له : لو تأنيت أو وقفت حتى يُؤَدَّنَ لك، أو يُبْعَثَ إليك، قال : إنما أَتُحَذِّثُ البيوتَ لِيُدْخَلَ إليها، وَوُضِعَتِ الموائدُ لِيُؤْكَلَ ما عليها، وما وجهت بهدية فأتوقع الدعوة، والحشمةُ قطيمةٌ، وأطراحُها صلبةٌ، وقد جاء في الأثر : « صَلِّ مَنْ قطعك، وأعطِ مَنْ حرمك »، ثم أنشد

كُلُّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الدَّاءِ * رَأَيْتُ الْقَتَارَ شَمَّ الدَّابَّ

فإذا ما رأيت آثارَ عُرْسٍ * أودعنا أو دعوة الأصحاب

لم أعرج دونَ التَّعَمُّمِ لا أر * هَبْ شَمًا وَلَكِرَةَ البَوَابِ

مُسْتَيْتًا بمن دخلت عليه * غيرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ

فتراني أَلْفَ بالرغم منه * كُلِّ مَا قَدَّمُوهُ لَفَّ العُقَابِ

ووصف طفيلي نفسه فقال

نحن قومٌ إذا دُعينا أجبنا * ومتى نُس يدعنا التطفيلُ
قولنا : علنا دُعينا فجبنا * أوأنا فلم يجدهنا الرسولُ

وقال آخر

• نحن قومٌ محبٌ هدى رسول الله هدياً به الصواب أصهنا
فادعنا كلها بسطت فإننا * لو دُعينا إلى كُرّاج أجبنا

وقال آخر

نحن قومٌ إن جفا لنا * سُ وصلنا من جفانا
لأنبأى صاحب الداء * ر نسينا أم دعانا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه فقال له صاحب الصنيع :
مَنْ دَعَاكَ ؟ فأنشد

دعوتُ نفسي حين لم تدعني * فالحمدُ لي لآلِكَ في الدعوةِ
وكان ذَا أحسن من موعِدٍ * إخلافه يدعو إلى جفوةِ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبدالله المروى طفيلياً ولم يسبق إليه، قال

١٥ إنَّ الطفيليَّ له حُرمةٌ * زادت على حُرمةِ نَدْمَانِي
لأنَّه جاء ولم أدعُه * مبتدئاً منه بإحسانِ

ودخل طفيلي إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فما الذي جاء بك ؟ فقال :

إذا لم تدعوني ولم آت، وقعت وحشة، فضحكوا منه وقزّبوه .

وقيل : مرة طفيلٌ على قوم يتعدّون ، فقال : سلام عليكم معشر اللّثام ، فقالوا : لا واقه ، ! بل كرام ، فثنى ركبته ونزل ، وقال : اللهم أجعلهم من الصادقين ، وأجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذى الرقة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُقعة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ، فإن أستطعت أن لا تكون كلب الرّقاق فأصل .

ونظر طفيلٌ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يُدعون إلى صنيع ، فتلطف حتّى دخل في ليفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر بضرب أعناقهم ، فقدموا واحدا بعد واحد حتّى أتوا إلى الطفيل - فلما قدّم للقتل ألتفت إلى صاحب الشرطة ، فقال له : إني واقه ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ، وإنما أنا طفيلٌ ظننتهم يُدعَبُ بهم إلى صنيع ، فتلطفت حتّى دخلت في جملتهم ، فقال ليس هذا مما ينبغي ، أضربوا عنقه ، فقال : أصلحك الله ، إن كنتَ عزمتَ على قتل ، فأمر السيف أن يضرب بطنى بالسيف ، فإنه هو الذى أوقعتني في هذه الورطة ، فضيّحك ، وكشف عنه ، فأخبر أنه طفيلٌ معروف ، فغلى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سُئِلوا له من أهل البصرة ، فجمِعوا ، فأبصرهم طفيلٌ ، فقال : ما اجتمعوا إلا للصنيع ، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكّلون ، حتّى أتوا إلى زورق قد أُعدّ لهم ، قال الطفيلٌ : هي نُزعة ، فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قيّدوا ، وقيدَ معهم الطفيلٌ ، ثم سير بهم إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب أعناقهم ، حتّى وصل إلى الطفيل ، وقد استوفى العدة ، فقال للوكيلين : ما هذا ؟ قالوا : واقه ما ندرى ، غير أنّا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ، فقال له المأمون :

- ما قَصَّتُكَ؟ وبِكَ! فقال يا أمير المؤمنين: امرأتى طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئا ولا مما يدينون به وإنما أنا رجل طفيل، رأيتهم مجتمعين، فظننتُ صنعا يُدْعَوْنَ إليه، فضحك المأمون وقال: يُؤَدَّبُ، وكان إبراهيم بن المهدي قائما على رأس المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسي، قال: قل يا إبراهيم، قال: يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عنديك يوما، فطُفْتُ في سِكَكِ بنِداد متطرِّفا، حتَّى آتَيْتُ إلى موضع كذا، فشمنتُ من قُتَارِ أَبَازِيرِ قُدُورٍ قد فَاحَ، فتأقتُ نَفْسِي إليها، وإلى طيب ريحها، فوقفتُ إلى خياط، فقلتُ له: لِمَنْ هَـذِهِ الدَّارُ؟ فقال: لرجل من التَّجَّارِ، قلتُ: ما اسمُه؟ قال: فلان بن فلان، فرميتُ بطرفٍ إلى الدَّارِ، فإذا شُبَّانٌ فيها مطَّلٌ، وإذا كُفٌّ قد خرج من الشُّبَّانِ ومِعَصَمٌ، فشغلني حَسَنُ الكُفِّ والمعصم عن راحة القُدُورِ، فَبَقِيَْتُ سَاعَةً، ثم أدركني ذهني، فقلتُ للخياط: أهوِّجُ مِنْ يَشْرَبُ البَنِيذَ؟ قال: نعم، وأحسب أن عنده اليومَ دعوة، وهو لا ينادم إلا تَجَّاراً مثله مستورين، فإني لكذلك، إذ أقبل رجلان نيِّلانَ راجِبانَ من رأس الدَّرْبِ، فقال لي الخياط: هؤلاء منادماه، فقلتُ: ما اسماهما وما كُتُّهما؟ فقال: فلان وفلان، فحَرَكْتُ دَابْقِي ودخلتهما، وقلتُ: جِئْتُ فِدَاكِ، قد اسْتَبَطَاكِ أبو فلان، وسأيرتِهما حتَّى بلغنا البابَ فأجلاني وقدماني، فدخلتُ ودخلا، فلما رآني صاحبُ المنزلَ معهما، لم يَشْكُ أُنَى منهما، فَرَحَّبَ بِي وأجلسني في أفضلِ المَواضعِ، يَغِيءُ يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبزٌ نظيفٌ وأُتِينَا بتلك الألوان، فكان طعمهما أَطْيَبَ من ريحها، فقلتُ في نفسي: هَـذِهِ الألوانُ قد أَكَلْتُهَا، بَقِيَْتُ الكُفُّ، كيف إلى صاحبتهما؟ ثم رُفِعَ الطَّعامُ، وَحِيَّ بِالْوُضُوءِ، ثم صرنا إلى مجلسِ المَنَادِمَةِ، فإذا أَشْكَلُ مَنْزِلٍ، وجعل

صاحب المنزل بلطف بي ، ويميل على بالحديث ، حتى إذا شربنا أقداحا ، خرجت علينا جارية ، كأنها بدر ، تتخى يا أمير المؤمنين كالخيزان ، فأقبلت ، وسلمت غير تجلّة ومُتّيت لها وسادة ، بغلست عليها ، وأتى بالعود قَوْضِع في حِجْرِها ، بغسسته فاستبينتُ حِدْقَها في جَسّها ، ثم أندفعت تُتَقَّى

تَوَهَّيْهَا طَرَفِي فَأَصْبَحَ حَدَّهَا * وفيه مكان الوهم من نظري أثر

تُصَافِئُهَا كَفَى قَوْلِي كَفَّيْهَا * فَمِنْ مَسَّ كَفَى فِي أَنَامِلِهَا عَقْرُ

فَهَبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَالِي ، وَطَرِبْتُ لِحَسَنِ شَعْرِهَا ، ثُمَّ أُنْدَفَعْتُ تَقَى

أَشْرْتُ إِلَيْهَا هَلْ عَرَفْتِ مَوَدَّقِي ؟ * فَرَدَّتْ بَطَرْفِ الْعَيْنِ إِنِّي عَلَى الْمَهْدِ

فَنَدْتُ عَنِ الْإِظْهَارِ عَمْدًا لِسَرِّهَا * وَحَادَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ أَبْصَارِي عَلَى عَمْدِ

فَصَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَاءَنِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، ثُمَّ أُنْدَفَعْتُ

فَفَنَّتِ الصُّورَ الثَّالِثَ

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَتَنَايَضُنِّي .. وَإِيَّاكَ لَا نَخْلُو وَلَا تَتَكَلَّمُ !

سَوَى أَعْيُنِ تَسْكُو الْهَوَى يَجْفُونَهَا * وَتَقْطِيعُ أَجَادَ عَلَى النَّارِ تُضَرِّمُ

إِشَارَةُ أَفْوَاهٍ وَتَغْمِزُ حَوَاجِبٍ * وَتَكْسِيرُ أَجْفَانٍ وَكَفَّ تُسَلِّمُ

فَحَسَدْتُهَا وَاقَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حِدْقِهَا وَمَعْرِقَتِهَا بِالْفَنَاءِ ، وَإِصَابَتِهَا لِمَعْنَى الشَّعْرِ ،

فَقُلْتُ : بَقِيَ عَلَيْكَ يَا جَارِيَّةُ ، فَضَرِبْتُ بِالْعُودِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَتْ : مَتَى كُنْتُمْ تُحْضَرُونَ

بِمَجَالِسِكُمُ الْبُغْضَاءَ ؟ فَتَدَمَّيْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي ، وَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ تَغَيَّرُوا لِي ، فَقُلْتُ :

أَمَّا عِنْدَكُمْ عُودٌ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَأَتَيْتُ بِعُودٍ ، فَأَصْلَحْتُ مِنْ شَأْنِهِ ثُمَّ غَشِيَتْ

ما للنازل لَا يُجِيبَ حَرِينَا * أَصَمَّنَ أَمْ قَدِمَ إِلَيَّ فَيَلِينَا؟

راحوا الْمَشِيَّةَ رَوْحَةً مذكورة * إِنَّ مُقَنِّ مَتْنًا أَوْ حَيِّنَ حَيِّنًا

فَا اسْتَحَمَّتْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَّةُ، فَاكْبَتَ عَلَى رَجُلٍ تَحْتَهُمَا،

وَقَالَتْ : مَعْدِرَةٌ بِاسِيدِي، فَوَاتَهُ مَا سَمِعَتْ أَحَدًا يُغْنِي هَذَا الصَّوْتُ غَنَاءَكَ، وَقَامَ

مَوْلَاهَا وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ، فَفَعَلُوا كَقَطْعِهَا، وَطَرِبَ الْقَوْمُ وَأَسْتَحْنُوا الشَّرْبَ فَشَرَبُوا، ثُمَّ
أَنْدَفَعْتُ أَغْنَى

أَنِي الْحَقُّ أَنْ تَمَشِيَ وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدِّمَا

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُحْبُهَا وَسَمَاحَتِي * لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبَسُّدٌ عَقْلًا

فَوَدَّى مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتْلَتِهِ * وَلَا تَتْرَكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُغْرَا

فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى نَخْرُجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ، فَأَمَسَكَ عَنْهُمْ سَاعَةٌ حَتَّى تَرَجَعُوا، ثُمَّ
غَنَيْتُ الثَّالِثَ

هَذَا يُحِبُّكَ مَطْوِيًّا عَلَى كَبِدِهِ * عَبْرِي مَدَامُوعَهُ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ

لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ

بَغِلْتُ الْجَارِيَّةُ تَصْبِيحَ: هَذَا الْفَتَاءُ وَاللَّهُ بِاسِيدِي، لَا مَا كُنَّا فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَسَكَّرَ

الْقَوْمُ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَتَرَلِ حَسَنَ الشَّرْبِ، صَحِيحَ الْعَقْلِ، فَأَمَرَ غُلَامَانَهُ أَنْ يُخْرِجُوهُمَ

وَيَحْفَظُوهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَخَلُوتٌ مَعَهُ، فَلَمَّا شَرِبْنَا أَقْدَاحًا، قَالَ : بِاسِيدِي، ذَهَبَ

مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِي ضَيَاعًا، إِذْ كُنْتُ لَا أَعْرِفُكَ، فَمَنْ أَنْتِ؟ وَلَمْ يَزَلْ يُلِحُّ عَلَيَّ، حَتَّى

أَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ، قَامَ وَقَبْلَ رَأْسِي، وَقَالَ: وَأَنَا أَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ إِلَّا لِلْمَلِكِ!

وَأَنِّي لِمَالِسٍ مَعَ الْخِلَافَةِ وَلَا أَشْعُرُ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي، فَأَخْبَرْتُهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى

صَاحِبَةِ الْكَفِّ وَالْمَعْصَمِ، فَقَالَ لِلْجَارِيَّةِ : قَوْمِي قَوْلِي لِفَلَاتِنَا تَزَلْ، فَلَمْ تَزَلْ تَزَلْ

جواريه واحدةً واحدةً، فانظر إلى كَفَّها ومِعَصَمِها، وأقول : ليس هي هذه ! حتى قال : والله ما بقي غير أختي وأُمِّي، والله لأتزلها إليك، فصَجْتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت : جُعِلْتُ فداك، أبداً بالأخت قبل الأُم فحسب أن تكون هي، فبرزت، فلما رأيت كَفَّها ومِعَصَمَها، قلت : هي هذه فأمر ! غلمانها، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر يَدْرَتين فيهما عشرون ألف درهم، ثم قال للشيخ : هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زَوَّجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي، وأموهتُها عنه عشرين ألف درهم، فَرَضِيَتْ وَقِيلَتِ النكاح، فدفع إليها بَدْرَةً، وفزق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال : ياسيدي، أُمَهَّدَ بعض البيوت فنام فيه مع أهلك، فأحسنتي مارأيت من كرمه، فقلت : أحضر عَمَّارِيَّةً ^(١) وأحلها لي منزلي، ففعل، فوآله يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فحجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفلي وأجازته .

٥

١٠

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني وهو الذي حاز قصبات السبق في فن الأدب على أترابه، وفاز من البلاغة بِجِدْحِها المَعْلَى في عُتُوان شبابه، رسالة وضعها في هذا الفن، وصار له بها على أهله غاية المُرَّ، مع نزاهة نفسه الأنيَّة، وارتفاعه عن المطاعم الدنية، وإنما وضعها تجربة لحاظه، وضمها إلى فوائد دفاثره، وهي :

١٥

هذا عهد عهده زارِد بن لاقم، لبالح بن هاجم، أسستفتمه بأن قال : الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق، أحده

٢٠

(١) العامرية : هودج يجلس فيه .

على أن أحلنا في منازل السادات، أرفع الدرجات، وأحل لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصنا بالمحل الحسيم المنيع، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهل السباحة والكرم والإكرام، صلاة تُحِلُّ قائلها في غُرُفَاتِ الحنان في دار السلام، وبعد، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ مَهُوبَةٌ، وَحِرْفَةٌ هِيَ عِنْدَ الظرفاء مَحْبُوبَةٌ، لَا يَلْبَسُ شِعَارَهَا إِلَّا كُلُّ مُقْدَامٍ، وَلَا يَرْفَعُ خَافِقَ عِلْمِهَا إِلَّا مَنْ عُدَّ فِي حِرْفَتِهِ مِنَ الْأَعْلَامِ، وَلَا يَتَلَوُّ أَسَاطِيرَ شِهَامَتِهَا إِلَّا مَنْ أَرْتَضَعَ أَفَاقِيكَ الصَّفَاقَةَ، وَلَا يَهْتَدِي لِنَارِ عَلائِهَا إِلَّا مَنْ نَزَعَ عَنْ مَنَكِيهِ رِدَاءَ الرِّقَاعَةِ وَالْحِمَاقَةِ، وَكُنْتُ وَالْقَوْدُ غَدَاقِي الْإِهَابِ، وَالْفَنَنِ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ، وَالْقَدُّ يَمِيسُ فِي حُلَّةِ النَّشَاطِ، وَالْقَدَمُ تَدْرَعُ الْأَرْضَ ذَرَعَ الْأَخْتِبَاطِ، لَا يَقَامُ سَوْقٌ وَلِيْمَةٌ إِلَّا وَأَنَا السَّاعِي إِلَيْهَا، وَلَا تَرْفَعُ أَعْلَامَ نَارِ مَادِبَةٍ إِلَّا وَكُنْتُ الْوَاقِفَ لَدَيْهَا، أَتَخَذُ الدُّرُوبَ شِبَاكَاً لِلْأَصْطِيَادِ، وَجِبَائِلَ أَبْلُغُ بِهَا لَذِيذَ الْأَزْدَادِ، قَدْ جَعَلْتُ الْمَطْسَ حَلِيفَ الْهَوَاءِ، وَالْقَلْبَ نَزِيلَ الْأَهْوَاءِ، فَبِثَّ عَبَقْتُ رَوَائِحَ الْأَبَازِيرِ مِنْ أَعَالَى تِلْكَ الْقُصُورِ، وَتَمَنَّدْتُ تِلْكَ الشُّوَارِعَ بِزَعْفَرَانِ الْبَرَمِ وَالْقُسُودِ، أَلْقَيْتُ عَصَا الْمَسِيرِ عَلَى الْبَابِ، وَخَلَبْتُ بِحَسَنِ أَدَبِي قَلْبَ الْبَوَابِ، وَأَوْسَعْتُ فِي وَصُولِي أَلْفَ حِيلَةٍ، وَجَعَلْتُهَا عَلَى مَا عِنْدِي مِنْ حَسَنِ فَنَوْنِهَا نَحِيلَةً، فَلَا دَعْوَةَ، إِلَّا وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ دَعْوَةً، وَلَا وَلِيْمَةَ خِتَانٍ، إِلَّا وَقَدْ طَلَعْتُ عَلَى أَرْجَائِهَا مِثْلَ الْجَنَانِ، وَلَا سِمَاطَ تَانِيْبٍ، إِلَّا وَكُنْتُ إِلَيْهِ السَّاعِي الْمُنِيبَ، وَلَا تَجْمَعُ ضِيَافَةً، إِلَّا وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَشَدَّ أَفَّةً، وَلَا مَلَكَ عُرْسٍ مَشْهُودٍ، إِلَّا وَآتَنَظَّمْتُ فِي سِلْكِ الشُّهُودِ، بِحَسَنِ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ

لو طُبِخَتْ قَدْرٌ بِمَطْمُورَةٍ * مَوْقَعُهَا الشَّامُ وَأَعْلَى النُّوُورِ

وَأَنْتَ فِي الصِّينِ لَوْافِيهَا * بِعَالَمِ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ

واليوم قد مال القويمُ إلى الأعوجاج، وعزَّ بازى الشهب غُرَابِ الشَّعْرِ الدَّاج،
وقيد الزَّمَنُ أَقْدَامًا، ومنعت الشيخوخة إقْدَامًا، وصرتُ لها على وَصَمٍ، بعد أن كنت
نارا على عَمٍّ، وقد أفادتني التَّجَرُّبَةُ من هذه الصَّنَاعَةِ فنونا، وتلت على من محاسنها متونا،
وقد أبقيت لكلِّ مَجْمَعٍ بابًا، وقد تَلَكَّتْ لكلِّ مَشْهَدٍ حسابًا، وقد أَقْضَى حَسَنُ الرَّأْيِ
أنْ أَفْضُ إِلَيْكَ أَمْرَهَا، وَأودِعَ تَأْمُورَ قَلْبِكَ وَحِسَّ سِرِّهَا، على بَانَكَ الْكَيْسِ
الْمَعِينِ، بل الْأَمَلِيِّ الذَّرِبِ الْمَرِينِ، لو عَقِدْتَ أَكْلَةَ الْوَلَامِ بِغَابٍ وَجِلْهَ، وَأَحْسَنَ بَنَاتِيهِ
الْجَمِيلِ مَدْخَلَهُ وَتَحَرَّجَهُ، وقد شَاهَدْتُ من أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ، مَا يُقَالُ عِنْدَ ذَهَابِ:

❦

ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، وقد عَيْهَتْ إِلَيْكَ، وَأَسْتَخِرْتَ اللَّهَ فِي التَّعْوِيلِ عَلَيْكَ،
فَنُظِّقَ مِنْ يُخْطَبُ لِلنَّاصِبِ، وَيَتَسَمَّى ذَرَوَةُ الْمَرَاتِبِ، ودونكَ مَا أُطْلِقُ بِهِ مِنَ الْوَصَايَا،
وَأَحْفَظُ مَا يَرُدُّهُ لِسَانُ الْقَلَمِ مِنْ جَمِيلِ الْمَزَايَا، إِيَّاكَ وَمَوَائِدَ الْإِثَامِ، وَأَتَزَلُّ بِسَاحَاتِ
الْكَرَامِ، وَأَتَخَذُ الشُّرُوعَ فِي الشُّوَارِعِ حِرْفَةً، وَأُظْهِرُ عَلَى مَشِيكِ صِلَافَةِ وَعِظَةٍ، وَمَيِّزَ
بَيْنِكَ حُسْنَ الْمَسَاطِبِ وَفُشَّ السُّتُورِ، وَجَمَالَ انْتِلَاحِمْ وَقُودِ الصُّدُورِ، وَأَقْصِدُ
الْأَبْوَابَ الْعَالِيَةِ، وَالْأَكْلَةَ الْمُنْعَوِشَةَ الْجَالِيَةِ، فَإِنْ دُلَّتْ عَلَى مُأْدِبَةٍ نَصَبَهَا بَعْضُ
الْأَعْيَانِ، وَجَمَعَ إِلَيْهَا أَصْحَابَهُ الْإِخْوَانَ، فَالْبَسَ مِنْ ثِيَابِكَ الْجَمِيلَةِ قَشِيهَا، وَضَوَّعَ
بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ طِييَهَا، وَأَتَقَنَ خُبَرَ صَاحِبِ الدَّارِ وَأَخْبَارَهُ، وَقَفَ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ
مِنَ الْحَارَةِ، إِذَا رَأَيْتَ الْجَمْعَ وَقَدْ تَهَادَّوْا بِالْهُوَادَى وَالْأَقْدَامِ، وَتَهَادَّوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ لَنَيْدَ
الْكَلَامِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِقَلْبِ قَلْبِ الْأُمُورِ، وَعَلِمَ بِحَسَنِ تَطْلُعِهِ وَتَضْلُعِهِ دَاءَ الْجُمْهُورِ، وَقُلْ
لَهُمْ: رَبِّ الدَّارِ قَدْ اسْتَبْطَأَكُمْ، فَا الَّذِي أَبْطَأَكُمْ؟ حَتَّى إِذَا قَارَبُوا صُغُودَ الْعَتَبَةِ،

- ولم تبقَ هنا لك مَعَبَّةٌ ، قدَّم رافعا لم السُّتور ، ومعزفا بمقدار أولئك الصدور ،
 فالأضياف ، يستمدون أنك غلام المضياف ، وربُّ الحِلَّةِ ، يعتمد أنك رفيق السادة
 الحِلَّةِ ، وإن وُلِّجَتْ مجتمع ختان ، وقد نُصِبَتْ فيه موائدُ الألوان ، وذُرِفَتِ الأبواب ،
 وأكْفِهَتْ وجوهُ المُجَّاب ، فاجعل تحت ضِيقِ المجمع ، وأخدع قلوبهم فتلك من
 يَتَّعِدُ ، وقل : رفيق الأستاذ ومعيته ، ورجله التي يسعى بها بل يمينه ، حينئذ تُرْفَعُ •
 السُّتور ، وتُقدَّم لك أطيابُ القدور ، وإن رماك القَدْرُ على باب غفل عنه
 صاحبه ، وسها في غفلة حاجبه ، وقد مدُّوا في أوانيه سِمَاطا ، وجعلوا لأوائل من
 يقدمه فِرَاطا ، وقد تقاربت الزبادي ، وأمتدت الأيادي ، ورأيت السِّمَاط رَوْضَةً
 تتخالفت ألوانها ، وأمتدت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل
 بروج ثابتة تُشعِرُ بسكونها ، فليج على غفلة من الرقيب ، وأبسُط بَنانَ الأكل وكُفِّ ١٠
 لسان الحبيب ، فإن قيل لك : أما غلَى دونك باب ؟ قل : ما على الكرماء من حِجَاب ،
 وإياك والإطالة على الموائد ، فإنها مصايِدُ الشوارد ، وإياك والقَدَّارَةَ عليها ، فإنها إمارة
 الحِرْمان لديها ، وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام ، قليلة الأزدحام ، كَبَّرَ القِمة ولا تطل
 عَلَئِهَا ، ومُرَ الفِكِّ في سرعة أن يَفُكَّهَا ، فإنك ما تدرى ما مُحدث الليالي والأيام ، خِيفَةَ
 أن يَعرَّ عليك بعض الأثوام ، فتكتسى حُلَّةَ الخَجَل ، وتظهر على وجهك صُفرة ١٥
 الوجَل ، وأجعل من آدابك ، تطلعك الى أثوابك ، ولا ترفع لمستجَل وجهها وجبها ،
 وقل لمن يحادثك : إيه ولا تهل : إياها ، وجاوب بنعم ، فإنها مُعِينة على اللَّقَم ، وأجعل
 لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ على أهل الولايم والمآدب مِيلَةً وأتَى مِيلَةً ،
 وأسأل عمن ورث من آبائه مالا ، وقد جمعه بوَعَاء السفر وعَتَائِه حراما وحلالا ،
 أهل يَتَعَدُّ مقاما ؟ أم يَبْلُغُ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان فلان رَّبَّ ٢٠

هذه المتابة ، وصاحب السعوة المجابة ، فكن ثالثة الأثافي لِيَايَه ، وانتظم في سلك
عشرائه وأترابه ، وتعمّد الأسواق خصوصا الهاميين ، ومواطن الطبخ ومساطب
المطربين ، وجمع القراء ومعاهد محالّ الوعاظ ، وكلّ بقعة هي مظنة فرح يمود عليك
نضحه وكن أول داخل وآخر خارج ، ومل إلى الزوايا ، فهي أبجل مالهذه الحرفة من
المزايا ، وقفل ركابك في كل يوم ، فسارة في سوق اللحم وثارة في سوق التّوم ، وغير
الحلية ، وقصير الحية ، وأبرز كل يوم في لباس ، فهو أكثر للالتباس ، وجدّد البهت
حتى تقهّد عصاك ، وتجمعه ذريعة لمن عصاك ، وأقن الفنون المحتاج إليها من غنى
ونجامة ، وطب وشهامة ، وتاريخ وأدب ، وكرم أصل وحسب ، وحاطي التوقيت
والترذيل ، فاجعلهما دأبك ، فإنّا عرفوك ، وحضر الجمع وكشفوك ، فطرز كل عفل
بحاسن أقوالك ، وكلّ جيد كلّ مادبة يجواهر أفضالك ، وأعلم أنها صنعة دثرت
معالمها ، وفلّ عالمها ، ولو لم أر على وجهك محائل بشرها ، وعلى أعطاف أردافك روايح
نشرها ، لما أقيت إليك كلب عهدنا ، ولا حملت لبابك راية مجدها ، فتلق راية
هذا المهد بساعده مساعد ، وعضد في الولوج على الأشمطة معاضد ، فوضت إليك أمر
من نخل يجواهرها المنظومة ، وليس حلالها القشبة المرقومة ، وبسطت لسان
قلبك في رقم عهدنا ، وأذنت لك أن تجرحهم على سنن مهودنا ، وإياك أن تعهد
إلا لمن ملك خصالها ، وجلس خلالها ، وأستجلى هلالها ، وأقن أحوالها ، ولاية
عامة ، وكلمة مبرمة تامة ، حرس الله بك معقل الأدب واللطافة ، وعما بك معالم
الثقالة والكثافة .

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
 إِنَّكُمْ لَعَنَتمُ إِذَا هُمْ يَشْكُرُونَ) وَرَوَى أَن دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ مَنَادِيَهُ فَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،
 اجْتَمِعُوا لِأَعْلَمِكُمُ التَّقْوَى ، فَاجْتَمِعُوا قِيَامَ فِي مَحْرَابِهِ ، فَبَكَى ثُمَّ حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
 ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تُدْخِلُوا هَاهُنَا إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْهُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَأَشَارَ
 إِلَى فِيهِ . قِيلَ : أَوَّلُ آدَابِ الْأَكْلِ ، مَعْرِفَةُ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ ، وَالْخَبِيثِ مِنَ
 الطَّيِّبِ .

وَأَمَّا الْآدَابُ فِي هَيْئَةِ الْمُؤَاكَلَةِ وَأَفْعَالِهَا ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مَا طَابَ طَعَامًا قَطُّ ، إِنْ أَشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « لَا تَسْمُوا الطَّعَامَ كَمَا تَسْمُو الْبَهَائِمَ ، مِنْ أَشْتَهَى شَيْئًا فَلْيَاكُلْ ، وَمَنْ كَرِهَ
 ١٠ قَلْبَيْدَعٌ » . وَقَالَ أَنَسٌ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ ،
 وَدَخَلَ دَارَنَا ، فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً ، فَشَرِبَ ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ ، وَأَعْرَاجِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَقَالَ
 عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْطَى أَبَا بَكْرٍ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَانُ
 فَاَلْإِيمَانُ » وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عُمَيْرٍ . وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا إِيْمَانًا ١٥

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ،
 ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ، ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ قَطَعَ الثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ جَرَعَ مَصًّا ، حَتَّى
 فَرَّغَ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ . وَقَدْ نَدَبَ إِلَى غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الْأَكْلِ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي الْفَقْرَ ، وَيُنَبِّئُ اللَّيْمَ ،
 وَمِنَ السُّنَّةِ : الْبَدَأَةُ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَحَمْدِهِ عِنْدَ الْإِشْتِهَاءِ .

رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ : مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَأْكُلُ ، فَقَالَ « أَجْلِسْ يَا بُنَيَّ وَسَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ مِمَّا بِيَدِكَ » .

وَقَالَ بَعْضُ السُّنَنَ : إِذَا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا ، فَقَدْ كَلَّ كُلُّ شَيْءٍ ، إِذَا كَانَ حَلَالًا ، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَحَمِدَ اللَّهُ حِينَ يُفْرَغُ مِنْهُ .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ قَالَ عِنْدَ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ بِسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لَمْ يَضُرَّهُ مَا أَكَلَ وَمَا شَرِبَ » وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ نَبِيَّ فِي أَوَّلِهِ ، فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ » .

وَرَوَى : أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا دَعَا أَصْحَابَهُ قَامَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَكُنَا فَاصْنَعُوا بِالْفُقَرَاءِ .

وَوَصَفَ شَاعِرٌ قَوْمًا فَقَالَ

جُلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَاقٌ • وَإِنْ ضَيْفٌ أَلَمَ بِهِمْ وَوُقُوفٌ

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُصَيْنٍ : شَهِدْتُ الْحَسَنَ فِي وَلِيمَةٍ ، فَطَعِمَ ثُمَّ قَامَ ، فَقَالَ : مَدَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْعَافِيَةِ ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ فِي الرِّزْقِ ، وَأَسْتَعْمَلَكُمْ بِالشُّكْرِ .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « تَحَلَّوْا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ » .

وَفِي حَدِيثٍ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَلَيْكُمْ بِالْحَسَنَيْنِ : يَعْنِي السَّوَاكَ وَالْحِلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الْاِثْرَةَ،
وبجاهدة الشهوة، وَلَا تَهْتَسْ نَهْسَ السَّبَاعِ، وَلَا تَخْضَمَ خَضَمَ الْبَرَاذِينِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَلَكَ
إِنْسَانًا، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بَيْمَةً .

- وحكى عن بعض الكتاب قال : تفديت مع المأمون فالتفت لى وقال : خلال
فبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد، والآنكباب على الطعام، وكثرة أكل
البقل، ومعنى ذقه هذه الخلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غمسه
في الطعام، والآنكباب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والتهم . قال الشاعر
لقد سترت منك الإخوان عمامة ٠ دجوجية ظلماتها ليس تفلح
وأما البقل، فإن الحاجة إلى البلغة منه، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم، لأنه مرعاها .
وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء
الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أى الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما من قدر فإذا
أشهى، وأما من لم يقدر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها

- قال الله عز وجل : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من زاره أخوه المسلم فقترب إليه ما تيسر غفر له وجعل في طعامه البركة، ومن
قرب إليه ما تيسر فاستحق ذلك كان في ممّت من الله حتى يخرج » . وقالت عائشة
رضي الله عنها : أولم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مدين من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : **أَعْمَلُوا وَلَا تَعْمَلُوا لِبَطُونِكُمْ** ، وإياكم وفضول الدنيا ، فإن فضولاً رَجَزُ ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها (١٠٦) من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ، فإن قلتم : بطوننا أعظم من بطونها ، فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

• **وَرَوَى أَثَرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : لما دخل شهر رمضان كان يفطر ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لثمتين أو ثلاث ، قيل له ، فقال : إنما هي أيام قلائل يأتي أمر الله وأنا نحيط به ، قتل من ليلته .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **"مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ مَحَّ بَدَنِهِ وَصَنَّا قَلْبَهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ سَقِمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ"** . وعند صلى الله عليه وسلم قال : **"مَا زَيْنَ اللَّهُ رَجُلًا بِزِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَقَافِ بَطْنِهِ"** . قال حاتم

أَيُّتُ نَحِيصِ الْبَطْنِ مُضْطَمِرِ الْحَشَا • مِنْ الْجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أَنْ تُضْلَعَا
فَإِنَّكَ إِنَّمَا أُعْطِيتَ بِطْنِكَ سُؤْلَهُ • وَفَرَجَكَ نَالَا مِنْهُي الذَّمَّ أَجْمَعَا

وقال بعضهم : رأيت مجنوناً ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت ممن دُعِيَ ، فقلت : ألا تدخل فتأكل ؟ فإن الطعام كثير ، قال : ١٥ وإن كثرت فإني ممنوع منه ، فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : **أَأَكَلُ طَعَاماً لَمْ أَدْعَ إِلَيْهِ ؟ لَقَدْ أَضْطَرَّنِي إِلَى ذَلِكَ غَيْرُ الْجُوعِ** ، فقلت : ما هو ؟ قال : **دَنَاءَةُ النَّفْسِ وَسُوءُ الْفَرِيضَةِ** ، قال شاعر

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ مَطَائِمِ جَمَّةٍ • إِذَا زَيْنَ الْفَحْشَاءَ لِلنَّفْسِ جُوعُهَا

وقال أتر

وأعيرُ من مَطاعِمٍ قد أراها * فأتزكها وفي البطن أنطواء
فلا وأبيك ما في العيش خيرُ * وفي الدنيا إذا ذهب الحياة!

قال الجنيد : مرّ بي الحارث بن أسد المحاسبي ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت :

- يا عمّ ، تدخل الدار وتناول شيئاً ؟ قال : نعم ، فدخل ، وقدمت إليه طعاماً حُمِلَ
إلى من عُرِسَ ، فأخذ لقمة فلاكها ونَهَضَ فالتقاها في التّهلِيلِ ومضى ، فالتقيت به
بعد أيام ، فقلت له في ذلك ، فقال : كنت جائعاً ، وأردت أن أسرك بأكل ،
ولكن بني وبين الله تعالى علامة ، أن لا يُسَوِّغَ طعاماً فيه شُبْهة ، فن ابن كان
ذلك الطعام ؟ فأخبرته ، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم ، فقدمت إليه كِسْراً
كانت لنا فاكل وقال : إذا قدمت لفقر شيئاً ، فقدم مثل هذا .

رُوي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحَكِيمِ : أَكثِرُوا لِمِ الطعام ، فوافقه
ما يَطْنُ قوم إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةٌ رجل بات بطينا ، فلما وجد
معاوية ما قال صحبها ، قال : الِيطْنَةُ تُحِبُّ الِيطْنَةَ .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُبْمِتُوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب ، فإن القلوب تموت كالزَّرْعِ إذا كثُر عليه الماء » .

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً فقال : ما هذا ؟ قال : قرمت
إليه ، قال : ويحك ! قرمت إلى شيء فأكلته ، كفى بالمرء شرّاً أن يأكل كل ما يشتهي .

قال ابن دريد : العرب تُعيرُ بكثرة الأكل ، وأنشد

لستُ بأَكَلٍ كأكل العبد * ولا ينوأم كنوَمَ الفهد

وقال عمر رضى الله عنه : ما أجمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لصق بطني بظهرى ، أجوع الجوعة فانخرج ترخني المرأة فما ألفت إليها ، وأشبع الشبعة فانخرج فأرى عيني تعلعان .

ذكر أخبار الأكلة

قد نُسب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى المِعم ، فمن ذلك ما حكاه المحدثون في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بسجل مشوي ، فاكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع قراني^(١) ، وجدياً حاراً ، وجدياً بارداً ، سوى الأكلوان ، ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلاء الرطب ، فأتى عليه ، وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أكالات آخرهن أشدهن ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوافقه ما شيعت ، ولكنى ملأت .

ومنها عبيد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمس أكالات آخرها جنبنة بقل ، ويضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق أو جدى^(٢) فيأتى عليه وحده .

ومنها المجاج بن يوسف ، قال سالم بن قتيبة : كنت في دار المجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا جاء الأمير ، فدخل المجاج وأمر بتنور ، فنُصب ، وأمر رجلاً بيمز خبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاماً من السمك بثمانين رغيفاً من خبز الماء .

ومنها سليمان بن عبد الملك ، روى أنه شوى له أربعة وثمانون خروفاً ، فذبه إلى كل واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه ، مع أربعة وثمانين رغيفاً ، ثم أذن للناس ، وقُدم الطعام ، فأكل معهم أكل من لم يلق شيئاً .

(١) القراني : خبز يشوى ويروى ممناً وليناً وسكراً .

(٢) الساق : الأنثى من أولاد المعز .

وقال السَّمَرْدَلُ ويكل عمرو بن العاص : قَدِمَ سليمان بن عبد الملك الطائف ،
فدخل هو وعمر بن عبد العزيز ، فجاء حتى ألقي صدره إلى غصن ، ثم قال : يا سَمَرْدَلُ ،
ما عندك شيء تُطْعِمُنِي ؟ قلت عندى جَدْعٌ تَدْعُو عليه حَافِلٌ وروح أنرى ، قال :

(١٠٧)

عَجَلُ بِهِ ، فأتيته به كأنه عُكَّةٌ سِن ، فجعل يأكل ، وهو لا يدعو عمر ، حتى بقي منه نَخَذٌ ،
قال : يا أبا حفص ، هَلُمَّ ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ، ثم قال : يا سَمَرْدَلُ ويليكَ !

ما عندك شيء ؟ قلت : دجاجات ست ، كأنهن رِثْلانُ النعام ، فأتيته بهن فأتى عليهن ،
ثم قال : ويليكَ يا سَمَرْدَلُ ! ما عندك ؟ قلت : سَوِيقٌ كأنه قُرَاضَةُ الذهب ، فأتيته
بُحْسٌ^(١) يَيبُ فيه الرأس ، فشر به ، فلما فرغ تجشأ كأنه صارخ في جُبٍّ ، ثم قال :

يا غلام ! أفرغتَ من غدائنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نَيْفٌ وثمانون قِدرًا ،

قال : فأت بقدر قدر ، وبقناع عليه رُقَاقٌ ، فأكل من كل قِدر ثلاث لقم ، ثم مسح
يده وأستلقى على فراشه ، فوضع الخوان ، وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل ، هلال بن الأسعر المازني ، قال المستمر بن سليمان :

سأله عن أكله فقال : جعْتُ مرةً ومعى بَعِيرٌ لي فتحرَّته وأكلته إلا ما حملتُ منه

على ظهري ، فلما كان الليل راودتُ أمةً لي فلم أصل إليها ، فقالت كيف تفعل إلى

وَبَنِي وَبَنِكَ جَمَلٌ ؟ فقلت له : كم بلغت هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .

وحكى أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتابه المترجم بشر الدر : أن هلالا

هذا أكل بعيرا ، وأكلت أَمْرَأَتُهُ فصيلا وجامعها ، فلم يتمكن منها ، فقالت له : كيف

تصل إلى وبنى وبنيك بعيران ؟ وله حكايات ذكرها الحمدوني في التذكرة ، والأبي

في ثر الدر تركها اختصارا .

ومنهم محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
جني بكرٍ شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم ، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
المأمون إذا وجهه في حاجة ، أمره أن يتفدى ويمضي فَرُوحَ إلى المأمون في المظالم :
إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبي خالد نَزْلاً ، فإن فيه كلبية ، إلا أن
الكلب يحرس المنزل بِكُسرة ، وابن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويُعين الظالم بِأَكْلة ،
فاجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمائدته ، وكان مع ذلك يشره الى طعام
الناس . ولما آنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبي خالد :

امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه بِجَل ما يحصل لنا عليه وأنفذ معه خادماً
يُنْهَى إليه ما يكون منه ، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكوه ،
ولما أتصل خبر أحمد بدينار ، قال للطباخ : إن أحمد أشره من تُفْع فيه الروح ، فإذا
رأيتَه قتل له : ما الذي تأمر أن يتخذ لك ؟ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج
كسكية بماء الزمان تقدم مع خبز الماء بالسמיד ، ثم هَاتِ بعدها ما شئت ، فابتدأ
الطباخ بما أمر ، وأخذ أحمد يُكَلِّم ديناراً ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا

قبلك ما لا قد حبسته علينا ، فقال : الذي لكم ثمانية آلاف ألف ، قال فاحملها ،
قال : نعم ، وجاء الطباخ فاستأذن في نصب المائدة ، فقال أحمد : تجلّ بها فإني
أجوع من كلب ، فقدمت وعليها ما أقترح ، وقدم الدجاج وعشرين فروجاً كسكية
فاكل أكل جائع نهم ، ما ترك شيئاً مما قدم ، فلما فرغ وقدر الطباخ أنه قد شبع ،
لوح بطيفورية فيها خمس سمكات شبايط كأنها سباتك الفضة ، فانكر أحمد عليه
إلا قدمها ؟ وقال : هاتها ، وأعاد أحمد الخطاب ، فقال دينار : أليس قد عرفتك

أن الباقي لكم عندي سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك أعترفت بأكثر منها، قال: ما أعترفت إلا بها، فقال: هات خطك بما أعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس قد أعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قيل إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدم الخادم، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد ناوله الخط، قال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء، فإبال الألف ألف الأخرى، فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما أعلم غداء قام على أحد بالفي ألف إلا غداء دينار، واقتصر على الخط ولم يتعقبه كراماً ونبلًا.

ومنها أبو العالية، حكى أن امرأة حملت خلقت إن ولدت غلاماً لأشيعن أبا العالية خبيصاً، فولدت غلاماً، فأطعمته، فأكل سبع جفان، فقيل له: إنها خلقت أن تشبعك خبيصاً، فقال: والله لو علمت لما شيعت إلى الليل.

ومنها أبو الحسن بن أبي بكر العلاف الشاعر دخل يوماً على الوزير المهملبي ببغداد، فأخذ الوزير من أخذ حماره الذي كان يركبه من غلامه، وأدخل المطبخ وذبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقدم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد أكلته، وعوضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافي في أخبار الأكلة.

ذكر ما قيل في الجبن والفرار

ومن أقبح ما هيى به الرجل أن يكون جباناً فراراً، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار، قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنصِفُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمَةً فَلَا تَتْلُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤْمَرْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى قِتَّةٍ قَدْ بَاءَ بِنَفْسِهِ مِنْ أَفْرِ

وَمَا أَوَاهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ) . وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) .
وقالت عائشة رضي الله عنها : إن لله خلقاً ، قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خَفَّتِ الرِّيحُ خَفَّتْ معها ، فَأُفَّ للجبناء ، أَفَّ للجبناء .

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدِي موضع إلا فيه طُعنة بُرْخٍ أو ضربة سيف أو رمية بنهم ، وهانذا أموت على فراشي خنق أُمى ، كما يموت العَيْرُ ، فلا نامت أعين الجبناء .

وقيل كتب زياد إلى ابن عباس : أن صف لي الشجاعة والجبن والحد والبخل فكتب إليه : كتبت تسألني عن طبائع رُكبت في الإنسان تركيب الجوارح ، أعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يصرفه ، والجبان يفر عن عُرْسِهِ ، وأن الجواد يُعطي من لا يلزمه ، وأن البخيل يُبْسِك عن نفسه ؛ وقال شاعر

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عِرْسِ نَفْسِهِ * وَيَتَمَيَّيْ شُجَاعُ الْقَوْمِ مِنْ لَا يَنَاسِبُهُ
وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي

يرى الجبناء أن الجبن حُرْمٌ * وتلك خديعة الطغيان اللئيم

وقالوا : حد الجبن الضيق بالحياة ، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه ، فذاك الذي يفر من أمه وأبيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تُؤويه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار . وقال هاني الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرضهم على القتال : يا بني بكر ! هالك معذور ، خيرٌ من نأج

فُرُور، المِيتَةُ، ولا الدُّنْيَةُ، أَسْتَبَالُ المَوْتِ خَيْرٌ مِنْ أَسْتِدْبَارِهِ، الثَّغْرِ فِي ثَغُورِ النُّجُورِ، خَيْرٌ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ، يَا بَنِي بَكْرٍ ! قَاتِلُوا، فَمَا مِنَ الْمَنَائِدِ، الْجَبَانُ مُبْغَضٌ حَتَّى لِأُمِّهِ، وَالشُّجَاعُ مُحَبَّبٌ حَتَّى لَعَدُوِّهِ .

وَيُقَالُ : الْجَبْنُ خَيْرُ أَخْلَاقِ النِّسَاءِ، وَشَرُّ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ .

- وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُنَبِّهٍ لِقَوْمِهِ حِينَ فَرَوْا مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي مُوَيْسَةَ : أَيْنَ ؟ قَالُوا : ذَهَبَ النَّاسُ ، قَالَ : أَفْ لَكُمْ ! فِرَارًا وَاعْتِذَارًا ! قَالَ : وَلِمَا قُوتِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنِي وَرَأَى الْغَلْبَةَ عَلَيْهِ فَرَا، فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ : أَتَرْضَى أَنْ يُحَدِّثَ بِهَذَا الْفِرَارِ عَنْكَ ؟ وَأَنْتَ الْقَاتِلُ

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْيَدَاؤُ تَعْرِفُنِي * وَالطَّنُّ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

- ١٠ فَكَّرَ رَاجِعًا، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَاسْتَقْبَحَ أَنْ يُعَيَّرَ بِالْفِرَارِ .

وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِبَعْضِ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ وَقَدْ ظَفَرَتْ بِهِ : أَخْبَرَنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِيهِمْ كَانَ أَشَدَّ إِقْدَامًا فِي الْمُبَارَزَةِ، قَالَ : لَا أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ مَقْبَلِينَ وَإِنَّمَا أَعْرِفُ أَفْئِدَتَهُمْ مُدْبِرِينَ، فَقُلْتُ لَهُمْ : يُدْبِرُوا لِأَعْرَفِكَ أَيْهِمْ كَانَ أَشَدَّ فِرَارًا .

وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

- ١٥ قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيِّدُهُ

لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى * قِصَافَهُ مِنْ قَرْمِجٍ فَيَعْرِفُهُ

وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ يُعَيِّرُ الْحَارِثَ ابْنَ هِشَامٍ بِفِرَارِهِ يَوْمَ بَدْرٍ

إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا الَّذِي حَدَّثَنِي * فَنَجَوْتُ مِنْ جَنَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

تَرَكَ الْأَحْبَةَ لَمْ يُقَاتِلْ دُونَهُمْ * وَنَجَا بِرَأْسِ طَيْمِرَةٍ وَحِلَامٍ

- ٢٠ مَلَأَتْ بِهِ التَّرَجِينَ فَأَرْمَدَتْ بِهِ * وَقَوَّى أَحْبَبَهُ بِشَرِّ مَقَامٍ

وقال أبو الفرج الأصفهاني : وكان أبو حبة النخري وهو الهيثم بن الربيع
 ابن زُرارة جباناً بخيلاً كذاباً ، قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسميه : لعاب المنية ،
 ليس بينه وبين الخشبة فرق ، قال : وكان أجبن الناس ، قال : فحدثني جاره ،
 قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً ، فأشرفت عليه ، وقد أنتضى سيفه ،
 وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المغترُّ بنا ، المجترئ علينا ، بلس والله
 ما أخفرت لنفسك ، خيرٌ قليل ، وسيفٌ صليل ، لعاب المنية الذي سمعت به ،
 مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، أخرج بالقو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة
 عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقيم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله القضاء خيلاً
 ورجلاً ، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فينا هو كذلك ، إذا الكلب قد خرج ،
 فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفانا حرباً .

١٠

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم ، قول الشاعر
 ولو أنها عُصْفُورَةٌ لحسبتها * مسومةٌ تدعو عبيداً وأزماً^(١)

ومثله قول عروة بن الورد
 وأضحجُ قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خَطَفَ الطير من كلِّ جانب
 وقال آخر

١١

مازلت نَحْسِبُ كلَّ شيءٍ بدمهم * خيلاً تَكُرُّ عليهم ورجالا

وقول أبي تمام
 مَوْكَلٌ بيفاع الأرض يشرفه * من خِفة الخوف لا من خِفة الطَّوَرِ

وقال ابن الرومي

(١)
وفارس أجبن من صفيرد * يحول أو يفور من صفرة
لوصاح في الليل به صائح * لكنت الأرض له طفرة
يرحمه الرحمن من جبنه * فيرزق الجند به النصرة

ومن أخبار الفرارين الذين حسنوا الفرار على قبضه

(١٥٨)

قال صاحب كيلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه ، لأن النفقة فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .

وقالوا : من تَوَقَّى سَلَمَ ، ومن تَهَوَّرَ نَدِمَ .

وقال عبد الله بن المقفع : الشجاعة متفقة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثر من

المقتول مُدبراً ، فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة .

وليم بعض الجبناء على جبنه ، فقال : أزل الحرب شكوى ، وأوسطها نجوى ، وأحمرها بلوى .

وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد ، منعبة للطارف والتلاد .

وقيل لجبان : لم لا تقاتل ؟ فقال : عند النطاح يُتَلَب الكباش الأجم .^(٢)

وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظفر .

وقالوا : الشجاع ملق ، والجبان موق . قال البديع الهمداني

ماناقهما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتسواني

وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

(١) الصعرد : طائر يقال له : أبو الملح وهو طائر جاد .

(٢) الأجم : الذي لا قرن له ، وهو مثل يصرب لمن عليه صاحبه بما أعد له .

وقالوا : السِّلْمُ أَزْكَى لِّالسَّالِ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الزَّوْجَالِ .

وقالوا : الحِمَامُ فِي الْإِقْدَامِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي الْإِحْجَامِ .

وقال المتوَكِّلُ لِأَبِي الصِّبْيَاءِ : إِنِّي لِأَفَرِّقُ مِنْ لِسَانِكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْكَرِيمُ
ذُو فَرْقٍ وَإِحْجَامٍ ، وَاللَّيْمُ ذُو وَقَاحَةٍ وَإِقْدَامِ .

وقيل لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تَعْرِفُ الْقِتَالَ ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْرَكَ بِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَبْغِضُ
الْمَوْتَ عَلَى فِرَاشِي فِي عَافِيَةٍ ، فَكَيْفَ أَمْضِي إِلَيْهِ رَكْضًا ؟ قَالَ شَاعِرٌ

تَمِثِّي الْمَنَايَا إِلَى قَوْمٍ فَأَبْغِضْهَا * فَكَيْفَ أَعْدُو إِلَيْهَا عَارِي الْكَفَنِ ؟

وقيل لِزَيْدٍ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا بِاللَّيْلِ ، فَكُنْ
لِلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ أَوْلَى مِنْهُ هَلِيكَ » فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ قَبْلِي ، فَأَقَعُ
مَعَهُ فِيمَا أَكْرَهُ ، وَإِنَّمَا الْمَرْبُ خَيْرٌ .

وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَارِئًا يَقْرَأُ (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ
أَوْ أَلْقَيْتُمْ وَإِذَا لَا تُمْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا) فَقَالَ : ذَلِكَ الْقَلِيلَ زَيْدٌ .

وَلَمَّا قَرَأَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنُ أَسَدٍ يَوْمَ مَرَدَاءَ هَجَرَ بِالْبَحْرَيْنِ مِنْ
أَبِي قُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا ، فَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَكَلِّمُونَهُ
وَلَا مَا يَقُولُهُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ ، أَيْهَتُونَهُ بِالسَّلَامَةِ أَمْ يَمَزُونَهُ بِالْفِرَارِ ، حَتَّى دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ
أَبْنُ الْأَهِمِّ ، فَاسْتَشْرَفَ النَّاسَ لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا : مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ لِمَنْهَزِمٍ ؟ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ :
مَرْحَبًا بِالصَّابِرِ الْمَخْذُولِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَظَرَ لَنَا عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَنْظُرْ لَكَ عَلَيْنَا ، فَقَدْ
تَعَرَّضْتَ لِلشَّهَادَةِ جِهْدَكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ حَاجَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَيْكَ فَأَبْلَكَ لَمْ
يَخْذُلَانِ مِنْ مَمْلَكَ لَكَ ، فَقَالَ أُمَيَّةٌ : مَا وَجَدْتُ أَحَدًا أَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِي غَيْرَكَ .

وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتناؤه عن الفرار

الله يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَتَلْتُمْ * حَتَّى عَلَوْا مُهْرَى بِأَشَقَرٍ مُزِيدٍ
وَعَلِمْتُ أَنَّ إِبْنَ أَقَاتِلٍ وَاحِدًا * أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَفْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجَبَةُ فِيهِمْ * طَمَعًا لَمْ يَعْقَابُ يَوْمَ سَرْمَدٍ
وَقَالَ زُفَرٌ بِنَ الْحَارِثِ وَقَدْ فَرَّ يَوْمَ مَرْجٍ رَاهِطٍ عَنْ رَفِيقِهِ

- أَيْدَهُ يَوْمَ وَاحِدٍ إِنْ أَسَانَهُ * بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحَسِينِ بَلَانِيَا؟
فَلَمْ تَرُمْنِي زَلَّةً قَبْلَ هَذِهِ * فِرَارِي وَتَرَكِي صَاحِبِي وَرَأِيَا

وهي أبيات نذكرها إن شاء الله في التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب
من أبيات يخاطب بها أخته رَيْحَانَةَ، وقد فر من بني عبس

- أَجَاعِلَةً أُمُّ النُّوَيْرِ خَزَائِيَّةٌ * عَلَى فِرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسٍ
وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جَبَنِ يَوْمِهِ * إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ بِالْأَمْسِ

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وكان قد فر يوم الحرة
من جيش مسلم بن عقبة، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة جعل يقاتل
أهل الشام ويرتجز

- أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ * وَالشَّيْخُ لَا يَفْزُ إِلَّا مَرَّةً
فَالْيَوْمَ أَجْزَى كَرَّةً فِرَّةً * لَا بَأْسَ بِالْكَرَّةِ بَعْدَ الْفِرَّةِ

ولم يزل يقاتل حتى قُتل؛ قال الفزاري السلمي

وفوارس لَبَسْتُهَا بِفُؤَارِسٍ * حَتَّى إِذَا أَلْبَسْتَ أَمَلْتُ بِهَا يَدِي
وَتَرَكْتُهُمْ تَقْضِ الرَّمَاحَ ظُهُورَهُمْ * مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَأَعْمَرٍ مُسْتَدٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي أَنْ تَحُولَ نَسَائِهِمْ * وَقُتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ لَا تَبْعِدُ؟

وقال آخر

قامت تُسَجِّنِي هِنْدُ قُلْتُ لَهَا : * إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ * مَا يَسْتَهَيُّ الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ
لِغَرِبِ قَوْمٍ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَّوْا
وقيل لبلان في بعض الوقائع : تَقَدَّمَ، فقال

وقالوا : هَتَمْتُ قُلْتُ : لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ تَحْطُمَا
فلو كان لي رأسان أُنْفِثْتُ وَاحِدًا * وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أَعْمَا
وَأَوْثَمُ أَوْلَادًا وَأَرْمَلُ نِسْوَةٍ * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقْدِمَا؟

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قالوا : الْحَقُّ قِلَّةُ الْإِصَابَةِ، وَوَضْعُ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ : هُوَ قُدْرَانٌ
مَا يُجِدُّ مِنَ الْعَاقِلِ، وَقِيلَ لِعَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ : مَا حَدَّ الْحَقُّ ؟ قَالَ : لَا حَدَّ لَهُ كَالْعَقْلِ .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : «الْحَقُّ أَبْنَصُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ،
لَأَنَّهُ حَرَمَهُ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَقْلُ» .

❦

وقيل : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، أَتَكْذِرُنِي لَمْ رَزَقْتُ الْآحَقَّ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ،
قَالَ : لِيَعْلَمِ الْعَاقِلُ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالْأَجْتِهَادِ .

وقال الشعبي : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً، كَانَ أَوَّلُ مَا يُعِدُّهُ عَقْلَهُ .
وقالوا : الْحَقُّ دَاءٌ دَوَاوُهُ الْمَوْتُ . وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ بِقَوْلِهِ (لِيُنْذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا) قِيلَ : عَاقِلًا، وَقَوْلِهِ (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَاتُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ عَقَلَ الرَّجُلُ ؟ » فَقَالُوا : مُتَّبِعُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَائِفِ الْخَيْرِ وَتَسَالُنَا عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْأَحْمَقَ يَصِيبُ بِجُحُودِهِ أَعْظَمَ مِنْ جُفُورِ الْفَاجِرِ ، وَتَرْتِفِعُ الْعِبَادَةُ غَدَا فِي الدَّرَجَاتِ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » .

وَمِنْ كَلَامٍ لِقَهَّانَ لَابَنِهِ : أَنْ تَكُونَ أَنْحَرَسَ عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطُوقًا جَاهِلًا ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ ، وَدَلِيلُ الْعَقْلِ النَّقْلُ ، وَدَلِيلُ النَّقْلِ الصَّمْتُ ، وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكُهُ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَالَجْتُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَعَالَجْتُ الْأَحْمَقَ فَأَعْيَانِي ؛ قَالَ شَاعِرٌ

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ * إِلَّا الْحِمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يَدَاوِيهَا

وَقَالَ آخَرُ

وَعِلَاجُ الْأَبْدَانِ أَيْسَرُ خَطْبٍ * حِينَ تَمْتَلُ مِنْ عِلَاجِ الْعَقُولِ

وَقَالَ آخَرُ

الْحَقُّ دَاءٌ مَا لَهُ حِيلَةٌ * تُرْجَى كِبَعُ الدَّجَمِ مِنْ مَسِّهِ

وَقِيلَ : إِذَا قِيلَ لَكَ إِنَّ فَقِيرًا اسْتَغْنَى ، وَغَنِيًّا اقْتَفَرَ ، وَحَيًّا مَاتَ ، أَوْ مَيِّتًا عَاشَ ، فَصَبِّحْ ، وَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ أَحْمَقًا اسْتَفَادَ عَقْلًا فَلَا تَصَبِّحْ .

وَقَالُوا : الْأَحْمَقُ لَنْتَى أُمُّهُ أَنَّهَا بِهِ مُشْكَلَةٌ ، وَنَتْنَى زَوْجُهُ أَنَّهَا مِنْهُ أَرْمَلَةٌ ، وَيَتْنَى جَارُهُ مِنَ الْعِزْلَةِ ، وَرَفِيقُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَأَخُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ .

وقال سهل بن هارون: وجدتُ موتة الجاهل، وعداوة العاقل، أسوة في الخطر،
ووجدتُ الأُسَّ بالجاهل، والوحشة من العاقل، سِتِّين في العيب، ووجدتُ غشَّ
العاقل أقلَّ ضرراً من نصيحة الجاهل، ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقع بالصواب من
يقين الجاهل، ووجدتُ العاقل أحفظ لما لم يُستَكَم من الجاهل لما استُكِمَ .
وقال لقمان لابنه : لا تُماشر الأحمق وإن كان ذا جمال ، وأنظر إلى السيف
ما أحسنَ منظره وأقبح أثره ! .

وقال على رضي الله عنه : قطيعةُ الجاهل تعدلُ صِلَّةَ العاقل ؛ وقال : صديقُ
الجاهل في تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدِيرِ ، أَرْجَى شَيْءٍ مِنَ الْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ ، وقال شاعر
عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ

والبيت المشهور السائر

وَلَأَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

وقيل : الحق يسلب السلامة ، ويورث الندامة ؛ وقد ذقوا مَنْ له أدب
بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : هو ذو أدبٍ وافرٍ ، وعقلٍ نافرٍ ؛ قال شاعر
فَهَبْكَ أَخَا الْأَدَابِ ، أَيُّ فَضِيلَةٍ * تَكُونُ لَدَيْ عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ ؟



ومن صفات الأحمق وعلاماته ، قيل : ما أعدمتك من الأحمق فلا يعدمك
منه كثرة الالتفات وسرعة الجواب ، ومن علاماته الثقة بكل أحد .

وَيُقَالُ: إِنَّ الْجَاهِلَ مَوْلَعٌ بِمَلَاوَةِ الْعَاجِلِ، غَيْرُ مَبَالٍ بِالْعَوَاقِبِ، وَلَا مُعْتَبَرٌ بِالْمَوَاقِظِ، لَيْسَ يُجِبُهُ إِلَّا مَا ضَرَّهُ، إِنْ أَصَابَ فَعَلَى غَيْرِ قَصْدٍ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ بِهِ غَيْرُهُ، لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وقالوا: سَتُ خِصَالُ تُعْرَفُ فِي الْجَاهِلِ، الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَالنَّيْطَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ، وَالنَّقْصَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وقالوا: غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ، وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا خُلْفًا، الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلَ، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلَ، وَإِذَا حَمَلَ عَلَى الصَّبِيحِ قَعَلَ .

وقال أبو يوسف: إِبْثَاتُ الْحِجَةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .
وقال وهب بن منبه: كَانَ يُقَالُ لِلْأَحْمَقِ إِذَا تَكَلَّمَ: فَضَحَهُ حَقُّهُ، وَإِذَا سَكَتَ فَضَحَهُ عَيْهِ، وَإِذَا عَمِلَ أَفْسَدَ، وَإِذَا تَرَكَ أَصْنَاعَ، لَا عِلْمَهُ يُعِينُهُ، وَلَا عِلْمُ غَيْرِهِ يَنْفَعُهُ، تَوَدَّ أُمَّهُ أَنهَا تَكَلَّتْهُ، وَتَمَنَّى أَمْرَائَتُهُ أَنَّهَا عَدِمَتْهُ، وَيَتَمَنَّى جَارُهُ مِنْهُ الْوَحْدَةَ، وَتَأْخُذُ جَلِيسَتُهُ مِنْهُ الْوَحْشَةَ .

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَحْمَقِ بِأَشْيَاءَ، قَالُوا: مَنْ طَالَتْ قَامَتُهُ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ، وَأَنْسَدَلَتْ لَحِيَتُهُ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَاهُ أَنْ يُعْرِفَهُ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامَ .
وَيُقَالُ فِي التَّوَرَاةِ: الْحَيَّةُ تَخْرِجُهَا مِنَ الدِّمَاغِ، فَمَنْ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهَا قَلَّ دِمَاغُهُ، وَمَنْ قَلَّ دِمَاغُهُ قَلَّ عَقْلُهُ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ .

وقالت أعرابية لقاضٍ قضى عليها: صَغُرَ رَأْسُكَ، فَبَعْدَ فِهْمُكَ، وَأَنْسَدَلَتْ لَحْيُكَ، فَكَوْجِعَ عَقْلُكَ، وَمَا رَأَيْتُ مَيْتًا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينِ خَيْرُكَ .

❦

وقال مسامة بن عبيد الملك للجسائنه : يُعرفُ حقُّ الرجلِ في أربع ، طولُ لحيتِه ، وبشاعةِ كنيته ، وإفراطُ شهوته ، ونقصُ خاتمه ، فدخلَ عليه رجلٌ طويلُ الهمة ، فقال : أما هذا فقد أتاكم بواحدة ، فانظروا أينَ هو من الثلاثِ ؟ فقبلَ له : ما كُنيتُ ؟ فقال : أبو الياقوتِ ، فقبلَ له : ما نُقشَ خاتمُك ؟ فقال : (وَقَقَقَدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدُودَ) قيل : فأى الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : الجَلَنَجِينُ^(١) ، فقال مسامة : فيه ما بعدَ كنيته ، مع طولِ لحيتِه ، مع نقشِ خاتمه ، شكُّ لمُعتبرٍ .

قال الشعبي : خطبَ المجاجُ يومَ جمعةٍ فاطملاً ، فقام إليه أعرابيٌّ ، فقال له : إن الوقتَ لا ينتظرُك وإنَّ الربَّ لا يَعدُّك ، فأمر به فحبسَ ، فأتاه أهلهُ يشفعون فيه وقالوا : إنه مجنونٌ ، فقال المجاجُ : إن أقربَّ بالجنونِ خَلِيتُ سبيلَه ، فأتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا واللهِ ، لا أقولُ إن اللهَ آتِلاني وقد عافاني ، فبلغَ كلامُه المجاجَ ، فعظمَ في نفسه وأطلقَه .

وقال الأصمعيُّ : قلتُ لفلايم من أبناء العربِ : أيسرك أن يكون لك مائةُ ألفٍ وأنتَ أحمقُ ؟ قال : لا واللهِ ، قلتُ : ولم ؟ قال : أخافُ أن يَنيَّيَ عليَّ حُقي جَنابَه ، فَنَذهبَ مِنِّي ، ويبقى حُقي .

والعربُ تَضِرُّ المثلَّ في الحَقِّ بيجلِ بنِ الجُهمِ ، ويزعمون أنَّه قيلَ له : إنَّ لكلَّ فارسٍ جوادٍ أسماً ، وإنَّ فرسَكَ هذا سابقٌ فسمِّه ، ففَقَّأ عينَه وقال : سمِّيتُه الأَعورَ ، وفيه يقولُ الشاعرُ

(١) قال صاحب أقرب الموارد : الجَلَنَجِينُ : معجونٌ يَصِلُ من الوردِ واللبسِ ، فارسيٌّ مَصْرَبٌ عن

كلمة "كَلَّ" ومماها ورد ، وعن طه "أَنكِين" ومماها عِلَّ .

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بِدَاءِ أَبِي سَم * وهل أحدٌ في الناس أحمق من عجلٍ؟

أليس أبوهم عازٍ عَيْنَ جَوَادِهِ ؟ * فسارت به الأمثالُ في الناس بالجهل !

ويضربون المثل في الحق يَهَيِّقَةَ الْقَيْسَى ، وهو يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ ، ويكنى أبا نافع ،

حكى أنه شرد له بعيرٌ ، فقال : من جاء به فله بعيران ، فقيل له : أنجملُ في بعير

بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضى قومٌ بالجهل فقالوا : ضعف العقلُ أمانٌ من النَمِّ ، وقالوا : ما سرُّ

طافلٍ قط ، قال أبو الطيب المتنبي

ذو العقلِ يَسْتَقِ في النعمِ بعقله * وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ يَنعمُ

وقال حكيمٌ : ثمرة الدنيا السرورُ ، ولا سرورَ للعقلاء ؛ وقال المنيرةُ بنُ شعبة :

ما العيشُ إلَّا في إلقاء الحِشْمَةِ . وقال بكر بن المَعْتَمِر : إذا كان العقلُ سبعة أجزاءٍ

احتاج إلى جزءٍ من جهلٍ ليقدم على الأمور ، فإنَّ العاقلَ أبداً متوانٍ متروِّبٌ متوقِّفٌ

متخوفٌ ؛ قال النابغة الجعدي

ولا خَيْرُ في حِلْمٍ إذا لم تكن له * بوادرُ نَجْمٍ صفوه أن يُكْذَرَا

وقال آخر

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطياتِ الفاتِكُ اللَهِجُ

أخذه آنر فقال

من راقب الناس مات غمًا * وفاز باللذة الجَسُورُ

وقالوا : الجاهلُ يتألَّ أغراضه ، ويظفر بأرائه ، ويطعمُ قلبه ، ويمجى في عنان

هواه ، وهو برئٌ من اللومِ ، سليمٌ من العيبِ ، مغفورُ الزلات .

وقالوا : الجاهل رَنَى الذرع، خالى البَال، عازبُ المم، حسنُ الظن، لا يَحْطُرُ خوفُ الموت بفكره، ولا يَجْرى أَلْمُ الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهل مَطِيَّةُ المِراج والمسرة، ومسرحُ المِزاج والفكاهة، وحليفُ الهوى والتصابي، وصاحبه في ذِمَامٍ من عهدة اللوم والعتب، وأمانٍ من قوارصِ الِذَمِّ والسبِّ؛ قال بعضُ الشعراء

ورأيتُ المَهمومَ في صحبةِ العقلِ قَدَاوِثُهَا بِإِمْرَاضِ عَقْلِي

وقالوا : لو لم يكن من فِصْيلةِ الجَهل، غيرُ الإقدام، وورودِ الحمام، إذ هما من الشجاعةِ والبسالةِ، وسببُ تحصيلِ المهابةِ والجلالةِ، لكفاه؛ قال أبو هلالٍ العسكري:

سألتُ بعضَ الأدباءِ أَىَ الشعراءِ أشدُّ حقاً، قلتُ الذى يقول

أتيةُ على إِنْسِ البلادِ وَجْهًا * وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا تَهْتُ عَلَى نَفْسِي ١٠
أتيةُ فلا أدرى من أتيةٍ مَنْ أَنَا * سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي وَفِي جَنْسِي
فإن صدقوا أَنى من الإنسانِ مِثْلُهُمْ * فَمَا فِي عَيْبٍ غَيْرِ أَنى من الإنسانِ

ذكر ما قيل فى الكذب

قال الله عزَّ وجلَّ : (وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ) . وقال : (إِنَّمَا يَقْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ) وقال فى الكاذبين : (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) . ١٥

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكذب فإنَّ الكذبَ يَهْدِي إلى الفُجُور، والفُجُور يَهْدِي إلى النَّارِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكَذِبُ مُجَانِبُ

الإيمان . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يجوز الكذب في جد ولا هزل » وقال : « لا يكون المؤمن كذابا » .

وقالت الحكماء : ليس للكاذب مروءة .

وقالوا : من عُرِف بالكذب لم يحسن صدقه .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : خُلف الوعد ثلث التفاق .

وقال بعض الحكماء : الصدق مُنجيك وإن خفته ، والكذب مُريدك وإن أمتته .

قال عمرو بن العلاء التماري : ساد عتبة بن ربيعة وكان مملقا ، وساد أبو جهل وكان

حدّثا ، وساد أبو سفيان وكان بجّالا ، وساد عامر بن الطفيل وكان عاهرا ، وساد

كليب بن وائل وكان ظلوما ، وساد عينة وكان مُحققا ، ولم يسد قط كتاب ، فصلح

①①②

السؤدد مع الفقر والحداثة والبخل والمهر والظلم والحسق ، ولم يصلح مع الكذب ،

لأن الكذب يعم الأخلاق كلها بالفساد .

وقال يحيى بن خالد : رأيت شربَ خمر رزع ، ولصبا ألق ، وصاحب فواحش

رجع ، ولم أر كذابا رجع .

ويقال : الكذب مفتاح كل كبيرة ، وانمجر جماع كل شر .

وقيل : لا تأمن من يكذب لك أن يكذب عليك .

وقيل : الكذب والنفاق والحسد اثنى النذل .

وقال ابن عباس : حقيق على الله أن لا يرفع للكذب درجةً ، ولا يُنْهت له حجة .
وقال سليمان بن مسعود : لو صيغني رجلٌ وقال : لا تسترط على إلا شرطاً واحداً
لقلت : لا تكذبني .

وقال أبو حيان التوحيدى : الكذب شعار خلق ، ومورد رفق ، وأدب سبي ،
وعادة فاحشة ، وقيل من أسترسل فيه إلا ألقه ، وقيل من ألقه إلا ألقه .

وقال غيره : الكذب أوضع الرذائل خطية ، وأجمعها للذمة والمحنة ، وأكبرها ذلاً
في الدنيا ، وأكثرها خزيًا في الآخرة ، وهو من أعظم علامات التفاق ، وأقوى الدلائل
على دناءة الأخلاق والأعراف ، لا يؤتمن حامله على حال ، ولا يُصدق إذا قال .
وقيل : لكل شيء آفة ، والكذب آفة النطق .

وقال بعض الكرماء : لو لم آدع الكذب تأثماً ، لتركته تكبراً .

وقال أرسطاطاليس : فضل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ،
فإذا كان الناطق كاذباً ، فالأخرس خير منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بني إياك والكذب ، فإنه يُزري بقاتله ، وإن كان
شريفاً في أصله ، ويذلّه ، وإن كان عزيزاً في أهله .

وقال الأحنف بن قيس : آتان لا يجتمعان : الكذب والمروءة .

وقال بزرجهر : الكاذب والميت سواء ، لأن فضيلة النطق الصدق ، فإذا
لم يوتى بكلامه بطلت حياته .

وقال معاوية يوماً للأحنف : أتكذب؟ فقال : والله ما كُذبت منذ علمت أن
الكذب شين .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذب لصلاح نفسه ، فاعجز الصدق عن إصلاحه
كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء

ما أحسن الصدقَ والمضبوطَ قائلُهُ • وأقبحَ الكذبَ عندَ الله والناسِ

وقالوا : أحذر مصاحبةَ الكذاب ، فإن اضطُررتَ إليها فلا تصدقه ولا تعلمه
أنك كذبتَه ، فينتقل عن موثقه ، ولا ينتقل عن كذبه .

وقال هُرمس : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإنك لستَ منه على شيء يُحصِّل ،
وإنما أنت معه على مثل السراب يلمح ولا ينفع .

وقيل : الكذاب شرُّ من الثَّمام ، فإن الكذاب يخلق عليك ، والثَّمام ينقل
عك . قال شاعر

١٠ إن الثَّومَ أَعْلَى دونه خَبْرِي • وليس لي حيلةٌ في مقترِي الكَذِبِ

وقال آخر

لي حيلةٌ فيمن يَنَمُّ وليس في الكذابِ حيلةٌ
من كان يخلق ما يقو • كُ خيلتي فيه قليلةٌ

ووصف أعرابي كذاباً فقال : كَذِبُهُ مثل عَطاسِهِ ، لا يَمَكِنُهُ رَدُهُ .

١٥ وقال بعض الأعراب : عجبت من الكذاب المُشِيدِ بِكَذِبِهِ ، وإنما هو يدلُّ الناسَ
على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ،
إن قال حقاً لم يُصَدِّقْ ، وإن أراد خيراً لم يُوقَفْ ، فهو الجاني على نفسه بفعاله ،
والدَّالُّ على فضيحتها بمقاله ، فما صحَّ من صدقه نُسِبَ إلى غيره ، وما صحَّ من كذب
غيره نُسِبَ إليه .

ويقال : الكذب رِجَاعُ النفاق ، وعِمَادُ مساوئِ الاخلاق ، عارٌ لازم ، وذلك دائم ، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن ، ويكشف سِرَّ الحَسَب عن لُؤْمه الكامن ، وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرء إلا من مَهَانَتِهِ * أو عادةِ السوء أو من قِلَّةِ الورع

وقال الأصمعي : قيل لرجل معروف بالكذب . هل صدقت ؟ قال : أخاف أن أقول : " لا " فاصدق . وآفة الكذب النسيان . قال شاعر
ومن آفةِ الكذابِ نسيانُ كذبه * وتلقاه ذَا دَعْيٍ إذا كان كاذبا
وقال علي بن المهام شاعر اليتيمة

تكذب الكذبة يوما * ثم تنساها قريبا
كن ذكورا يا أبا يحيى إذا كنت كذوبا

وقال أبو تمام

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف * وأكثر الناس قولاً حشوه كذب
وقال أحمد بن محمد بن عبدربه

صحيفةٌ أُنشِيتُ "لَيْتَ" بها و"عَمَى" .. عُنوانُها راحةُ الراجي إذا يَلَسَا
وعَدَلَه هاجِسٌ في القلبِ قد يَرِمْتُ * أحشاءُ صَدْرِي به من طولِ ما هَجَسَا
يراةُ غَرْنِي منها وميضُ سَنَاءٍ * حتى مددتُ إليها الكفَّ مُقْتَرِسَا
فصادفتُ حَجْرًا لو كنتَ تضربه * من لُؤْمه يَعْصَا موسى لِمَا أُجْبَسَا

وقال آخر

وتقول لي قولاً أنطكتُ صادقاً * فأجىء من طمع اليك وأذهبُ
فإذا أجمعتُ أنا وأنتَ يَحْلِسُ * قالوا مُسَيِّبَةً وهذا أشعبُ

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

قال الله عز وجل : (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّارِ) .

- وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أمن رجلا ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين رفيع لكل غادر ليواء وقيل : هذه غدره فلان » .

وقالوا : من نقض عهده، ومنع رفقده، فلا خير عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول، والناكث للعهد ممقوت مخذول .

- وقالوا : من علامات التفاق، نقض العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر في الغدر . والعذر يصلح في كل المواطن ، ولا عذر لفاذر

ولا خائن .

وفي بعض الكتب المترلة : إن مما تُعجل عقوبته من الذنوب ولا يؤخر : الإحسان يكفر، والذمة تُخفر . قال شاعر

- أخلق بمن رضى الخيانة شيمة * أن لا يرى إلا صريح حوادث
- ما زالت الأرزاء تلحق بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث

وقالوا : الغدر ضامن العثرة، قاطع ليد النصرة .

ويقال : من تعدى على جاره، دلَّ على لؤيم نجاهه .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرّ برجل وهو يُطارِد حيةً وهي تقول له :
والله لئن لم تنهب عني ، لأنفخنّ عليك نفخةً أقطعك بها قطعاً ، فضى عيسى
عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :
ويحك ! أين ما كنت تقولين ؟ قالت : يا روح الله ، إنه حلف لي وغدر ، وإن سُم
غدره أَقْتل له من سُمي .

ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعترف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، وقد عدت لهم
غَدَرَات ، فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد أن لا يفزّوهم
إلى آقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد يَكْنَدَة ، وجعل يحمل عليهم ويقول
أقسمت لا أنزل حتى يهزّموا * أنا ابن معد يكرب فاستسلبوا
* فارس هيجاً ورئيسٌ مضدّم .

١٠

فَقَتِل قيس بن معد يكرب وأرند الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث بن
الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسرّوه ، ففدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم
مائة وبيع عليه مائة ، فلم يؤتّها ، وجاء الإسلام فهتّم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أبي طالب ، وغدر أيضاً
بأهل طَبَرِستان وكان عبيد الله بن زياد ولّاه إياها ، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ورحل
عنهم ، ثم عاد إليهم غادراً ، فأخذوا عليه الشّباب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

١٥

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالهجاج لما ولّاه تُرأسان ، ونرج
عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في التاريخ في أخبار الهجاج

إن شاء الله تعالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلهم ورثوا الفدر عن معديكرب ، فإنه غدر مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فزاهم ناقضا لمهدهم ، فقتلوه وبقرؤا بطنه وملأوه بالحصى .

- وغدرت أبنسة الضيّن بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلت سابور على طريق فتحه ، فقتله وقتل أباه وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول .
- من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان بسنمار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخورنق .

ومن أشهر الغدر عمرو بن جرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع ، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل .

- ومن الغدر الشنيع ما فعله عَصَل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَصَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا فابست معنا نفرا من أصحابك يفتقهنونا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويسلموننا شرائع الإسلام ، فبعت معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير حليف بنى عدي بن كعب ، وطاسم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بنى عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي أخو بنى جحجحي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة أخو بنى بيضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأمه ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ، وقيل أمر عليهم عاصما ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع : — ما هذيل — غدروا بهم وأستصرخوا عليهم هذيل ، فلم يرع القوم وهم في رحالم إلا

الرجال في أيديهم السيوف، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم، فقالوا : إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة، فأما مرتد وخالد وعاصم ومُعتَب فقالوا : والله ما قبل من مشرك عهدا ولا عقدا، فقاتلوا حتى قتلوا، وأما زيد وحُيَيب وعبد الله فلانوا ورغبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعهم بها، حتى إذا كانوا بمر الظهران، أترع عبد الله بن طارق يده من القرآن، ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم، فرمّوه بالحجارة حتى قتلوه، وقدموا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما فابتاع خبيبا مجبر بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لُقَيْبَة بن الحارث بن عامر بن نوفل لَيْقَلَة بالحارث، وأما زيد بن النسيئة فابتاعه صفوان بن أمية لَيْقَلَة بأمية بن خلف، وروى أن خبيبا لما حصل عند بنات الحارث استأمر من إحداهن موسى يستحذ بها فإراعى المرأة إلا صبي لها يدُرج، وخُبيب قد أجلس الصبي على نفسه، والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خُبيب: أتمسكين أنى أقتله؟ إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة: ما رأيت بعدُ أميرا قط خيرا من خُبيب، لقد رأيته وما بمكة من ثمة، وأن في يده قطعا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا، ولما أُخرج بخبيب من الحرم ليقتلوه، قال: ذروني أصلي ركعتين، ثم قال: لولا أن يقال: جزع لِرِذَت، وما أبالي على أى شئ كان مصرعى، وهذه القصة نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مرتد إلى الرجيع.

قيل: أغار خَيْشَمَة بن مالك الجُفَيْي على حى من بنى القَيْن فاستأق منهم إبلا فطيقوه لَيْسَتْقِدْوها منه، فلم يطعموا فيه، ثم ذكرىدا كانت لبعضهم عنده، فخلى عما كان في يده، وولى منصرفا، فنادوه وقالوا: إن المعازة أمامك، ولا ماء مأك، وقد فعلت

جِيلاً، فَأَنْزَلَ وَلَكَ الذَّمَّامَ وَالْحَبَاءَ قَتَلَ فَلَمَّا أَطْمَأَنَّ وَسَكَنَ، وَاسْتَمَكَّتُوا مِنْهُ غَدَرُوا بِهِ قَتَلُوهُ، فَقِي ذَلِكَ تَقُولُ عَمْرَةَ أَبْنَتُهُ

غَدَرْتُمْ بِنِّ لَوْ كَانَ سَاعَةً غَدَرَكُمْ * يَكْفِيهِ مَفْتَوْقُ الْفَرَارِينَ قَاضِبُ
أَذَادَكُمْ عَنْهُ بِضَرْبٍ كَأَنَّهُ * سَهَامُ الْمَنَابِيَا كُلَّهْنَ صَوَائِبُ

٥. وَتَلَا حِي بنو مقرون بن عمرو بن عمار ، وبنو جهنم بن مرة بن عمار ، على ما لم فظبتهم بنو مقرون فظهورت عليهم ، وكان في بني جهنم شيخ له تجربة وسن ، فلما رأى ظهورهم ، قال : يا بني مقرون ، نحن بنو أب واحد ، فلم تتفاني؟ هلما إلى الصلح ، ولكم عهد الله تعالى وميثاقه وذقة آبائنا ، أن لا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم في هذا الماء ، فأجابتهم بنو مقرون إلى ذلك ، فلما أطمأنوا ووضعوا السلاح عنا عليهم بنو جهنم فمالوا منهم مئالا عظيما ، وقتلوا جماعة من أشرفهم ، قى ذلك يقول
١٠. أَبُو ظَفَرُ الْحَارِثِيُّ

هَلَا غَدَرْتُمْ بِمَقْرُونٍ وَأَسْرَيْتَهُ * وَالْبَيْضُ مُصْلَحَةٌ وَالْحَرْبُ تَسْتَعْرِ
لَمَّا أَطْمَأَنَّا وَشَامُوا فِي سِيوفِهِمْ * ثُرْتُمْ إِلَيْهِمْ وَعُرَّ الْغَدْرُ مَشْتَهَرُ
غَدَرْتُمُوهُمْ بِأَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ * وَالْوَرْدُ مِنْ بَعْدِهِ لِلْقَادِرِ الصَّدْرُ

١٥. هَذَا مَا قِيلَ فِي الْغَدْرِ .
وَأَمَّا الْخِيَانَةُ ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ
وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

٢٠. وَقِيلَ : مِنْ ضَمِّعِ الْأَمَانَةَ ، وَرَضَى بِالْخِيَانَةِ ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الدِّيَانَةِ .

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانَةِ ، ما في التَّكْتِ والخبائَةِ ، لقصَّرَ عنهما عَنانَهُ .
وقالوا : من خان مانَ ، ومن مانَ هانَ ، وتبرَّأ من الإحسان .

قيل دخل شهرٌ بنُ حَوْشَبٍ وهو من جِلَّةِ القَزاءِ وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائطُ فيها مالٌ ، قد جمعت لتوضع في بيت المال ، فقعد على خريطة
منها ، وأخذها ، ومعاوية ينظرُ إليه ، فلما رُفِعت الخرائط ، فُقد من عددها خريطة ،
فاطم الخازنُ بذلك معاويةَ ، فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها ، فبه يقول
بعض الشعراء

لقد باعَ شهرٌ دينه بخريطة * فمن يَأْمَنَ القَزاءَ بملك يَاشهرُ؟

وقال المنصورُ لعامل بلغه عنه خيانتُهُ : يا عدوَّ الله ، وعدوَّ أمير المؤمنين ، وعدوَّ
المسلمين ، أكلتَ مالَ الله ، وخُنتَ خليفةَ الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن عيالُ
الله ، وأنت خليفةُ الله ، والمال مالُ الله ، فمن أين تأكل إذا ، فضحك وأطلقه ،
وأمر أن لا يُؤلَّى عملاً بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنوشروانَ جاماً من ذهب وهو يراه ، فتفقده الشراي ،
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفْقَسَ ، فقال له أنوشروان : لا تتعرض لأحد ،
فقد أخذه من لا يردّه ، ورآه من لا يَمُّ عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاضٍ بَمَرَّةَ النِهانِ ودبسةً ، وغاب مئةً ، فلما
رجع ، طالب بها ، فأنكرها القاضي ، فشفع إليه برؤساء بلده في ردّها ، فما زالوا به
حتى أقرّ بها ، وأدعى أنها سُرقَت من حرّزه ، فاستعطفه المودع لحلف ، فقال ابن
الدَّويدة في ذلك

لأبصدق القاضي الخسوف إذا أدعى * عدمَ الدويصة من حصين المودع

(١١٥)

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقْ أَنَّهُا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ بَعْضُ لَوْ تَعَى !
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقْ أَنَّهُا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ
وَقَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ

وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاءُمْ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُخْطَفُونِ
وَأَضْيَعُ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ وَالْعَجَبِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) . وَقَالَ تَعَالَى : (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ : (الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِلْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ : (كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) . وَقَالَ : (سَاصِرُفْ
عَنْ آبَائِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) .
وَنَاهِيكَ بِهَذَا زَجْرًا .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ نَرْدَلٍ
مِنْ كِبَرٍ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ ، وَاخْتَلَأَ فِي مِشْيَتِهِ لِقَى
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ
لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ » .

• وَرَوَى : أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطْبٍ ، فَقِيلَ لَهُ :
أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أَقْعَ بِهِ الْكِبَرُ ،
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يَجِدُهَا في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لُبُّهُ ، كَثُرَ عَجْبُهُ .

وقالوا : تُعْجِبُ المرء بنفسه ، أحد حساد عقله .

وقال أزدشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حُمِّي لم يدر صاحبه أين يَضُمُّه فصرفه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عَرَفَ أهل التقصير حاتم ، عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ، ويرفع حقيرا ، وليس بفاعل .

وقال أكرم بن صيني : من أصاب حظا من دنياه ، فأصابه ذلك إلى كبر وترفع ، فقد علم أنه نال فوق ما يستحق ، ومن أقام على حاله فقد علم أنه نال ما يستحق ، ومن تواضع وغادر الكبر ، فقد علم أنه نال دون ما يستحق .

وقال علي رضي الله عنه : عجبت للتكبر الذي كان بالأمس نطفة ، وهو غدا جيفة .
وقيل : مر بهض أولاد المُلْهَب بِمالك بن دينار وهو يَخْطُر ، فقال له : يا بُنَيَّ ، لو خَفَضْتَ بعض هذه الخيلاء ! لم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شَهَرْتَ بها نفسك ؟ فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قال : بلى ! والله أعرفك معرفة جيدة ، أولئك نطفة مَذْرُوءة ، وآخرك جيفة قَذْرَاء ، وأنت بين ذلك حامل عَذْرَاء ، فارضى الفتى رُذْيَتَهُ وكَفَّ مما كان يفعله ، وطأ طأ رأسه ، ومضى مستريلا .

وقال الواقدي : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يَتَبَخَّرُ في مشبته ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجهل مع الواضع ، أزينُّ بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فيألف من حسنة غَطَّتْ على عيبتين عظيمين ، وإياها

مِنْ سَيِّئَةٍ غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ، ثُمَّ أَوَمَّا إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ: أَحْفَظْهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ كَبِيرٌ أَخَذَنَاهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ .

وَمِنَ الْكِبَرِ الْمُسْتَهْجَنَ مَا رَوَى : أَنَّ وَائِلَ بْنَ جُبْرَآتٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاقْطَعَهُ أَرْضًا، وَقَالَ لِمَعَاوِيَةَ : أَعْرِضْ هَذِهِ الْأَرْضَ عَلَيْهِ وَأَكْتُبْهَا لَهُ ، فَخَرَجَ مَعَ وَائِلَ فِي هَاجِرَةٍ شَاوِيَةٍ، وَمَشَى خَلْفَ نَاقَتِهِ، وَقَالَ لَهُ : أَرَدْنِي عَلَى عَجْزِ رَاحِلَتِكَ ، فَقَالَ : لَسْتُ مِنْ أَرْدَابِ الْمُلُوكِ ، قَالَ : فَأَعْطِنِي نَعْلَيْكَ، فَقَالَ : مَا بَجَلٌ يَمْنَعُنِي يَا بَنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يُلْغَ أَقْبَالُ الْإِيْمَنِ أَنَّكَ لَسْتَ نَعْلِي، وَلَكِنْ أَمْشُ فِي ظِلِّ نَاقَتِي، فَحَسْبُكَ بِهَا شَرَفًا . وَقِيلَ : إِنَّ وَائِلًا أَدْرَكَ زَمَنَ مَعَاوِيَةَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَقْبَضَهُ مَعَهُ عَلَى السِّرْرِ وَوَحَّدَتْهُ .

وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ جَذِيْعَةَ الْأَبْرَشِ الْغَايَةَ فِي الْكِبَرِ، وَرَوَى : أَنَّهُ كَانَ لَا يَنَادِمُ أَحَدًا تَرْفَعًا وَكِبَرًا، وَيَقُولُ : إِنَّمَا يَنَادِمُنِي الْفَرْقَدَانِ . وَمِنْهُ قَوْلُ مَتَّى :
« وَكَأَنَّهُمَا نَادَانِي جَذِيْعَةُ حَقِيقَةٍ »

قِيلَ : إِنَّمَا أَرَادَ الْفَرْقَدَيْنِ ، لَا كَمَا ذَكَرَهُ الرَّوَاهُ أَنَّهُمَا مَالِكٌ وَعَقِيلٌ .

وَقِيلَ : كَانَ أَبُو ثَوَابَةَ أَقْبَحَ النَّاسِ كِبَرًا ، رَوَى : أَنَّهُ قَالَ لِفُلَانَةٍ أَسْقِنِي مَاءً، فَقَالَ : نَعَمْ، قَالَ : إِنَّمَا يَقُولُ : ”نَعَمْ“ مِنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : ”لَا“ وَأَمَرَ بِضَرْبِهِ، وَدَعَا أَكْرَارًا فَكَلَّمَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ دَعَا بِمَاءٍ، وَتَمَضَّمْضَ اسْتَقْدَارًا لِمَخَاطَبَتِهِ .
قَالَ عَمِيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَسْعُودٍ

وَلَا تَعْجَبَا أَنْ تُؤْتِيَا تَكَلُّمًا * فَاحْشَى الْأَهْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش ، بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن العرب ، بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن مُدَس ، وأما الأكلسة فكانوا لا يمتدون الناس إلا عبيدا ، وأنفسهم إلا أربابا ، والكبر في الأجناس القليلة أرفع ، ولكن الفضلة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم ، ومن قدر من الوضوء أدنى قدرة ، ظهر من كبره ما لا يخفاء به ، ولم أر ذا كبر فقط علا من دونه ، إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه .

قال : أما بنو مخزوم ، وبنو أمية ، وبنو جعفر بن كلاب ، واختصاصهم باليه ، فإنهم أبطَرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ، ولو كان في قوَى عقولهم فضلٌ عن قوَى دواعي الجبسة فيهم ، لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونهم . وقال أبو الوليد الأعرابي

ولستُ بتيّاهٍ إذا كنتُ مُتّريا * ولكنه خُلقي إذا كنتُ مُعديما
وأن الذي يُعطى من المال ثروة * إذا كان نذل الوالدين تعظيما

ومن المتكبرين ، عُمارَة بن حمزة ، حُكي عنه : أنه دخل على المهدي ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعد له ليتهكّم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عُمارَة غصبتني ضيقتني ، وذكر ضيعة من أحسن ضياع عُمارَة وأكثرها تحراجا ، فقال المهدي لعُمارَة : قم فأجلس مع خَصَميك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هو لي بخَصَم ، إن كانت الضيعة له ، فليستُ أنأزعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقومُ من مجلس شرفني به أمير المؤمنين ، فلما أنصرف المجلس ، سأل عُمارَة عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان موضع

جلوسه ، وكان من تيبه أنه إذا أخطأ يمر على خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول :
نقض وإبرام في ساعة واحدة ، الخطأ أهون منه .

ومنهم من أهلكه الكبر وأذله . كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري
أميرا على العراق ، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا ، فأفسد أمره السُّبُّ
والكِبَرُ ، وأدناه إلى المهلكة ، وعُدَّبت حتى مات ، وذلك أنه كان إذا ذُكر هشام

عنده ، قال : أبن الحقاء ! فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا
البَطَرُ الأثير الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك ، ذكرك بأسوأ الذِّكر ، قال :
لعله يقول : الأحمق ، قال : لا ، ولكنه يقول : مالا تلتقي به الشفان ، قال : لعله
يقول : أبن الحقاء ، فأمسك الشامي ، فقال هشام قد بلغني كل ذلك عنه ، وكان

خالد يقول : والله ما إمارة العراق مما تشرفني ، فبلغ ذلك هشاما ، فكتب إليه :
بلغني أنك يابن النصرانية تقول : إن إمارة العراق لأتشرَّفكَ وأنت دعي بجيلة القليلة
الذليلة ، والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صيفي بن قيس فيشد بك إلى عُقِّك ،
قال خالد بن صفوان بن الأهم : لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه ، وقتل

أبنة يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شَرِيطا قد شد به الصبيان يمزونه ، فدخلت
إلى هشام يوما ، فحدثته فأطلت ، فتنفس ، وقال : يا خالد ! كان أحبَّ إلى قُرْبًا وألذَّ

عندي حديثا منك ، يعني خالد القسري ، قال : فاتهرتُها ورجوت أن أشفع فتكون
لي عند خالديدا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يمنعك من استئثاف الصنعة ، فقد
أدبته بما قرط منه ، فقال : هيات ! إن خالدًا أوجف فاعجف ، وأدل فامل ، وأفرط
في الإساءة ، فأفرطنا في المكافاة ، فإلم الأديم ، ونغل الجرح ، وبلغ السيل الزبي ،

والجزام الطيين ، ولم يبق فيه مستصلح ، ولا للصنعة عنده موضع ، عُذَّ إلى حديثك .

ومنهم : من أفرط به الكبر إلى الكفر، حكى : ان سعيد بن زُرارة مرّت به امرأة فقالت له : يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ قال لها : أمثلُ يكون مِن عبيد الله .

ومنهم : عبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه : كثر اللهُ فينا مثلك، فقال : لقد كلّمتم اللهَ شططا .

ومن أشعار المتكبرين التّاهين قول بعضهم .

* أتبه على جِنِّ البلاد وإِنْسِها ،

الأيّات، وقد تَهَمَّت في الحَقِّ .

وقال آخر

أَلَيْسَ فِي لَعْنِي فَإِنْ أَحْرَقْتَنِي * فَيَقِنَ أَنْ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ
صَنَعَ النَّسِجَ كُلَّ مَنْ حَاكَ لَكُنِّي * لَيْسَ دَاوُدُ فِيهِ كَالْعَنْكَبُوتِ

قال ابن جُبّارة الخواري المتجنّبيّ يردّ عليه

أَيُّهَا الْمَذْعَى الْفَخَّارُ دَعْ الْفَخْشَرَ لِذِي الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَبْرُوتِ
نَسَجُ دَاوُدَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَا * وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ
وَبَقَاءُ السَّمِيدِ فِي لَهَبِ النَّارِ * رِ مَزِيدُ فَضِيلَةِ الْيَاقُوتِ
وَكَذَلِكَ التَّعَامُ يُلْقَمُ الْجَمْرَ وَمَا الْجَمْرُ لِلتَّعَامِ بِقُوتِ!



ومما أُجِّى به أهل التكبر، قول جُمَيْرَانَ يهجو سعيد بن سُلم بن قُتَيْبَةَ

أَمْ سَعِيدٌ لَمْ وَلَدْتَنِي * مَلُوتًا بِالْكَبَرِ وَالْقَبِيهِ؟

لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا * حِينَ نَحَرْتَنِيهِ أَكَلْتَنِي

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربعٌ من الشقاء الخ ... عُدُّ منها الحرص
والأمل» وقال : «ما ذنبان جائعان أُرسلَا في غم فافسداها أشدَّ من حرص المرء على
المال» . وقال : «يُشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ مِنْهُ أَكْثَنُ تَانِ : «الحرص على المال»^(١)
والحرص على العمر» وقال : «إِيَّاكُمْ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ» .

- ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطمعُ مُورِدٌ غير مُصْدِرٍ، وضامن
غير وافيٍّ، وكلام عظم قدر الشيء المتنافس فيه، عظمت الرزية لفقدته، والأمانى تُعْمَى
البصائر. أزرى بنفسه من استشعر الطمع، وأستولت عليه الأمانى .
وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد في رزقه .
وقال قُتَيْبَةُ : إن الحريص استعجل القلة، قبل إدراك البنية .
وقيل : لا راحةَ لحريص، ولا غنىَ لذى طَمَعٍ .

- وقيل : إن كُتِبَا لَنَبِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، فقال : يا بنِ سَلَامٍ، مَنْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ ؟
قال : الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ، قال : فَمَا أَذْهَبَ الْعِلْمَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ إِذْ عَلِمُوهُ
وَوَعَوْهُ؟ قال : الطَّمَعُ، وَشَرُّهُ النَّفْسُ، وَطَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ . قال الأَصْمَعِيُّ :
سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : عَجِبْتُُ لِلْحَرِيصِ الْمُسْتَكْبِرِ، الْمُسْتَقِيلِ لِكَثِيرٍ مَا فِي يَدِهِ، الْمُسْتَكْبِرِ

(١) هكذا في الأصل : والقي في الجامع الصغير : (ما ذنبان جائعان أُرسلَا في غم فافسد لما من حرص
المرء على المال والشرف لدينه) .

لقليل ما في يد غيره ، حتى طلب الفضل ، بذهاب الأصل ، فركبَ مفاوز البرارى ،
وبلج البحار ، معرضاً نفسه للهلكة ، ومالله للآفات ، ناظراً إلى من سَلِمَ ، غيرَ معتبر
بمن سَلِمَ .

قال يزيد بن الحكم التميمي

رَأَيْتُ السَّخِيَّ النَّفْسَ ، يَأْتِيهِ رِزْقُهُ * هَنِئًا ، وَلَا يُعْطَى عَلَى الْخِرْصِ جَائِعٌ
وَكُلَّ حَرِيصٍ لَنْ يُجَاوِزَ رِزْقَهُ * وَكَمْ مِنْ مُوقٍ رِزْقُهُ وَهُوَ وَادِعٌ

وقالوا : مصارعُ الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال

الحر عبد ما طمع * والعبد حر ما قنع

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك ، تَحَلَّ القيد من رجلك . وقال عمرو بن مالك الحارثي

الْخِرْصُ لِلنَّفْسِ قَفَرٌ وَالتَّنَوُّعُ غِنَى * وَالْقَوْتُ إِنْ قَنِتْ بِالْقَوْتِ يُجْزِيهَا
وَالنَّفْسُ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ حِيْزَهَا * مَا كَانَ إِنْ هِيَ لَمْ تَقْنَعْ بِكَافِيهَا

وقال ابن هرمة

وَفِي الْيَاسِ عِزٌّ بِمَعْضِ الْمَطَامِعِ رَاحَةٌ * وَيَارُبُّ خُسَيْرٍ أَدْرَكَتْهُ الْمَطَامِعُ

وقال هرمة بن خثرم

وَبَعْضُ رَجَاءِ الْمَرْءِ مَا لَيْسَ نَائِلًا * عَتَاءٌ وَبَعْضُ الْيَاسِ أَغْنَى وَأَرْوَحُ

وقال مكيف بن معاوية التميمي

تَرَى الْمَرْءَ يَأْمُلُ مَا لَا يَرَى * وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ رَيْبُ الْأَجَلِ

وَكَمْ آيِسٍ قَدْ أَتَاهُ الرَّجَاءُ * وَذِي طَمَعٍ قَدْ لَوَاهُ الْأَمَلُ

وقال آخر

طَمِعْتَ فَمَا وَعَدْتُكَ الْمَنَى * وَلَيْسَ فَمَا وَعَدْتُ مَطْمَعُ

وَبَقِيَ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهَا ، وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ
وَأَمَّا مَوْعِدُهَا بِأَرْقُ ، فِي كُلِّ حِينٍ حُبٌّ يَلْمَعُ

- ويضرب المثل في الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال
للقائل له : لم تقل هذا إلا وفي نفسك خير تصنعه بي ؛ وقيل : إنه لم يمت شريف
قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وصيه أو وارثه وقال له : أحلف
أنه لم يؤمس لي بشيء قبل موته ؛ ووقف على رجل يعمل طبعا من الخيزران ،
فقال له : وسعته قليلا ، قال الخيزراني : كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن
ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدي إلى فيه شيئا ؛ وسأله سالم بن عبد الله بن عمر
رضي الله عنه عن طمعه ، قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا ، هذا سالم قد فتح
بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمرا ، فلما أحضروا ظنفت أنه كما قلت لهم ، فعدوت
في إثرهم ؛ وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جاري فأترد عليه ؛
وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروسا بالمدينة تُزَفُّ إلا كنت
يأتي ورشته طمعا أن تُزَفَّ إلي ؛ وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ،
كلب أم حومل ، تعني فرسخين ، وأنا أمضغ كُنْدَرًا ، ولقد حسدته على ذلك .

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

- ١٥ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْعِدَّةُ دَيْنٌ » .
وقال بعض القُرَشِيِّينَ : من خاف الكذب ، أقلَّ من المواعيد .
وقيل : أصران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

(١) ترد الخبز : فقه .

(٢) الكثرة : ضرب من العك وهو البان المذكور .

وقالوا : خُلف الوعد، خُلِقُ الوعد .

وقال المهلب لبنيه : يَا بَنِي، إِذَا غَدَا عَلَيْكَ الرَّجُلُ أَوْ رَاحَ مُسْلِمًا، فَكُنْ بِذَلِكَ تَقَاضِيًا .

قال الشاعر

أروح لتسلم طيك وأخدي * فحسبك بالتسلم مني تخاضيا
كفى يطلاب المرء ما لا يناله * عتاه وبالياس المصرح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه، كان كلفظ لا معنى له، وجسم لأروح فيه . وقالوا : انخلف الأثم من البخل، لأنه من لم يفعل المعروف، لزمه ذم الأثم، وذم انخلف، وذم العجز . قال بعض الشعراء

وعدت فاكذب المواعيد جاهدا * وأقلت إقلاع الجهام بلا وبيل
وأجرت لي حبلا طويلا تبعته . ولم أدري أن الياس في طرف الجبل
وقال أبو تمام

وما فزع من قدمات بالأمس صاديا * إذا ما سمى اليوم طال أنهارها
وما العرف بالتسويق الانتحلة * تسليت عنها حين شط مزارها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عرقوب، وكان رجلا من العالقي وله في ذلك حكايات، فنها : أنه أتاه أخ له، يسأله شيئا، فقال له عرقوب : إذا أطلمت هذه النخلة فلك طلعتها، فلما أطلمت، أتاه الرجل للمدة، فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت، أتاه، فقال : دعها حتى تصير زهوا، فلما أزهت، قال : دعها حتى

(١) في العقد الفريد : ذم اليوم وحده، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذمات : ذم اليوم وذم انخلف وذم الكذب .

تصير رطباً ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمراً ، فلما آتمرت ، عمد إليها عرقوب ، بخلها ولم يعط أخاه منها شيئاً .

وفيه يقول الأنشبي

وعذت وكان الخلف منك محبة * مواعيد عرقوب أخاه يستر^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً * وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال السكيت للمهدي : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستترَل بالإهمال والسكون ، لشكرتك القلوب بالضمير ، ولنظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدي : هذا جزء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العذرُ الجميل ، أحسن من المَطْل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأنجح ، وإن تمذرت الحاجة فافصح .

وقال بعض كرماء العرب : لأن أموت عطشاً ، أحبُّ إلي من أن أخلف موعداً . وقالوا : من وعد فأخلف ، لزمته ثلاث منقات : ذمُّ اللؤم ، وذمُّ الخلف ، وذم الكذب ؛ وقال بعض الشعراء

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كان كاذباً * ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن فعل^{١٥}

فإن تُجمَع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها . وشرُّ من البخلِ المواعيدُ والمَطْلُ

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيدٌ عواقبُها المَطْلُ ، وتِمَارُها الخلفُ ، ومَحْصُولُها اليأسُ .

(١) كذا بالأصل بالهاء المثلثة وقال في اللسان وفي القاموس : إنها بالياء . المنة وضع الرا . ومعرفة بالجماعة .

وقال آخر : فلان له وعد مُطْمَع ، ومُظْلٍ مُؤْسِر ، وأنت منه أبدا بين يأس
وطمع ، فلا بُدَّ مُرِيحٍ ، ولا مَنَعٍ صَرِيحٍ .
وقال النعماني : أُول من أخلف المواعيد ولم يَفِ بشيء منها : إسماعيل بن صُبَيْح
كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في العِيّ والحَصَر

قال الله عز وجل : (أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْخَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) وقال تعالى
إخبارا عن فرعون عند افتخاره على موسى بالبيان : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَبِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول
قال : (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)
الآية ، فقال الله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) .

وقيل : حدَّ العِيّ معنى قصير ، يتحوَّله لفظ طويل . وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي : هو أن
تُتَكَلَّمُ فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق ، أغنى من الغني الساكِت .

وقال كسرى : الصَّمْتُ خَيْرٌ مِنْ عِيِّ الْكَلَامِ .

وقالوا : فَضَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَى مَا عَدَاهُ مِنَ الْحَيَوَانِ بِالْبَيَانِ ، فَإِذَا نَطَقَ وَلَمْ يُفْصِحْ
عَادَ بَيْحًا .

وقالوا : العِيُّ داءٌ دَوَّاهُ الْخَرَسُ . ومن علامات العِيِّ الاستعانة ، وهي أن ترى
المخاطب إذا كلَّ لسانه عند مقاطع كلامه ، يقول للمخاطب : اسمع مِنِّي ، أو سمعت
لي ، وأفهم عني ، وأشباه ذلك .

ومنهم من يقول : قولي كذا، أعنى به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان، التَّمَتُّةُ، وَالْفَاقَاةُ، وَالْعُقْلَةُ، وَالْحُبْسَةُ، وَاللَّفْظُ، وَالرُّتَّةُ، وَالنَّمْنَمَةُ، وَالطَّمْطَمَةُ، وَاللُّكْنَةُ، وَالْفَنَّةُ، وَاللَّغْنَةُ . فالتَّمَتُّةُ ، قال الْأَصْمَعِيُّ : إذا تَمَتَّعَ في النِّاءِ فهو تَمَتَّامٌ، وإذا رتدَّ في الفاء فهو فَاقَاةٌ، قال الرَّاغِزُ

ليس بَاقَاةً ولا تَمَتَّامٌ * ولا كثيرُ المُجَرِّ في الكلام

وَالْعُقْلَةُ : كثرة اللسان عند الكلام ؛ وَالْحُبْسَةُ : تَعَدُّ النطق ، ولم تبلغ حدَّ الْفَاقَاةِ ولا التَّمَتَّامِ، ويقال : إنها تعرض أول الكلام، فإذا مرَّ فيه أَهْطَعَتْ . وَاللَّفْظُ : إدخال بعض الكلام في بعض ؛ قال الرَّاغِزُ

كانَ فيه لَفْظًا إذا نَطَقَ * من طول تَحْيِيسٍ ومَهْمٌ وأَرْقُ

وَالرُّتَّةُ : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة ؛ وَالنَّمْنَمَةُ : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيعُ الحروف . ولا تفهم معناه ؛ وَالطَّمْطَمَةُ : أن يكون الكلام شبيهاً بكلام العجم ، وهي جَمِيرَةٌ، وقالوا : هي إبدال الطاء بالثاء لأنهما من مخرج واحد، فيقول : السُّنَّانُ وَالشَّيْثَانُ، وأشبه ذلك، قيل : وكانت في لسان زياد بن سَلَمَى، وكان خطيباً شاعراً كاتباً ؛ وَاللُّكْنَةُ : إدخال بعض حروف العرب في حروف

العجم ، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية، وهي إبدال الهاء حاءً، وَأَهْطَلَبَ العين همزة، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد، وصَّيَّبُ الرُّومِيِّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولَى لزياد، قال له : أيها الأمير، أهدوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ : يريد : أهدوا لنا حماراً وحشياً، فلم يفهم زياد عنه، وقال : ويلك ! ماذا تقول ؟ قال : أهدوا لنا آيَرًا : يريد عَيْرًا، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير ؛ وَالْفَنَّةُ :

أن يشرب الصوتَ الخِشُومُ ؛ والخِنَّةُ : ضرب منها ؛ والترخيم : حذف بعض الكلمة لتمدُّر النطق بها ؛ واللَّغْنة : إبدال ستة حروف بغيرها ، وهي الهمزة والراء والسين والتاف والكاف واللام ، فالتى تعرض للهمزة ، فهى إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عَنَتَ وهى مستعملة فى لسان التُّكُّور ، وأما التى تعرض فى الراء ، فهى ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (عَمَغ) : يريد عُمَرُ ، وهى غالبية على لسان أهل دمشق ، وإذا أجتهدت الراء والنين فى كلمة كقولهم : رَغِيفٌ ، قال : (غريف) ، وفُتِّرَتْ بِمَكَانٍ فرغت : فيبدلون كلِّ حرف بالآخر ، قيل : وكانت فى لسان محمد بن شَيْبِ النخارجي ، وواصل بن عطاء المعتزلي ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته ، يتجنب النطق بها ، وفيه يقول الشاعر

من أبيات

ويعمل البرِّقَمَ فى تصرفه * وجانبَ الرَّاءِ حتى أحتال للشعرِ
ولم يَطْلُقْ مَطَرًا والْفَوْلُ يجعله * فساد بالنيثِ إشفافًا من المطرِ

ومنهم من يجعلها عينا مهملة ، فيقول فى أزرق : أزعق ، وهى فى لسان عوام أهل دِمَشق ، ومنهم من يجعلها ياءً ، فيقول فى عُمَر : عُمى ، ومنهم من يبدلها بالطاء أخت الطاء ، ومنهم من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : أأَيْتُ ، وأما التى تعرض للسين ، فإنهم يبدلونها تاء ، فيقولون : بسم الله ، ويؤثر الله : إذا أرادوا بسم الله ، ويؤسرة الله ، أو أشباه ذلك ، وهى مستحسنة فى الجوارى والفلمان . قال الشاعر

وأهيف كالهلل شكوتُ وحدي : إليه لِحُسْنِهِ وأطلتُ بَنِي
وقلت له فدتك النفسُ صِلْنِي * تحمِزُ فى الشَوَابِ فقال بَنِي

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قال ، وقلت ، نطق : يُقَالَ ، وَكُلْتُ ، وهي نبطية ، وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب الدعوة ، وعُيِّد الله بن زياد ؛ ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وَكُلْتُ ، وأما التي تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف ، ومنهم من يبدلها تاء ، فيقول : تَان ، إذا أراد : كَانَ ، وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياء ، فيقول : أَعْتَيْتُ ، بمعنى : أَعْتَلْتُ ، ويقول في جَمَل : جَمِي ، وإذا أقسم بالله ، يقول : وَيَاه ، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهمله ، فيقول في خوخ : حُوح ، ويُستحسن في الغلمان والحواري ، ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد في كلمة جيم وضاد ، مثل حجر ، ونضج ، قال : جضر ، ونجض . والحمد لله وحده !

كل الجزء الثالث

١٠

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع منه :
 ”الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والوارد والفكاهات والملح“
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
 وحسبنا الله ونعم الوكيل

